

مخلوقات الليل
Creatures Of The Night
II

فجر سليمان
FAJER SULIMAN

ضياء
time/twinkling4

موشا

العنوان

مخلوقات الليل

CREATURES OF THE NIGHT

II

تأليف

فجر سليمان

الطبعة

الأولى 2024

ردمك:

978-9921-811-10-0

رقم الإيداع: 2024/1619

تصميم وإخراج

نوبا بلس للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

نوبا

www.novapluskw.com



مخلوقات الليل
Creatures of the Night
II

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.



ملحق ببعض الشخصيات الهامة
والتي ورد ذكرها في الجزء الأول

ملحق ببعض الشخصيات الهامة والتي ورد ذكرها في الجزء الأول

عائلة العقيد ألكساندر:

- الأب والعقيد السابق (ألكساندر - أليكس - Alexander).
- الأم (نتاليا - Natalia).
- الابن (كولين - Colin).

عائلة الصياد جيكون:

- الأب وصياد الحيوانات (جيكون - جيك - Jacob).
- الابن (جاك - Jack).
- أخت جيكون وخالة جاك (سوزان - Susan).

عائلة العجوز غريفن:

- المزارع والخطاب العجوز (غريفن - Griffin).
- حفيدة غريفن (صوفي - Sophie).

عائلة الخياطة باتريشيا:

- الأم والخياطة (باتريشيا - Patricia) والنطق الصحيح (باتريشا).

- الابنة (ماغي - Maggie).

عائلة الطبيب سايمون:

- الأب والطبيب المعالج (سايمون - Simon).
- زوجة سايمون، لم يرد ذكر اسمها.
- أبناء الطبيب التوائم الثلاثة، لم يرد ذكر أسمائهم.

عائلة العمدة وايتمان:

- الأب وعمدة قرية إيستود، لم يرد ذكر اسمه حتى الآن.

• زوجة العمدة، لم يرد ذكر اسمها.

• الابن (ريس - Reese).

شخصيات مُتفرقة ظهرت في إيستوود:

▪ البائع المتجول (جاسبر - Jasper).

▪ الولد اليتيم والمشرّد (جيرمي - Jeremy).

▪ زعيم العصاة والمرزقة، لم يرد ذكر اسمه.

▪ صديق العقيد ألكساندر الجنرال (يوجين - Eugene).

▪ مساعد يوجين وذراعه اليمنى (رايدر - Ryder).

العائلة الحاكمة:

• ملك مملكة ديمونتريا (ثيودور - Theodore).

• زوجة ثيودور الملكة (غلوريا - Gloria).

• الأميرة البكر، لم يرد ذكر اسمها حتى الآن.

• الأميرة الثانية، ومؤسسة أكاديمية الفرسان (هيلينا -

Helena).

• الأميرة الصغرى، لم يرد ذكر اسمها حتى الآن.

عائلة الكونت آردين:

• الأب الكونت (آردين - Arden).

• الأم الكونتيسة (مارغريت - Margaret).

• الابن البكر (آرثر - Arthur) ولم يرد ذكر اسم زوجته أو

أبناءه.

• الابنة الثانية (نانسي - Nancy) ولم يرد ذكر اسم زوجها أو

أبناءها.

• الابن الثالث (والتر - Walter).

• الابنة الرابعة (ليندا - Linda) ولم يرد ذكر اسم خطيبها.

- الابن الخامس (بيتر - Peter).
- الابنة السادسة والصغرى (إلينور - Eleanor).
- عائلة الماركيز كريستوفر والكر:
- الأب الماركيز (كريستوفر - Christopher).
- الأم الماركيزة (باربرا - Barbara).
- الابن والذي تقدم إلى خطبة إلينور (هنري - Henry).
- عائلة الصيادين:

- الأب الكونت (رايموند - Raymond).
- الزوجة (كارولين - Caroline).
- الابن الأكبر (لويس - Louis).
- الابنة الثانية (روز - Rose).
- الابن الثالث (روي - Roy).
- الابن الأصغر (جو - Joe) وهو اختصار لاسم (Joseph).
- شقيق الكونت رايموند الأصغر اللورد (كيث - Keith).
- عائلة ستوك:

(ملاحظة: عدد أعضاء عائلة ستوك أكبر من أن يتم إحصائه،
وفيما يلي الأسماء التي ذكرت فقط):

- رأس العائلة الكونت (رومان - Roman).
- مرافقة الكونت الأولى، وهي بمقام الزوجة عند البشر،
الليدي (كورفينا - Corvina).
- المرافقة الثانية الليدي (لونا - Luna).
- الابن (هايدن - Haiden).
- الابن (أوليفر - Oliver).

- الابنة (جوديث - Judith).
- الابن (غيلبرت - Gilbert).
- الابنة (دوروثي - Dorothy).
- تابع كورفينا كولن والذي تم تغيير اسمه إلى (ليون - Leon).

ما قبل الحكاية ...

ما قبل الحكاية

دارت المعركة لأيام طويلة في الظلام الدامس أنهلك خلالها الطرفان، ما بين كَرْ وفَرٍّ من الجانبين وخسائر كبيرة شملت الأرواح والمؤنة، اتخذ العقيد ألكساندر قراراً بتغيير الخطة، فأمر معاونه ورفيقه يوجين بجمع الرجال داخل خيمته في المعسكر الواقع على حدود الساحل أسفل الحصن الجنوبي، بعد أن تأكد من حضور كبار مقاتليه واجتماعهم حول الطاولة قرأ العقيد الشاب من خلال تفاصيل وجوههم المنهكة حجم خسارتهم الفادحة، كان يعلم بأن سقوط الحصن الجنوبي بيد العدو مجرد مسألة وقت، لهذا لا بد من تغيير مجرى المعركة بأي وسيلة، فأشار إلى الخريطة (١) المفرودة على سطح الطاولة التي اجتمعوا حولها:

- أعلم بأن فكرة التخلي عن الحصن الجنوبي تبدو مغرية الآن، لكن لا يمكننا فعلها، كما لا يمكننا قتالهم لمدة أطول في المياه المفتوحة ووسط هذه العتمة، إنهم يملكون الأفضلية علينا.

مُستمعاً إلى صوت قذائف مدفعية سفن الأعداء في الخارج تقدّم الملازم الشاب للفصيل الأول والذي يقف عن يمين ألكساندر ليقول مقترحاً:

- لم يبق الكثير على شروق الشمس، مجرد أسبوعين، إن صمدنا حتى ذلك الوقت فسيكشف الضوء لنا حجم أسطولهم بالكامل.

فأجاب يوجين من فوره:

- أسلحتهم أكثر تطوراً منا، كما أننا لا نملك المستلزمات المطلوبة للصمود لأكثر من يومين، الرجال منهكون والمصابون يحتاجون إلى الرعاية الطبية بأسرع وقت.

سأل الملازم الجديد للفصيل الخامس والذي انضم حديثاً تحت قيادة ألكساندر:

- ماذا عن فرقة الدعم؟ ألم نرسل بطلب التعزيزات من العاصمة

خفض يوجين رأسه هارباً من أعين الرجال من حوله:

- ستحتاج إلى خمسة أيام كأفضل تقدير.

في تلك اللحظة داخل الخيمة أدرك الجميع مدى سوء الوضع، ومعه طرح الكثير من الخيارات والحلول العقيمة، من موقعه على رأس الدائرة استمع ألكساندر إلى اقتراحات رجاله برحابة صدر بينما يُقَلِّب أفكاره ويقيس نتائج كل خيارٍ طرح على الطاولة أمامه، سرحت عيناه المنهكان بزرقة حبر الخريطة والذي حدد مسار حدودهم المائية، تفاوتت درجات لون الحبر على رقعة الخريطة ذكره بزرقة عيني ابنه المولود حديثاً، فغمره شعور دافئ بالسلام الداخلي تلاشت معه أصوات القذائف في الخارج لأن صوت زوجته وضحكات ابنه الرضيع كانت أكثر وضوحاً في مخيلته من كل شيء آخر، كم رغب بأن يكون بين عائلته الآن، متسائلاً كم فاته من تجاربه الأولى مع ابنه، بمساعدة كل تلك المشاهد السعيدة تمكن القائد الشاب من حسم قراره أخيراً، ففتح فمه بعد صمتٍ بدا طويلاً ليوجه حديثه إلى يوجين:

- يوجين أريدك أن تذهب إلى المعسكر المقام في قرية فيشرمان.

ثم أخرج بعض الأوراق والحبر ليبدأ بكتابة خطاب إلى القائد هناك، بصمتٍ تامٍ تتبع رجاله بأعينهم ما خطه على الأوراق حتى وصل إلى النقطة التي يقترح بها وقف إطلاق النار من المعسكر الآخر وترك مواقعهم، ففتح ملازمُ الفصيل الخامس فمه معترضاً:

- ولكنك بذلك ستسمح لأسطول الأعداء بالتقدم عميقاً حتى

مصبتٍ نهر آرثيريا.

ودون أن يُجيب أشار ألكساندر إلى الخريطة، وضع إصبعه على اللون الأزرق هناك، ففهم الرجال مراده، مُلياً لأمر صاحبه وقائده انطلق يوجين مُبحراً تحت جناح الظلام إلى الجهة الأخرى بالاستعانة بأحد الزوارق الصغيرة حتى يُسلم القائد هناك تفاصيل

خطة ألكساندر ولتبدأ بعد ذلك لحظات الانتظار، هل سيقبلُ قائدُ معسكر قرية فيشرمان والمعروف بغطرسته بخطة ألكساندر؟ أم سيكون له رأي آخر؟ كانت تلك مجازفة كبيرة ورهاناً أكبر قَبِلَ به كل أتباع ألكساندر في معسكر الحصن الجنوبي، لقد وثقوا بقائدهم وبمقدرته على قراءة الموقف بالكامل للخروج بهم إلى بر الأمان، والأهم من ذلك هو تحقيق النصر.

في اليوم المحدد ترك ألكساندر ورجاله معسكرهم فظهر ما تبقى من خيامه المهجورة ككلاذ للأشباح من خلال عدسة منظار قبطان سفن الأعداء، أزاح القبطان المغمور ذو رقعة العين الجلدية المنظار وأشار لرجال طاقه بإرسال إشارة مدفعية في السماء، ودون تأخير نفذ الطاقمُ أوامره مُطلقين بذلك بقذيفة مُضيئة في عتمة سماء الليل لتُنير لهم منظر الساحل الفارغ، بعد أن ظهرت له تفاصيل المعسكر المدمر تحدث القبطان إلى نائبه بكل نقر:

- لم تتحمل خيامهم قوة قذائف مدفيعتنا، لهذا على الأرجح انسحبوا للاحتماء خلف جدران حصنهم الجنوبي.

مُتفقداً المخيم بدوره من خلال عدسة المنظار قال نائب القبطان:

- لكن قذائفنا على وشك النفاد، فما هي الأوامر أيها القبطان؟

كاشفاً عن صف أسنانه ابتسم القبطان وكأنه يرى النصر يلوح في الأفق:

- لا بأس، القذائف القليلة المتبقية ستفي بالغرض، اتركها مع نصف الأسطول هنا، وسنتقدم بالنصف الآخر مُجتازين جزيرة بيرل بيتش ونرسو على حدود الشاطئ من بعدها، ارتفاع الأرض شمال الحصن سيعطينا اليد العليا للهجوم براً من الشمال، بينما يحكفل بقية سفنتنا بالجنوب من رشقهم بما تبقى من قذائفنا...

ضحك القبطان وهو يتخيل منظر الدمار ليُكمل قائلاً:

- وقبل أن يدركوا سيكونون قد وقعوا بين فكي الكباشه.
ومع أمر القبطان تقدم الأسطول شمالاً، أُنزلت الأشرعة
السوداء، وتحركت السفن الضخمة بهدوء مُخترقةً عتمة الليل،
قطعت مسافةً لا بأس بها وسط المياه الراكدة لتجتاز جزيرة بيرل
بيتش فاستعد الطاقم للرسو بعدها ببضعة أميال.

مُستغلين ظلام الليل لصالحهم كان رجال ألكساندر بالانتظار،
استند العقيد الشاب ملاصقاً للحجر كبير قبالة الشاطئ وبجانبه
ملازمًا الفصيل الأول والخامس، بينما توزع بقية الرجال على
طول خط الساحل، كان بإمكانهم رصد أسطول العدو يقترب
مُخترقاً مياه الخليج لتمضي دقائق الترقب بطيئةً ومحملةً بشحنات
التوتر من كلا الجانبين، ابتلع الملازم الأول ريقه الجاف وجَهَزَ
قوسه وسهامه ليتبعه بقية الرجال بعمل المثل، حاول جاهداً
الحفاظ على هدوء أعصابه أمام رجاله ودفع بقلقه بعيداً حتى لا
يلاحظه أي منهم، إلا أن توتره كان جلياً أمام قائده ألكساندر،
فابتسم العقيد ليسأل وهو يُشير إلى الخاتم بيد الملازم الشاب:

- كم من الأبناء لديك؟

أُنزل الملازم يده وحدّق بالخاتم في إصبعه، لُجيب بابتسامة
باهتة:

- اثنان، صبيٌّ وفَتاة.

ما كان من ألكساندر إلا أن يضع يده على كتف الملازم اليافع
ليقول مُطمئناً إياه:

- لا داعي للخوف، أعدك بأنك ستري عائلتك من جديد.

مُتشبثاً بيريق الأمل المنبثق من وعد قائده، ابتسم الملازم بدوره
ليسأل قائده:

- ماذا عنك حضرة القائد، هل لديك عائلة لتعود إليها؟

أدار ألكساندر رأسه ناحية الشاطئ المُظلم لُجيب بوجه مُشرق:

- قبل فترة قصيرة رُزقت بابن يملك عينين تحملان زرقه هذه المياه.. لهذا...

ثم استدار ليوأجه الملازم وهو يتابع قائلاً:

- لهذا أريد أن أعود إليه وإلى والدته مُكَلَّلًا بالنصر.

وفجأة سمع الجميع صوت فرقة الأخشاب، كانت تلك هي اللحظة التي انتظرها ألكساندر، بعد أن فتح المسار أمام أسطول العدو ساعحاً لهم بالتوغل شمال خليج الصيادين حيث كانت المياه ضحلةً وغير مناسبة لحجم سفنهم الضخمة، علقت بالصخور من أسفلها مما شلَّ حركتها بالكامل، فرفع ألكساندر ذراعه ليصرخ عالياً:

- ليبدأ الهجوم—وم!!

أضيت مع إشارته المشاعل الصغيرة على طول خط الساحل الغربي، وأشعلت معها رؤوس سهام الرماة، لتبدأ الرشقات الأولى محملةً بالنيران الملتببة ناحية السفن العالقة، استقبل الأعداء وابل السهام المشتعلة من كل حذب وصوب، فسقط بعضهم في المياه، بينما تمكن البعض الآخر من الاحتماء بأي شيء من شأنه أن يصد تلك السهام الحارقة، من موقعه أمام دفة السفينة الأولى أمرَ القبطان طاقه بتلقيم بنادقهم للرد السريع على الهجوم، وعلى عكس السهام التي تصوب عالياً لتنزل كقطرات المطر من الأعلى عجزت طلقات العدو عن اختراق الحواجز الحجرية التي اختبأ خلفها رجال ألكساندر بالتالي لم يُصب إلا القليل منهم، غير أن خطته ما كانت تعتمد على صمودهم بهذه الطريقة، وبالفعل وكما توقع ألكساندر بدأت مدافع الأعداء بالظهور من الفتحات الجانبية للسفن، تحركت فوهات ثلاثة منها ناحيته ورجاله، فأمرهم بالتراجع:

- تراجعوا إلى الخلف بسرعة.

كرَّر كلُّ ملازم الأمر لفصيله إلا أن الضربة الأولى أتت

موجعةً بعد أن انفجرت إحدى القذائف قريبةً من رجال
 الفصل الثاني، والذي كان متخلفاً بتنفيذ الأوامر، فتناثرت
 أجزاؤهم المتفجحةً عاليًا في الهواء قبل أن تساقط نزولاً مع
 دماهم كقذائف حممٍ بركانٍ ثائر، وسط تلك الفوضى توقف
 ألكساندر عن التراجع بعد أن انتبه إلى نقطة مهمة، بالمقابل صرخَ
 به ملازمًا الفصل الأول والخامس حتى يتراجع، إلا أن العقيد
 ظل ثابتاً ينظر إلى سفن الأعداء بتحدٍ صريح، حدد هدفه ليلتقط
 قوسه وسهمه بعد أن أشعل رأسه، ليشد وتره إلى الورا ويقلته
 بكل ثقة، انطلق سهم ألكساندر الذي شق برأسه الملتهبة سوادَ
 الليلة الظلماء فانغرس عميقاً في صدر نائب القبطان، اخترق رأس
 السهم صدر الرجل فوق صريعاً بجانب القبطان الذي اصطكت
 أسنانه غيظاً، صرخَ عاليًا على أفراد طاقه لتلقي كل المدافع فلم
 يستجب له الرجال، نظروا إلى بعضهم البعض بارتباك ليتقدم
 أحدهم مخاطباً القبطان:

- ألم تأمرنا أيها القبطان بتجميع ما تبقى لدينا من الذخائر في
 سفننا التي تنتظر جنوباً؟

جفت الدماء في عروق القبطان المغمور بعد أن أدرك خطأه
 الفادح، ليسأل متجاهلاً أنين رجاله المصابين بين ألسنة النار
 المستعرة على سطح سفينته:

- كم تبقى لدينا من ذخيرة المدفعية؟

- الطلقات الثلاث قبل قليل كانت آخر ما لدينا.

على الضفة تأكد ألكساندر من صحة استنتاجه، فلو كانت
 سفن العدو تملك المزيد من القذائف لما أضاعت الفرصة برشقهم
 بثلاثٍ منها فقط، هذا بالإضافة إلى أنه لم يحصل على ردٍّ على
 سهمه الذي أطلقه للتو، لهذا أمر رجاله بالعودة إلى مواقعهم،
 عليهم الاستعداد للمواجهة الأخيرة، من جهته أمر القبطان طاقه
 من الرماة بتلقيم بنادقهم والثبات على سطح السفينة لحمايتهم من
 الأعلى، بينما سيذهب هو مع البقية إلى الشاطئ مستعيناً بزوارق

النجاة، أُنزلت القوارب من كل السفن امتثالاً لأمر القبطان، فلامست سطحَ المياه المضطربة والتي لمعت عاكسةً ألسنة اللهب المشتعلة، أما على الجهة الأخرى فعاد رجال ألكساندر لرشق أعدائهم بجولة ثانية من السهام المشتعلة، كان هدفهم إصابة أكبر عدد ممكن من طاقم الأعداء قبل بلوغهم الشاطئ، فتساقط رجالهم كالذباب في عمق المياه الضحلة ما بين جريخٍ وصريعٍ، إلا أن عدداً لا بأس به تمكن من بلوغ الشاطئ، ترجل القبطان مُزجراً من قاربه حتى قبل بلوغ اليابسة، وتبعه من خلفه رجاله يصرخون بأعلى صوته، فاندفع ألكساندر ناحيتهم مُستلاً سيفه مع بقية رجاله ليشتبك الجيشان معاً، تلاحت السيوف وتداخل صوتهما مع صيحات الرجال من كل مكان، انتشرت رائحة الدماء وامتزجت مع مياه الخليج أسفل أقدام الجميع، ووسط تلك المعركة برز في وسطها ألكساندر الذي وقف صامداً أمام القبطان ذي رقعة العين، كان نزالاً مُتكافئاً لم يتفوق به أحد الطرفين على الآخر، ولكن ولسبب ما بدأ رجال العدو بالإطاحة برجال جيش ديمونتريا، كانوا أكثر شدةً ووحشيةً بطريقة تفوق المنطق، لهذا تراجع الكثير من رجال ألكساندر، حتى إن بعضهم رمى بسلاحه أرضاً ليفرّ هارباً من الموقف برمته، ووسط قتاله حاول ألكساندر أن يحثّ رجاله على عدم الاستسلام ومواصلة القتال، دفع بالقبطان بعيداً ثم قال بصرامة:

- اصمدوا قليلاً، فلم يتبقَّ إلا القليل.

ومن بعيد لوح ملازمُ الفصيل الأول بسيفه ليشقّ الهواء ومعه رأس خصمه ففصله عن عنقه، ثم رفع سيفه الدامي في الهواء مُكرِّراً ما قاله قائده ألكساندر:

- اصمدوا يا رجال.

اندفع بعدها الملازم الأول كوحش نائر مُحترقاً قوات العدو، من بعيد وجه أحد رماثهم فوهةً بندقية ناحية الملازم وأطلق، إلا أنه أخطأه فانتبه ألكساندر لذلك، شاهد الرامي وهو ينحني

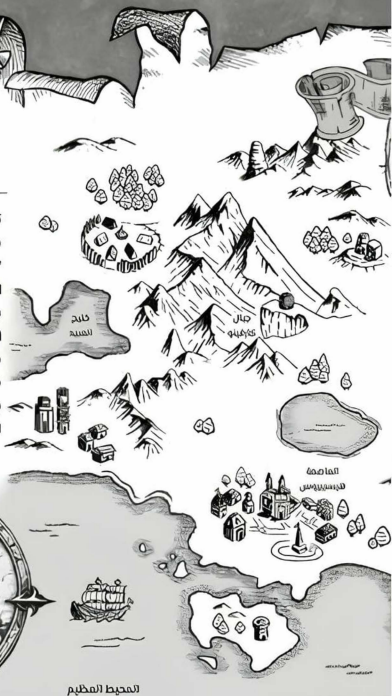
من أجل تلقيم بندقيته مُجدِّداً، فاستدار ألكساندر مُتفادياً سيف
القبطان وطعنه في خاصرته، غرس نصل سيفه هناك وحركه إلى
الأعلى مُخترقاً لحم وعظام كتفه حتى فصلها عن بقية جسده،
واصل سيفه شق طريقه صعوداً إلى أعلى ليبلغ أذن القبطان
فقطعها، طارت وحلقت معها رقعة عينه الجلدية، وبشكل سريع
هرع ألكساندر ناحية الملازم باللحظة التي تمكن خلالها الرامي من
إعادة تلقيم سلاحه، فأطلق على الزناد ليردد صدى صوت تلك
الطلقة عالياً.

على سطح المياه عامت رقعة العين الجلدية وسط بحر من
الأشلاء والدماء.



مملكة ديمونترا

تقع "ديمونترا" في أقصى شمال المعمورة وعاصمتها "هيسبيروس"، تحدها من الشرق مملكة "إساليا"، بحيث تتشارك معها بعض الحدود البرية والبحرية، أما من ناحية الجيوب فتقيم مملكة "إريموس" ويفصل بينهما منطقة متنازع عليها لقعود طويلة.



البحر المظلم



ما بين الحقيقةِ والخيال تنبثقُ سطورُ حكايتنا على أوراق
الحياة، تنسج من حروف كلماتها حكايةً تروي لنا قصةَ مخلوقاتٍ
أسطورية عاشت بين ظلالنا، واقتاتت على دماء بني جنسنا،
أطلقَ عليهم اسم "مخلوقات الليل".

الفصل 1 : فتاة عنيدة.

الفصل الأول: فتاة عنيدة

تَسَلُّ الضوء الخافت للشمس بين أغصان الأشجار الكثيفة، وتمايلت أوراقها اليابسة مع نسيمات الهواء الباردة، فعجزت بعضها عن التثبيت بأغصانها لأكثر من ذلك واختارت السقوط على الأرض الموحلة، استقرت إحداها فوق بركة ماء صغيرة، ودارت تلك الورقة الملتوية كقارب صغير في وسط الماء العكر، أبحرت بحرية إلى أن داستها تلك الجزمة الموحلة وأنتهت رحلتها التي لم تبدأ حتى، تحرك صاحب الجزمة وتوغل أكثر في الغابة، يرتدي بعض الخرق البالية والتي بالكاد تقيه من موجة البرد التي ضربت المنطقة، تلثم جيداً ولم يظهر من وجهه سوى عينيّه الغائرتين، عدل وضعيه حقيقته المثبتة على ظهره مع قوسه وسهامه، وشد من قبضته على خنجره وهو على أهبة الاستعداد لأي هجوم مُترقب، بعد أن تجاوز بعض الأشجار التي ظهرت على جذوعها الكثير من الخدوش الجديدة، تحرك الرجل شمالاً سالكاً بذلك طريق الجبل، موطن العديد من الحيوانات الضارية والقليل من عشائر البشر، وصل إلى كهف صغير فدخله وكأنه يألف المكان، رمى الرجل بحقيقته ومعها قوسه وسهامه جانباً، ثم جلس قبالة مجموعة من الأحجار المصقوفة حول كومة من الرماد، ففرس خنجره بها وحركه، تصاعد دخان بسيط ومعه بان الجمر المشتعل أسفل الرماد، تنهد الرجل بانزعاج وهو يرمي ببعض الأغصان الجافة في كومة الجمر، فاشتعلت نار بسيطة أنارت جزءاً من الكهف المظلم، وأرسلت بعضاً من دفئها ليديه المتجمدتين، عندها أزال اللثام من على وجهه وقال بصوته الغليظ:

- ألم أخبرك بأن تُحافظي على النار مُشتعلة؟

تحرك جسد ضئيل في الجانب المعتم من الكهف، واستقام من موضعه مُقرباً من الرجل لتحدث صاحبتة بثقة:

- وأخبرتني أيضاً ألا ألفت الأنظار، والنار المُستعرة ستفتضح

مكاننا.

أخرج الرجل كيساً صغيراً به بعض البخور ونثره على النار بينما جلست الفتاة بجانبه، فبان جسدها من خلف سحابة البخور ضئيلاً مُقارنةً بحجمه الكبير، تربعت الفتاة بطريقة صيبانية ومدت يدها ناحيته وهي تسأل:

- ما الذي أحضرته لي؟

تجهّم وجه الرجل دون أن يحيدَ ببصره عن النار أمامه، ثم قال بنبرة دلت على غضبه:

- النار ستحميك من الوحوش الضارية، لهذا عليك الحرص على إبقائها مُشتعلةً.

نظرت الفتاة إلى النار أمامها، فراقصت ألسنتها الحمراء في مقلتيها الواسعتين قبل أن تقولَ بهنّ:

- لا تخف على نارك وأجبنّي، هل أحضرت لي هديةً من رحلتك؟

أطلق الرجل زفرةً عميقة ومدّ يده إلى حقيته، فأخرج صرةً جلديةً ورمّاها بحجر الفتاة، ابتهجت الأخيرة وفتحت الصرة على عجالة، قلبتها بيدٍ لتسقط محتواها براحة يدها الأخرى، وما لبثت حتى عبس وجهها لتسأل:

- ما هذا؟

ابتسم الرجل من تعبير وجهها وأجاب:

- هذا ما تضعه الفتيات على شعورهن هذه الأيام.

أمسكت الفتاة بدبوس الشعر المرصع بالجواهر، رفعته إلى مستوى نظرها، وحدّقت بأججاره الزاهية بعين واحدة بينما أغلقت عيناها الأخرى كأنها تنظر عبر عدسة منظار، فقالت متسائلةً:

- ما بال فتيات المدينة، أيُحِبُّنَ تعذيب أنفسهنّ لهذه الدرجة؟

ثم أعادت الدبوس إلى الصرة بخفية أمل وقالت:

- المرة السابقة أحضرت لي ذلك الحزام عديم النفع..

فقاطعها الرجل مُصَحِّحًا:

- مشدٌ وليس حزامًا.

اتكأت الفتاة على ساعديها اللذين مدَّتْهُمَا إلى الخلف وقالت

بتلمليل:

- حزام أم مشد، لا يُهم، لقد كان أداة تعذيبٍ لا أكثر، وهل

تحتاج الفتاة لكل تلك الأدوات حتى تشعر بالانتماء لجنسها؟

أدار الرجل رأسه ناحيتها ورمقها من رأسها إلى أنحاص قدمها،

نظر إلى شعرها الفضّي القصير، وملابسها البالية، جزميتها الكبيرتين

مُقارنة بساقها النحيلتين، ثم تأمل تفاصيل وجهها الدقيقة والتي لا

تنتمي لبشرتها السمراء، إنها اندماجٌ لعرقين لم يكتب لهما التوافق،

ومع ذلك أنتجا مثل هذا الجمال، فقال باسمًا:

- ربما تكونين مُحَقَّةٌ في هذا.

أخذ الرجل الصرة منها وقال مُقترحًا:

- يُمكننا بيعه والحصول على شيءٍ يؤكل بالمقابل.

اعتدلت الفتاة بجلستها وقد راقبتها فكرته، ثم غيّرت الموضوع

لتسأل بحماسة أكبر:

- أخبرني الآن كيف كانت الرحلة؟ ما هي أخبار العاصمة؟ هل

من جديد؟ ولم عدت سريعاً هذه المرة؟

ضحك الرجل وهو يسعل بشدة، فأجابها بينما يضع قبضة يده

على فمه قائلاً:

- ها قد بدأنا، يوماً ما سيقتلكِ فضولك.

عبست الفتاة وربعت ذراعيها لتقول بتجهم:

- جرّب أن تُحبس هنا لوحداك وعندها سيكون لنا حديث آخر.

اختفت ابتسامته وسعل مُجدداً فوضع يده على صدره:

- ومن قال بأنك حيسةٌ هنا أنتِ حرةٌ بالذهاب لأي مكان وبأي وقت.

لم تكن الإجابة التي أرادت سماعها، ومع هذا اقتربت منه ومسحت على ظهره بقلق:

- ومن سيعتني بك إذا تركتك؟

أخذ الرجل شيئاً عميقاً ثم زفر، نظر إلى الفتاة والقلق المرتسم على وجهها بسببه، لاحظ كيف زالت ابتسامتها بلحظة وحل العبوس محلها، فضاقت صدره أكثر، أبعد يدها وقال بنبرة جعلها تخلو من المشاعر قدر الإمكان:

- لست بحاجة لمن يعتني بي، كما أنني أقضي معظم الوقت بالسفر من دونك، فلماذا سأحتاج إليك؟

وبسخط مدّت الفتاة يدها إلى جيبيها وأخرجت علبة معدنية صغيرة، رمتها بجانب الرجل ثم استقامت من موضعها وأدارت ظهرها قائلة:

- هذا دواؤك لقد حضّرت لك، لا تنس أن تأخذه.

قالت ما بجعبتها ثم ابتعدت لتعود إلى زاويتها المظلمة، أمسك الرجل بصدره وهو يحاول كتم سعاله قدر المستطاع، ثم مدّ يده الأخرى والتقط العلبة المعدنية، ضغط عليها بقبضته الكبيرة حتى كاد أن يهشّمها، إلا أنه تمالك أعصابه وحشرها في جيبه، حرك النار بنصل خنجره وعاد ليقول بمرح رغم ألم صدره:

- اعتقدت بأنك أردت أن تعرفي تفاصيل الرحلة، لكن يبدو بأنك لست بمزاج لذلك.

راقبها بطرف عينه، وعندما لم يحصل على أي استجابة منها، ضغط براحة يده على الأرض وهم برفع جسده والنهوض من موقعه، عندها صرخت الفتاة به لتوقفه:

- انتظر..

فعادت وجرت لتجلس بقربه وقد تبدل مزاجها مُجدداً،
فضحك الرجل وضحكت معه عيناه:

- هه فتاةٌ عنيدةٌ..

لم تقل الفتاة شيئاً من شأنه أن يُغير دفعة الحوار فقد كانت
مُسعدةً لسماع تفاصيل رحلته، فأمسك الرجل بذقنه غير المُشدّبة
وحكّها ليقول مستذكراً:

- حسناً من أين أبدأ، لقد تغيّرت العاصمة عن آخر زيارة، المباني
تستمر بالنمو لدرجة أخشى أنها قد تُنافس الجبال بعلوها في يوم
ما، كما أن قاطنيتها بتغير أيضاً، طريقة لباسهم، حديثهم، وأسلوب
حياتهم، كل شيء تطور خلال فترة وجيزة.

رفع الرجل خنجره الذي كان لا يزال بيده، ثم حدّق بقوسه
المرمي جانباً ليكمل:

- حتى الأسلحة لم تسلم من هذا التغير، قلّ مُستخدمو السيوف
والرماح، وازداد انتشار الأسلحة النارية، والمُضحك المُبكي
بأن معظم الرجال يتباهون باقتنائها كما تتباهى النساء بارتداء الحليّ
والمجوهرات، باتت مجرد كاليات يُستخدمونها لإعلاء شأنهم أمام
من هو أقلّ منهم مكانةً.

- ما هذه الأخبار البائسة؟

شعرت الفتاة بضجر، فسعل الرجل قليلاً ثم قال بنظرة خبيثة:

- هناك أمر قد يُبهجك.

- حقاً، لا تقل لي بأنهم أصبحوا يربون الحيوانات للتسلية الآن؟

قالتا بسخرية، فرمقها الرجل وقد ضيق جفن إحدى عينيه
ليجيبها مازحاً:

- كيف عرفتِ بأنهم باتوا يفعلون هذا؟

- ماذا!

ضحك الرجل وهو يرى علامات الاندهاش ترسم على وجهها
كونها قد أصابت بتوقعاتها دون قصد، فقال:
- لا، لا.. هنالك أمرٌ آخر..

مدَّ يده إلى حقيبتة وأخرج ورقةً مطويةً، سلَّها للفتاة ففتحتها
وحدَّثت بالكتابة التي عليها تارةً، وإلى وجه الرجل تارةً أخرى، إلى
أن أزاحتها في النهاية من أمام وجهها لتقول:

- أأسخر مني؟ تعلم بأنني لا أجيد القراءة.

أشار الرجل إلى الورقة مُفسراً:

- إنه إعلانٌ لاختبار الفرسان، سيقام بالتزامن مع المهرجان
السني.

رفعت الفتاة كتفها ومطت شفيتها بغير اهتمام:

- مجموعةٌ من أولاد النبلاء المدلَّين سيقدمون عرضاً مسرحياً
أمام صفوة القوم، ما هو المبهج بذلك؟

متجاهلاً سخريتها الواضحة، رفع الرجل ثلاث أصابع أمامها ليقول:

- سنرحل بعد ثلاثة أيام إلى العاصمة، كوني مُستعدةً لأنك
سترافقيني هذه المرة.

ودون أن يُعطِها أي تفسيرٍ آخر نهض من مكانه وقصد زاويته
في الكهف، عدَّل كومة القش الجافِ هناك ورمى بجسده عليها
قائلاً:

- أنا مُتعبٌ من الرحلة، سأشرح لك كل شيء فيما بعد يا ميا.

نظرت إليه ميا بغير فهم، كانت ستُغرقه بوابلٍ من الأسئلة لولا
أنها سمعت صوت شخيره المزيج، فتهدَّت مُحَدِّثةً نفسها بتهكم:

- ياللسعدي!، سأتمكن من مقابلة فتيات العاصمة أخيراً.

مضت الأيام الثلاثة وقد قضى الرجل معظمها بالنوم، بينما
كانت ميا تُجهِّز العتاد استعداداً للسفر، الطعام، الأسلحة،

الملابس، وبالتأكيد لم تنسَ أعشابها وأدويتها، حملت حقيبتها على ظهرها ووقفت عند مدخل الكهف تُراقب الرجل وهو يتناول طعام الفطور على مهل، وما إن انتهى حتى أخذ يُمدد فقرات ظهره بكسل لينهض أخيراً، حمل حقيته وتجاوز مِيا إلى خارج الكهف ليقول ببهجة:

- تُعجبني حماسك للرحلة، هيا بنا.

تبعته مِيا بوجه مُتجهِم وهي تقول ساخرة:

- بالتأكيد فأنا مُتلهفة لرؤية مسرحية النبلاء تلك..

ثم رفعت يدها وأشارت بإصبعها إلى السماء مُفسِّرة:

- كُلُّ ما في الأمر أنني أردت الانطلاق قبل هطول المطر.

رفع الرجل رأسه وراقب السحب البعيدة والتي كانت تندو من الشمال ناحيتهما ليقول باسمًا:

- ستلحق بنا الأمطار بكل الأحوال.

قطع الاثنان مسافة لا بأس بها، وأصبحا على أطراف الغابة، تمكَّنا من اجتياز الجزء الأصعب من الطريق، وكُلُّما ابتعدا عن الجبال بانث لهما مظاهر الحياة أكثر فأكثر، وثبت مِيا فوق جذع شجرة كبيرة فلمحت ما بدا لها أرنبًا سميك الأذن (2)، فانحنت بحذر وعيناها على الطريدة، تابع الرجل تحركاتها من الخلف بعد أن اجتاز الجذع لتَوِّه، فأنزَل حقيته على مهل وجلس على الجذع مُراقبًا بصمت، بينما تحرَّك الأرنب بين الحشائش الطويلة، فتسلَّلت مِيا من خلفه وهي تحمل رمحها الخشبي، وفي اللحظة المُناسبة رمت برمحها بحركة سريعة فأصابَت الأرنب في مقتلِه وسقط صريعاً بنفس اللحظة، قفزت الفتاة مُهللةً لنجاحها، فقال الرجل وهو يمد يده لالتقاط حقيته:

- تحسنت مهارتك في الصيد كثيرًا.

رفعت مِيا الأرنب الصريع من أذنيه عاليًا لتقول وهي تستدير

ناحية الرجل:

- ماذا كُنت تعتقد أنني أفعل خلال غيابك؟ أتدرب بالطبع.

نهض الرجل مُتَبَسِّمًا دون أن يردَّ عليها، وعندما وضع حقيبته على ظهره تَسَمَّرَ فجأةً في موضعه، اتَّسَعَت عيناه وتَلَفَّت بحذر بالغ، فأشار لِمِيا بآلا تتحرك، امثلت الفتاة لأمره وأنزلت الأرب أرضاً، انحنّت بجسدها فتوَّارت بين الحشائش الطويلة وأخذت تُراقب مُحِيطها، مرَّت الدقائق دون أن ترصد مِيا أي شيء مريب، فلَوَّحت للرجل مُستخدمةً لغة الإشارة بأنها لا تسمع أو ترى أي شيء في الجوار، غير أنه رفع يده بالهواء عاليًا على شكل قبضة، إنها إشارة منه لها يُكرِّر أمره بعدم الحركة فما كان منها إلا الامتثال لأمره، هي تعرف جيدًا بأنه لا يمزح في مثل هذه المواضع، وجفأة سمع الاثنان صوت صراخ بعيد طارت على إثره مجموعة من الطيور فزَعًا فتساقط ريشها حول مِيا، والتي أشارت بيدها ناحية الشرق تُخبره بأن الصرخة صدرت من هناك، جرى الرجل بسرعة فائقة باتجاه مصدر الصوت وتبعته مِيا من فورها، كدَّب هائِج ضرب الرجل بخنجره أغصان الأشجار مُبعدًا إياها عن طريقه، وخلال لحظات وجد الاثنان نفسيهما يقفان على أطلال قرية مهجورة تخلو من مظاهر الحياة، لا شيء غير الهدوء القاتل والذي فرض نفسه على المكان، تقدمت مِيا بأنفاس مُنقطعة بسبب الجري، لكنها توقفت بعد أن مدَّ الرجل ذراعه أمامها مانعًا إياها من التقدُّم أكثر ليقول بصوت مُنخفض:

- الهدوء لا يعني زوال الخطر.

رفعت مِيا رأسها ونظرت إلى مدخل القرية شبه المتفحم والذي مازال ينتصب شامخًا رغم الخراب، فسألت:

- أليست هذه قرية إِستوود؟

أوما الرجل برأسه إيجابًا ثم قال:

- ما تبقى منها على أي حال.

بدأت قطرات المطر بالهطول كما توقعت ميا، فرقعت السماء من فوقهما، فأزاح الرجل ذراعه وأمر الفتاة بأن تنتظره هنا، لكن بعد التفكير وجد أنه من الخطر تركها وحدها، فأشار لها بأن تتبعه بحذر، توغل الاثنان أكثر بين بقايا المنازل المحترقة، سارا حتى انتهى بهما الأمر في مُنتصف الساحة العامة، فأشارت ميا لتحت موطئ قدمها، كانت هنالك بقع من الدماء الحديثة اختلطت مع قطرات المطر، شكَّلت تلك البقع أثراً يقود إلى أحد المنازل، فلاحق الاثنان بالأثر ودخلا المنزل، عندها سمعا صوت بكاء طفلة ما بداخله، تقدَّم الرجل أكثر فشاهد خلف الطاولة التي توسَّطت المكان طفلة بعمر السنة تقريباً، مُتَشَبِّهة بملابس والدتها التي تستند على الحائط بزاوية الغرفة، وفيما يبدو أن الأم قد فقدت وعيها نتيجة إصابة أَلْت بها، فالدماء تُغطي ملابسها بغزارة، حاول الرجل الاقتراب لكن الطفلة ارتعبت من منظره وأخذت تبكي بصوت مرتفع، نخباً خنجره بعيداً ورفع يديه أمامه مُحاولاً تهدئتها، ومن دون فائدة راحت الصغيرة تبكي بلا انقطاع، فتقدمت ميا بعد أن رمت برمجها أرضاً واحتضنت الطفلة بلطف، مسحت على رأسها بحنان، ضمَّتها إلى صدرها وراحت تُغني لها، صوتها العذب اخترق روح الصغيرة فهدأت أنفاسها المضطربة وتوقفت عن البكاء أخيراً، أحكمت قبضتيها الصغيرتين على ملابس ميا وتشبَّث بها ولا يزال جسدها ينتفض خوفاً، أدارت ميا رأسها ناحية الأم فاقرب الرجل وجثا على ركبته مُحاولاً تفحص إصابتها، فسألته الفتاة بعينين دامتَين:

- هل ماتت؟

هز رأسه نائفاً وهو يُحاول تحديد مصدر الإصابة:

- لا، لازالت على قيد الحياة.

وجفاة توقف عما كان يفعله وابتعد عن الأم بجزع، بأنفاس مُتصاعدة أمسك بذراع ميا وأبعدها والطفلة ليقول بحزم:

- ميا خُذي الطفلة إلى الطابق العلوي في الحال.

- لكن..

- من دون لكن، أسرع.

نهرها غاضباً، حملت الطفلة التي بكت مُجدداً بسبب صوته المرعب، اضطربت أنفاس ميا ولم تتمكن من إزاحة عينيها عن الأم، لكنها سرعان ما تمكنت من للممة شتات نفسها فاستدارت ناحية الدرج من أجل تنفيذ الأوامر، خطوة واحدة وما خطت غيرها حتى قالت بصوت مُرتجف:

- عمّا..

كان بهم بإخراج خنجره عندما أجابها:

- أخبرتك بأن...

لم يكمل الرجل جملة بعد أن شعر بشيء ما خلفه، ازدادت شدة المطر في الخارج لتضرب صاعقة قوية مُنيرة السماء ليظهر معها ظلٌ انطبع على الجدار أمام الرجل، فاستدار على مهل ناحية صاحب الظل الذي يسد مدخل المنزل، كانت ميا مُتسمرة أمامه تحمل الطفلة بين ذراعيها، نفاطها بحذر:

- ميا ابتعدي على مهل.

انحنت ميا بجسدها والتقطت ربحها الذي كان على الأرض، رمقت ذلك الشيء أمامها بنظرات حارقة وقد تحول خوفها إلى غضب عارم، من ثم وجهت سؤالها له:

- هل أنت من قام بأذية أم هذه الطفلة؟

- ميا..

صرخ بها الرجل من خلفها، بينما انتصب ذلك الكيان دون حراك ليسد المدخل، وقف صامتاً لدقيقة قبل أن يقرر أن يخطو إلى الداخل، وضع قدمًا واحدة فبانت أظافره الطويلة من تحت عباءته، مد يده البيضاء وأمسك بإطار الباب الخشبي، ضمه بأصابعه النحيلة والطويلة فتهشم جزء منه وسقط الفتات أرضاً،

تقدم ذلك الشيء أكثر وعندما أصبح في الداخل أزاح الغطاء عن رأسه، انساب شعرها الحريري وبان وجهها الملائكي جلياً، لمعت عيناها بلون الياقوت الأحمر ثم جعل الرجل يندفع إلى جانب ميا ليقول بنبرة صارمة:

- ميا إن أردت ألا تُلَاقِي هذه الطفلة مصير والدتها نخلديها للأعلى في الحال.

ابتسمت مخلوقة الليل وبانت أنيابها الدامية من بين شفثيها، عندها سألت ميا وقد أدركت كينونة ذلك المخلوق:

- عماء هل هي؟

أوماً الرجل برأسه مجيباً:

- نعم.. هل تذكرين كل ما علمتِك إياه.

أوماًت له بأنها لم تنسَ، فتركت رمحها الخشبي له وجرت مُسرعةً ناحية الدرج وهي تقبض على الطفلة بقوة، صعدت ميا الدرجات المهترئة وكادت أن تقع عدة مرات بسبب انخسار جزمها بفتحات الدرج المتآكل، انساب العرق من على جبينها وهي تستمع لصوت الرجل الذي بدأ يُسَوم تلك المخلوقة على أخذ الأم فقط وتركهم وشأنهم، وصلت ميا إلى الدور الثاني وقصدت إحدى الغرف السليمة، وجدت كرسيّاً خشبياً فأمسكت به ورمته بكل قوتها على الجدار، بعد أن تحطم إلى قطع صغيرة أخذت إحداها وجلست مُسندة ظهرها لأحد الجدران، أغمضت عينيها وشدت ذراعها لتعصر الطفلة بحضنها، أما في الأسفل فقد وصل الحوار إلى نهايته بعد أن رفع الرجل رُمح ميا الذي تركته خلفها، صوبه أمامه ليقول:

- لن أدعِكِ تمسّين الفتاتين بأي سوء.

اتسعت ابتسامة كورفينا وهي ترفع رأسها ببطء إلى الأعلى، حدّقت في السقف بطريقة مريبة، ثم قالت بنبرة مُستفزة:

- يَدْهَلَنِي إيمانك بأنهما ستكونان بآمن في الأعلى.

في الأعلى فتحت ميا عينها ورفعت رأسها، فتسارعت دقات قلبها بسرعة هطول قطرات المطر خارجاً، انتفضت فزعاً عندما وقع نظرها على النافذة الجانبية في الغرفة، برقت السماء خلف جسم ما يجثو كالقط على إطار النافذة المفتوحة تزامن مع علو صوت ضحكات كورفينا في الأسفل وهي تنطق باسمه بسعادة غامرة:

- ليون.

وهج عين ليون اليسرى هو كل ما رآته ميا، بينما اختفت تفاصيله بسبب ظلمة الغرفة، رفعت الفتاة الورد الخشبي أمامها، عندها أدارت الطفلة رأسها، فبكت وهي تشير بيدها ناحية ليون الذي قبع كتمثال حجري في موضعه، ومن الأسفل سمعت ميا صوت الرجل يصرخ بها لتهرب، لكن أين المهرب؟ تمت محاصرتهم بهذا المنزل، وخلال لحظات وصل إلى مسامعها صوت المعركة في الأسفل، تحطم الخشب، امتزج مع صراخ الرجل وضحكات كورفينا المستيرية، ومع هذا لم يتحرك الجاثم على إطار النافذة شبراً واحداً، وظلت عينه المتوهجة حمرة تراقبها كضوء المنارة وسط ليلة ظلماء، وبعد عدة دقائق من الصراع العنيف، أدار ليون رأسه ونظر إلى السماء وراءه، فارتد إلى الخلف وقفز ليثب على رجليه بكل رشاقة أمام المنزل، توقف المطر بينما كان ليون يتقدم ناحية الباب، أطل بوجه يخلو من أي تعبير وعائى القوضى التي خلفها صراع كورفينا مع الرجل، وجدها وقد انقضت عليه وقد ثبتته هناك على الأرض بين بقايا الطاولة المحطمة، فقال ليون بصوت هادئ:

- الغيوم بدأت بالانقشاع.

أفلتت كورفينا الرجل الملطخ بدمائه غير راضية عن أداها، غير أنها اقتربت من أذنه وهمست ببهجة:

- كان هذا ممتعاً، دعنا نلتقي مجدداً.

استقامت بعد ذلك وأشارت لليون ناحية الأم بالزاوية،
فدخل وحملها على كتفه ليُغادروا المكان بعد ذلك.

نهضت ميا من موضعها بعد أن شاهدت خيوط أشعة الشمس
تسلسل على استحياء إلى الغرفة، تفقدت الطفلة فوجدت بأنها قد
نامت بحضنها من كثرة البكاء، فأنزلتها وذهبت ناحية النافذة،
أخذت نظرة خاطفة للأفق البعيد، ضيقت جفني عينيها قليلاً
بسبب أشعة الشمس المائلة ناحيتها، وعندما اعتادت عيناها
على الضوء بانث لها أطلال قرية إيستود بكل تفاصيلها المؤلمة،
منازل مُحطمة وبقايا دلت على حياة كانت تسكن هذه البقعة
من الأرض في يوم ما، وضعت ميا يدها على الإطار الخشبي
حيث كان ذلك الشيء ذو العين المتوهجة يقف، وصلت شاكرة
أن الشمس قد حضرت لنجدتهم في الوقت المناسب، أطلت بعد
ذلك برأسها للأسفل وتمنت لو أنها ترى كومتى رماد لاحتراق
المخلوقين أمام المنزل، إلا أنها ما وجدت الأثر الذي تمنّاه قلبها،
حملت الطفلة وذهبت ناحية الدرج، نزلته على مهل وهي تُحاول
اختلاس النظر بين شقوق درجاته المُهترئة، بالنهاية وصلت إلى
ساحة المعركة لتجد الرجل مرمياً على بقايا الطاولة المُحطمة،
فوضعت الطفلة النائمة جانباً وجرت مُسرعةً ناحيته، وضعت أذنها
على صدره فلم تشعر بشيء، لم يكن يتنفس، ولم تشعر بنبض
قلبه، فشدته من ملابسه بيديها غاضبةً بينما انسابت دموعها قهراً،
انفجرت وهي تُخاطبه بحركة في صدرها:

- من سمح لك بالذهاب؟ أجبني.

جمدت الفتاة في موضعها بعد لحظة إدراك بعدم جدوى انفعالها
الآن، فأعادته على مهل ومسحت دموعها، جرت ناحية حقيبتها
وأخرجت حزمة أعشابها، فتشت بينها إلى أن عثرت على ضالتها،
زهرة البنثوس (3) أمسكت بها وسحقت الزهرة الجافة بيدها،
ثم قربتها من أنفه بينما أحكمت يدها الأخرى على شكل قبضة
وأخذت تضرب صدره ضربات مُتلاحقة، استمرت بفعل ذلك

دون توقف، بعد عدة دقائق انسابت دموعها مُجدداً عندما لم تجد أي استجابة منه، ومع هذا واصلت عمل ما تفعله، ضربت حتى كادت تهشم عظام قفصه الصدري، إلى أن استسلمت أخيراً فرمت بنفسها عليه وألصقت وجهها ب صدره لتقول ودموعها تنساب مُبللةً ملابسه الرثة:

- أرجوك لا تذهب وتركني كما فعل الجميع.

ترجته بيأس وهي تُغمض جفניה بتعب، وفجأة سعل الرجل، فأزاحت ميا رأسها ونظرت إليه بفرحة تُخالطها المفاجأة، حاولت إعائته على النهوض، فنظر إليها بعينه الغائرتين ليقول مازحاً بصوتٍ مبحوح:

- ماذا علي أن أفعل لأتخلص منك؟

ابتسمت ميا وهي تضمه باكية كطفلة صغيرة، فبادلها العناق وهو يضع يده على رأسها، ربت عليها بخنان وقد تداخلت أصابعه الكبيرة مع خصلات شعرها القصير، وخلال لحظات ابتسم بعد أن وقع نظره على الطفلة النائمة هناك، فسعل قليلاً قبل أن يعلّق ساخراً:

- يبدو بأنني ابتليت بواحدةٍ أخرى.

أدارت ميا رأسها ناحية الطفلة الصغيرة وقالت وهي تمسح دموعها بذراعاها:

- لنأمل ألا تكون ذات رأسٍ حجري كَكَلينا.

داخل الغابة وفي بقعة لا تصلها أشعة الشمس، سارت كورفينا مُرتدية عباءتها السوداء، خطت بقدميها العاريّتين على الأوراق الجافة، فتفتّت تحتها مُحدثّة صوتاً لظالماً عشقته تلك المخلوقة، بينما ليون يسير بصمت من خلفها يحمل أم الطفلة على كتفه بعد أن لفها بعباءته، رفعت كورفينا رأسها وتأملت ما ظهر لها من السماء والتي بدت كقشر فاكهة البرتقال بلونها، إنه اللون المميز للأشهر

الأخيرة من الأيام المشرقة، فابتسمت كورفينا لا شعورياً لتسأل:
- ما بك عابسُ الوجه هكذا؟

لم يُجبها وواصل ليون السير بخطى ثقيلة بسبب ما يحمله، فتوقفت كورفينا وراقبته يتخطاها دون أن يلتفت إليها، فقالت وهي تميل رأسها:

- هذه الأجواء تُذكرني بلقائنا الأول..

صمتت قليلاً وهي تستشف ردة فعله على ما قالته للتو ثم أردفت:

- اعتقدت بأنك ستفرح لرؤية إيستود.

توقف ليون وأزل جسد الأم على الأرض، ثم قال دون أن يلتفت ناحية كورفينا:

- لنسترح هنا.

فردت كورفينا عباؤها إلى الخلف وجلست على جذع شجرة أجوف ثم قالت:

- أنت لم تُجِبي، ألا يُسعدك رؤية مسقط رأسك بعد كل هذه السنوات؟

تربع ليون أرضاً وأجابها باقتضاب:

- إيستود ليست مسقط رأسي.

ضحكت كورفينا، ثم ربعت ذراعيها لتقول:

- أعلم، لكن على ما يبدو بأن الطريقة الوحيدة لمخاطبتك هي باستفزازك.

أدار ليون رأسه إلى الطريق التي قطعوها لتوهم، وإلى حيث تقبع إيستود، أو ما تبقى منها، شرد قليلاً بينما كانت الذكريات تندفق بعقله، تدافعت الصور والأصوات، الروائح والنغمات، إيستود ليست مسقط رأسه لكنها الدار التي احتوت كل ذكرياته الجميلة، براءة طفولته، أصدقاءه وعائلته، ماضيه الذي لن يعود،

كل هذا ذهب بليلة واحدة، احترق معها كل شيء..

- لتتابع السير.

أمرته كورفينا وهي تهمُّ بالنهوض، ثم أضافت بنبرة صارمة:

- عندما نعود قم بحبس هذه الخادمة الخائنة، ولا تقل لأي أحدٍ بأنني قت بعضهما..

توقفت قليلاً وكأنها تستحضر الأحداث في ذاكرتها قبل أن تعود لتقول:

- من الواضح بأن ذلك الأحق لم ينسَ موضوع إليزابيث.

تابعت كورفينا سيرها، غير أنها توقفت للحظة أمام جذع إحدى الأشجار، فدفَّت يدها ومرت أصابعها النحيلة على الخدوش المفتعلة على جذع تلك الشجرة بالذات، طيف ابتسامة حزينة ظهر على محيّاها وهي تتأمل ذلك الخدش، سرحت به وكأنها فقدت الإحساس بما حولها للحظة، ثم عاودت مسيرها مجدداً وكأن شيئاً لم يكن، ما كان ليون بغافل عن تصرفها الغريب إلا أنه وكالعادة فضل تجاهلها، حمل الخادمة على كتفه بصمت وتبع خطى كورفينا التي تقود إلى قصر ستوك.



زهرة البنتوس:

زهرة لها مفعول الملبهات، حلوة المذاق، غالبًا ما يستخدمها الحزاس بقلعها في الماء
المفلي كلوع من أنواع الشاي لإبعاد اللوم ألاء الملاوبات الليلية، وكثرة استخدامها قد
تؤدي الإدمان.

الفصل 2 : التّنين الأعور.

الفصل الثاني: التنين الأعور

يُحكى أنه في قديم الزمان، كانت هنالك مملكة عريقة في عمق الوادي السحيق، عرفت بكونها أرض السحر والجمال، موطن الشعر والأدب واختلاف الثقافات، عاش أهلها بترف ورخاء إلى أن حلَّ ذلك اليوم الذي قلب حياتهم رأساً على عقب، تبدَّل فرحهم إلى حزن وغمٍّ، وأمانهم إلى قلقٍ وهمٍّ، ففي يومٍ عاصفٍ نقلت لهم الرياح أسوأ كوابيسهم، وحشٍ ظهر لهم من العدم وسط تلك الغيوم الثقيلة، كائنٌ يجسد ضخم وجلد أفسى من أي معدن، إن حلق في السماء حجب أشعة الشمس ليستحيل النهار إلى ليلٍ سرمدي، وصرخة واحدة منه تعادل صوت مئة صاعقة في آن واحد، أطلقوا عليه اسم التنين الأعور.

مضت السنوات وتوالت دون أن يُغادر ذلك الوحش أرضهم، ظلَّ يحوم في الأرجاء مُحدثاً الفوضى ومُثيراً للخوف بنفوس أهل المملكة، الأطفال لم يعرفوا ما الذي يعنيه الخارج، وال كبار عاشوا بهذه الأفكار من قبلهم حتى أصبحت مُتأصلةً بجذورهم، الرعب والخوف هو ما يعنيه العيش هنا.

وفي أحد الأيام عندما ضاق ذرعاً الملكُ من هذا الوضع، جمع كل فرسان المملكة وطلب منهم التخلص من الوحش، ألقى عليهم خطاباً ما شهدته المملكة من قبل، لكن وللأسف لم يجد بهم الحماسة المطلوبة، فحتى كلماته المُشجِّعة لم تُحقق مُرادها، بل إنهم أخذوا بالانسحاب الواحد تلو الآخر، أي جنون هذا؟ كيف لبشرُ ضعفاء بأن يقضوا على مخلوقٍ بهذا الحجم وتلك القوة؟ خفض الملك رأسه وشعر بمدى سذاجة خطابه، وعندما رفع رأسه وجد ذلك الشاب يُحدِّق به، فأمعن الملك النظر إلى ذلك الواقف هناك وتساءل في نفسه: لمَ لم ينصرف شأنه شأن بقية الفرسان؟ فطلب منه الملك الاقتراب بعد أن شعر بالفضول ناحيته، ثم سأله، ما الذي يمنعه من الانصراف والهرب كالبقية؟ فأجابه الشاب بأنه على استعداد للذهاب ومُقاتلة ذلك التنين لوحده...

توقفت صوفي عن سرد الحكاية، ونظرت إلى عقارب الساعة لتقول بعد ذلك:

- لقد تأخر الوقت كثيراً.

مطت إينور شفيتها لتبدي اعتراضها:

- ولكنني أُرغب بمعرفة تمة القصة.

ابتسامة طفيفة علت وجه صوفي وهي تتأمل وجه إينور الغاضب، فتركت مقعدها بجانب السرير وتوجهت ناحية النافذة لتغلق الستائر الحربية وهي تقول:

- تحتاجين للنوم فأمامك تدريبٌ شاقٌ في الغد، بالنسبة للقصة بإمكانني أن أكملها لك بأي وقت.

ضمت إينور وسادتها وهي مُتربعة فوق سريرها وقد تبدلت ملامح وجهها، أصبحت أكثر حماسة الآن وهي تحاول تخيل تمة أحداث الحكاية، وتفاصيل الصراع الذي سينشأ بين ذلك الشاب الشجاع والتنين الأعور، فسألت:

- أخبريني يا صوفي، هل تعرفين الكثير من القصص المثيرة؟

سجبت صوفي الوسادة من يدي سيدتها ووضعتها بمكانها الصحيح، ثم أجابت:

- ليس الكثير...

تغيرت نبرة صوتها مما أثار انتباه إينور، فاستدارت صوفي سريعاً وتوجهت ناحية باب الغرفة، أمسكت بالمقبض وفتحت الباب، أرادت الانسحاب في الحال، لكنها شعرت بعيني إينور تحترقانها من الخلف، وعندها فقط وجدت نفسها تقول:

- أنا لم أهتم للقصص مُطلقاً.. "الفارس والتنين" هي القصة الوحيدة التي أعرفها، حفظتها فقط لأنها الشي الوحيد الذي يذكركني به...

توقفت صوفي عند هذا الحد، لتذهب بذكرياتها إلى ذلك الكتاب

ذو الغلاف المُمزَّق، لم يكن كذلك لأنه عتيق، بل لكثرة استعماله، فكم مرَّة قرأه كولین؟ وكم مرَّة فتحه وأبحر بخياله بين صفحاته؟ وكم مرَّة طلب من والدته قراءته؟ تباً لتلك الذكريات اللعينة، فلا زالت تذكر وجه نتاليا وهي جالسة على ذلك الكرسي، والكتاب يقبع في حضنها بدل صاحبه، عندها أطلقت تنهيدةً بأسة ثم قالت:

- إيلي... أيمكنني أن أطلب منك معروفًا صغيرًا.

ألقت صوفي بطلبها بينما كانت تعتصر قلب العقد الذي ترتديه براحة يدها، في المقابل استمعت لها إلينور دون أن تقاطعها.

في قصر ستوك سار ليون بمحاذاة حائط الممر الخانق وهو يستمع إلى صوت قطرات الماء المتلاحقة تتساقط من على سطح السقف الرطب لتعانق الأرض الحجرية، تردد صدى صوت القطرات وامتزج مع وقع خطواته التي أوصلته إلى أحد الممرات المتشعبة في ذلك السرداب المعتم، استدار عند أول منعطف ليقف أمام زينة مغلقة، اقرب من قضبانها الحديدية الصدئة ينظر إلى الظلمة خلفها، وقعت عيناه على الطعام الذي لم يمس فظل واقفاً ينتظر بثبات حتى تحرك جسد الخادمة التي دنت ناحيته زاحفة تجر جسدها خائر القوى، نظرت إليه بوجهها الشاحب والدموع الجافة قد تركت آثارها على خديها، أنزل ليون رأسه وحدق في الأرض بعد أن لاحظ ملابسها شبه الممزقة وقد بانت آثار الجروح شبه الملتئمة على جلدها المتشق، فقال:

- مضت بضعة أيام لم تأكلي خلالها أي شيء.

اقتربت الخادمة أكثر وأمسكت بالقضبان الحديدية للزينة، سحبت جسدها المنهك بصعوبة حتى تمكنت من الوقوف في موضعها، تطلعت إلى وجه ليون بعينها الجاحظتين وهي ترجأه بيأس:

- أرجوك افعلها يا كولين، فلا معنى لحياقي الآن.

مدت له ذراعيها من بين القضبان فبانت جراحها التي أحدثتها لنفسها كشقوق عريضة برسغها، ثم قالت بصوت مرتجف:

- حاولت كثيراً دون فائدة.

لا يعلم إن كان جهلاً منها بعدم جدوى ما تفعله، أم أنها مُحاولَةٌ يائسة لإنسانة فقدت إنسانيتها، رفع ليون رأسه فتلاقت عيناها، كانت الدموع قد بدأت بالتجمع في مقلتيها المصفرتين تُناشده بأن يُخَلِّصها من عذابها، إلا أنه وقف كالحجر أمامها، وبوجه يخلو من أي مشاعر قال:

- ستعتادين الأمر.

صرخت به فجأة وأخذت تهز القضبان الحديدية بجنون، انتابها نوبة غضبٍ خرجت على إثرها أنيابها الحديثة وتوجَّهت عيناها لتعلن عن زوال بشريتها، دُعرت الخادمة من نفسها بعد أن رأت أظافر يديها وقد ازدادت طولاً، فراجعت بخطى مترنحة وهي تنظر إلى يديها المرتجفتين، اهتزَّ مكانها بالكامل وتشوش عقلها لما تراه وتشعر به الآن، جميع حواسها أصبحت في مستوى آخر، وهذا لوحده كفيلاً بأن يغذي جمرة الهلع المتقدة حديثاً في داخلها، فسقطت على ركبتيها وغطَّت وجهها بكفَّيها، أخذت تنتحب بحرقة وهي تُكرر رجاءها وتوسَّلاتها، انحنى ليون على ركبته وأمال رأسه مُحاولاً النظر إلى وجهها، ثم خاطبها بنبرة تخلو من أي تعبير:

- سيكون النوم صعباً من الآن وصاعداً، لهذا إن أتيك الفرصة فلا تضيِّعيها، ومذاق الطعام سيستحيل كقطعم التراب في فمك ومع هذا ففسدُك بحاجة إليه، ستسمعين ضجيجاً لأشياء ما كنتِ تعتقدين بأنها تملك صوتاً من الأساس، إحساسك بكل ما تلمسينه سيتضاعف حتى نسمات الهواء الخفيف قد تغدو كصفعات الصقيع الباردة، والظلام لن يكون مُشكلةً بعد اليوم، سترتاح

عينك له، في المقابل ستجدين في الضوء عدواً جديداً، والأسوء من كل هذا ستولد لديك رغبة كريمة تنهش عقلك وجسدك بالكامل، كلها قاومتها أصبحت أكثر جنوناً، وإن غديتها غدوت عبدة لها وفقدت جزءاً من روحك، لا يهم مصدر الدماء، طالما أنها لم تجف... طرق الموت محدودة، قطع الرأس، الاحتراق بالتعرض المباشر لأشعة الشمس، غرس وتد خشبي في القلب، والتسمم بتناول الثوم بكمية كبيرة، لهذا إن كنت عازمة على المضي بتلك الطريق فلا تجربي أي طريقة أخرى، أنت بذلك تعذبين نفسك فقط...

ضيق ليون جفنيه، وازدادت الصرامة في صوته عندما أردف قائلاً:

- لكن إن اخترت الحياة فتحلمي الأمر ولا تظهرني ضعفاً لأحد، وإلا أصبحت لقمة سائغة لهم، اصبري من أجل ابنتك فما زالت حية بانتظارك.

أزاحت الخادمة كفها عن وجهها وقد عاد شكلها لطبيعته بعد أن هدأت قليلاً، أنزلت يديها وقبضت على ملابسها بشدة لتسأل بصوت مرتجف:

- أما تزال ابنتي على قيد الحياة؟

أوما ليون برأسه مؤكداً الإجابة، ثم قال:

- وهي بحاجة، فالسيدة لن تنسى أمرها بسهولة.

ضمت الخادمة جسدها بذراعيها وراحت تفكر بصمت، وبعد وقت قصير يبدو بأنها قد اتخذت قرارها به، أدارت رأسها ونظرت ناحية الطعام الذي لم تمسه ثم سألت:

- كولين.. كم أخذ منك الأمر حتى اعتدت الوضع؟

استقام ليون دون أن يجيبها، فراقبته وهو يتعد عنها مغادراً المكان، غير أنه توقف قبل أن يختفي من مجال بصرها ليقول:

- امرُ آخر، توقفي عن منادائي بهذا الاسم، فلو سمعتكِ السيدة ستقتلع لسانك من حلقك.

قاومت الخادمة رغبتها في البكاء وهي تراه يُغادر ليتركها وحيدةً بهذا المكان العفن، مضى ليون مُسرعاً ناحية القاعة التي احتوت على بقايا أفراد عائلة ستوكر، تخطاها ناحية الدرج فتباطأت خطواته، ثقلت أنفاسه فوضع يده على عينه اليسرى والتي كانت تنبض بجِدَّة، ضغط عليها بشدة ليُجيب عن سؤال الخادمة مُتهكِّماً:

- ومن قال أنني قد اعتدت على أي شيء من ذلك.

خلال دقائق قليلة كان ليون قد تمكَّن من بلوغ غرفته، دفع الباب ووقف عند أعتابه للحظة، تأمل الغرفة الفارغة دون أن يتقدَّم خطوة واحدة إلى الداخل، وعوضاً عن ذلك ضرب درفة الباب بقبضته بقوة لترتدَّ إلى الوراء وتصطدم بمن كان يختبئ خلفها، فصدر صوته متألماً:

- آخ..

خرج غيلبرت من مخبئه خلف الباب وهو مُمسكُ بذراعه، بينما ولج ليون إلى داخل غرفته، جلس على سريره، ليضع ساقاً فوق الأخرى ومُربعاً ذراعيه، راح يُحدِّق بصاحبه وكأنه يطلب بالتفسير على الفور، فضحك غيلبرت على حماقته ليقول:

- غباءٌ مني أن أحاول إخافتك، على الأرجح بأنك ترغب بفصل رأسي عن جسدي الآن.

- ما الذي تريده يا غيلبرت؟

أشار غيلبرت إلى أوراقٍ تستقرُّ فوق مكتب ليون، ثم قال مُفسراً:

- تركت لك أوراق طلبات الالتحاق الخاصة بي وأيضاً أوراق أوليفر.

نهض ليون وسار ناحية مكتبه، أمسك بالأوراق وأخذ

يتفحصها فسأله غيلبرت:

- هل ستذهب غداً لوحده؟.. دعني أرافقك.

أجابه ليون وهو لا يزال يُقَلِّب الأوراق بيديه:

- سأذهب لوحدي، هذا ما اتفقنا عليه، ولا حاجة إلى ذهابك

أنت أو أوليفر، سأقدم أوراق طلبات الالتحاق وأعود سريعاً.

- ليون...

الفضول ينهش عقل غيلبرت، ومع هذا وجد نفسه مُتَرَدِّداً بطرح سؤاله، فجلس مُتربعاً فوق السرير وهو يُحاول إيجاد مدخلٍ مناسب لفتح الموضوع الذي يشغل تفكيره:

- تبدو كثير التَّجَهُُّم في الفترة الأخيرة.

- حقاً.

أجاب ليون بنبرة عدم اكتراث بينما كان يتأكد مما كُتِبَ على طلبات الالتحاق، فاعتدل غيلبرت بجلسته على السرير ودفع بجسده إلى حافته فلامست قدماه الأرض، حاول تفحص وجه صاحبه وهو يلقي بسؤاله:

- هل للأمر علاقة بذلك الفارس وإيتان؟ منذ أن أخبرتك عنه وأنت تبصرف بغرابة، اصدقني القول يا ليون، من هذا الشخص ولم كُنْتَ تبحث عنه طوال تلك السنوات؟

أزل ليون الأوراق وأدار رأسه ناحية غيلبرت مُجيباً بنبرة بدت غير جادة:

- لنقل بأنه ابن الشخص الذي أرغب حقاً بفصل رأسه عن جسده.

- أنت تمزح معي، أليس كذلك؟.. انتظر..

ثم قفز غيلبرت من على السرير ليقف قائلاً:

- ألهذا ترغب بالذهاب لوحده؟

- ما الذي تعنيه؟

- لا تتحاقق معي الآن يا ليون، أنت تُفكر بالنيل من ذلك
الوايتمان غداً، أليس كذلك؟

انفجر ليون ضحكاً وجلس على كرسيّ مكتبه، ثم هداً ليقول
بابتسامة عريضة:

- اطمئن لستُ غيباً إلى تلك الدرجة، ومع هذا...

تلاشت ابتسامته تدريجياً بينما كان يتحدث:

- ومع هذا لستُ مُخطئاً تماماً يا غيلبرت، لا أنكر بأن فكرة اللحاق
به الآن تبدو مغريةً لأبعد حد.

شرد ليون لوهلة، ولعت عيناه، حتى أن وهج عينه اليسرى قد
ازداد، بدا وكأنه يتخيل آل وايمان أمامه الآن وفي اللحظة، حتى
تلاشى كل شيء، عندما رمى غيلبرت برقعة العين الجلدية ناحيته،
فأمسك بها ليون بكفتي يديه وهو ينظر إلى صاحبه الذي يهم
بمغادرة الغرفة، لكنه استدار في اللحظة الأخيرة مُشيراً بإصبعه إلى
عينه اليسرى:

- عليك أن تتعلم كيف تُسيطر على هذه العين قبل المنافسة،
سنقع في ورطة إن شاهدها أحد وهي تخرج هكذا، والآن تصبح
على خير.

إنها الأيام التي تسبق بداية المهرجان في العاصمة، وكالعادة
الناس أكثر صحباً والسوق انتعش بعد ركودٍ طويل، وسط
السوق القديمة توقفت عربة رثة أمام أحد المتاجر الحديثة، والتي
علقت لافتتها الجديدة للتو، ترجل الشاب الطويل من العربة التي
يقودها، لجم الفرس العجوز جانباً، ووضع لها بعض التبن والماء
ثم التفت متأملاً الساحة من حوله، ابتسامة عريضة ارتسمت على
وجهه وهو ينظر إلى الناس والمارة، سرح لبعض الوقت قبل أن
يسمع من ينادي باسمه من داخل المتجر:

- جيريمي.. لا وقت لسرحانك أيها الشاب.

- أنا قادم.

أجاب جيريمي من فوره، ثم جرى لينزل الصناديق من العربة، حمل أحدها وتوجه إلى الداخل قائلاً:

- أيمكنني الذهاب وتفقد المنطقة بعد الانتهاء من إزال الصناديق.

طلبه كان موجهاً ل جاسبر الذي يتفقد البضائع ويتأكد من سلامتها، فترك الرجل ما بين يديه وتهد مجيباً:

- يا للشباب! ألا يمكنك على الأقل الانتظار حتى تنتهي من افتتاح المتجر؟

أنزل جيريمي الصندوق الذي بين يديه أرضاً، ثم قال بخيبة أمل:

- عندها سيكون قد فاتني الكثير.

ضحك جاسبر من ردة فعل الشاب المندفع، ثم قال:

- لا تقلق لن يفوتك الكثير، فلن يهدأ المكان خلال هذا الأسبوع، ومعظم الباعة لن يُقفلوا متاجرهم طوال اليوم، هذه السنة ستكون مختلفة عن سابقتها بسبب المنافسة.

- يبدو الأمر واضحاً.

قال جيريمي جملة الأخيرة وهو ينظر من خلال باب المتجر، حدق بالمارة على مختلف أشكالهم، ثم أكل:

- هنالك الكثير من الزوار من مناطق مختلفة، فالمكان مكتظ أكثر من العادة.

مدد جاسبر فقرات ظهره ثم جلس على الكرسي قائلاً:

- من حسن حظنا أن يتزامن افتتاح هذا المتجر مع منافسة الأميرة، علينا أن نكون شاكرين لها، ألا تعتقد؟

- ربما، لكنني سأفقد ثقلاً في العربة بكافة متجولين.

قالها جيريمي بخيبة أمل فضحك جاسبر وهو يُشير إلى الفرس خارج المتجر:

- تلك العجوز لن تصمد لسنة أخرى، قد تموت بأي لحظة.

- أنت تقول ذلك طوال الأحد عشر عاماً الماضية، وها هي بكامل عافيتها تأكل التبن بشراسة في الخارج.

- حسناً سأعقد معك اتفاقاً، إن تمكّنا من افتتاح المتجر خلال ساعة، وعملنا حتى منتصف اليوم فساخذك بنفسني لحضور الافتتاح.

- حقاً!

ابتهج جيريمي في لحظة، ثم قال بحماسة:

- سأجعلها نصف ساعة.

ثم جرى مُسرّعاً ليُحضر بقية البضائع من العربة، حمل الشاب صندوقاً كبيراً في الوقت الذي مرّت من أمامه فتاةٌ تحمل شيئاً ما على ظهرها، تجاوزته ودخلت المتجر، وقفت في مُنتصفه وهي تبحث بعينيهما بين بضائع الأرفف غير المكتملة، فنهض جاسبر من على مقعده ليخاطبها:

- الملعدة، لكن المتجر لم يفتح بعد.

تجاهلته الفتاة ولا تزال تجول المكان ببصرها، فدخل جيريمي وأزل الصندوق الثاني من يديه، انتبه إلى الفتاة وكان على وشك أن يطردها لولا أن استوقفه جاسبر برفع راحة يده أمامه، ثم أخذ يراقبها بصمت حتى استقرّ نظر الفتاة على صندوق الأطعمة، فأشارت إليه وهي تسأل:

- هل هذا الطعام مناسب لطفلةٍ صغيرة؟

أسند جاسبر ساعديه على الطاولة أمامه ليقول باسمًا:

- أيمكنني أن أسأل عن عمر الطفلة المعنية؟

أدارت ميا جسدها وأشارت له إلى الجراب الذي تحمله على ظهرها، فبان رأس الطفلة النائمة بعمق، اتسعت ابتسامة جاسبر ليقول:

- طفلة بعمرها يمكن أن تأكل ما نأكله نحن البالغون.

- حقاً!

هتفت ميا باندهاش، ثم سألت سؤالاً آخر:

- إذا هل أجد لديك ما يوقفها عن البكاء.

أمعن جيريemi النظر بوجه الطفلة النائمة ليسأل:

- هل هي حقاً كثيرة البكاء؟ تبدو طفلةً وديعةً.

ضحك جاسبر ثم قال مجيباً عن سؤال الفتاة:

- للأسف لا تملك شيئاً كهذا، كما أن الأطفال لا يكون إلا

لسبب ما، أنصحك بأن تعرفي السبب أولاً ثم تعالجيته.

شكرتهما ميا بانحناءة من رأسها، وبينما كانت على وشك

المغادرة تذكّرت أمراً آخر، فالتفتت وهي لا تزال عند مدخل

المتجر لتسأل:

- عندي سؤال آخر؟

دسّت يدها في جيب بنطالها الفضفاض وأخرجت بعض

الأوراق المطوية، سلّمتها لـ جاسبر وهي تقول:

- طلب مني عمي تسليم هذه الأوراق إلى الجهة المنظّمة لاختبار

أكاديمية الفرسان.

أمسك جاسبر بالأوراق وفرّدها ليقراً ما بها، بينما أردفت ميا:

- أيمكنك أن تطلعي على مكان تسليمها؟

وقف جيريemi بجانب جاسبر والتقطت عيناه بعض ما كُتب في

الأوراق، فهتف مندهشاً:

- هل ستشاركين في الاختبار؟

اتسعت عينا ميا بدهشة، وسحبت الأوراق من يدي جاسبر بسرعة، فردّتها أمام وجهها وقلّبتها بارتباك واضح، فهي لم تفهم كلمة واحدة مما كُتِبَ بها عندما سلّمها الرجل الأوراق، فقالت بنبرة ساخطة:

- ذلك العجوز المحتال.

وضع جاسبر يده على ظهر جيرمي ودفعه إلى الأمام وهو يُخاطب ميا:

- يمكن لهذا الأحق أن يوصلك إلى المكان المطلوب.

فسأله جيرمي بغير فهم:

- حقًا، ماذا عن افتتاح المتجر؟

غير أن جاسبر كان مُصرًّا عندما أجابه:

- لا بأس يمكنك أخذ استراحة قصيرة، أوصّلها ثم عدّ لإكمال

العمل فيما بعد.

وهكذا خرج الاثنان من المتجر، مرّت الدقائق الأولى في الطريق دون أن يتحدث أي منهما، الاندهاش واضح على وجه الفتاة، والتي أبهرتها أشكال الأبنية العالية، رفعت رأسها فاغرة فاهها، فابتسم جيرمي ليقول لها:

- انتظري حتى تُشاهدي حلبة المنافسة ومبنى الأكاديمية،

ستُكسر رقبتك من علو البناء.

ما اكرثت ميا لحديثه وواصلت المسير خلفه بهدوء حتى استوقفها لوح إعلانات كبير، وقفت الفتاة أمامه وقد انتبهت إلى روعة إعلان المنافسة لكن ما لبثت حتى انحرفت عينيها ناحية بعض الإعلانات الصغيرة الموزعة بشكلٍ عبيث على اللوح، ما شدّها تحديقًا هو وجوه الأطفال المرسومة بها، فأشارت إليها بغير فهم:

- لماذا تعرضون صور الأطفال هكذا؟

وقف جيرمي إلى جانبها مُربعاً ذراعيه:

- إنها إعلانات لأطفال مفقودين... كان من الطبيعي رؤية إعلان أو اثنين بين الحين والآخر، ولكن الأمر في ازدياد مؤثراً..

أدار جيرمي رأسه ناحية ميا ليقول مُتابعاً:

- دون أن ندرك باتت ألواح الإعلانات ممتلئة برسومات تلك الوجوه الصغيرة.

مدت ميا يدها إلى الجراب خلفها بقلق ثم ابتعدت عن اللوح:
- لنسرع فقط.

تبعها جيرمي حتى أصبحا يسيران جنباً إلى جنب معها، نظر إلى وجه الطفلة التي كانت قد أفاقت من نومها ثم سأل:

- ما هو اسمها؟

أجفلها سؤاله، فارتبكت قليلاً قبل أن تجيبه بتردد:

- م.. ميمي.

- ميمي! أهو اسمها حقاً؟ أم مجرد اختصار لاسمها الحقيقي؟

- إنه اسمها.

نهرته غاضبة وهي تُسرع من خطواتها حتى سبقته، فضحك من ردة فعلها ولحق بها لينادي قائلاً:

- تمهلي يا ميا أنتِ حتى لا تعرفين الطريق.

تابع الاثنان بصمت ما تبقى من الطريق حتى وصلا إلى المكان المطلوب، احتشد الناس أمام طاولات التسجيل بطريقة فوضوية، فوقف الاثنان أمام التجمع لتقول ميا:

- هذا يحسم الأمر.

ثم استدارت وقد قررت العودة، فهي لا تملك الصبر الكافي أو

الدافع المطلوب، فأمسك جيريمي بذراعها ليقفها قائلاً:

- إلى أين؟ ألن تقدّمي أوراقك؟

هزت الفتاة رأسها نفياً، ورفعت الأوراق أمامه لتقول:

- هذا لا يُهم، فلقد تم الإيقاع بي للمشاركة على أي حال.

عقد جيريمي حاجبيه بغير رضى، فحمل الطفلة ميمي من الجراب على ظهرِها، أمسك بالصغيرة التي أخذت تداعب وجهه وهو يدفع ميا ناحية الحشود قائلاً:

- سأهتم أنا ب ميمي، سننتظرك هنا.

نظرت إليه ميا بتردد، فكّرت قليلاً ثم تنهّدت لتقول:

- حسناً ما دمت مُصرّاً.

تركتها ميا وذهبت لتقف في الصف غير المنتظم والذي امتد لمسافة طويلة، مرّت أكثر من ساعة قبل أن تتمكّن من تسليم أوراقها والعودة إلى حيث تركت جيريمي وميمي، كان هو باستقبالها ولا يزال يحمل الصغيرة بين ذراعيه، لوح لها من بعيد فأحكمت قبضتها ورفعت إبهامها تعلمه بأنها قد أنجزت المهمة، بعد أن وصلت لهما هتّت ميا بحمل ميمي من يدي جيريمي لتسأله:

- هل سبيت لك المشاكل؟

- لا، ف ميمي طفلة مُهذبة.

قالها جيريمي وهو يمسح على رأسها، فنطقت الصغيرة باسمه فرحة وهي مُمسكة بيده على رأسها:

- جي..جي.. جيمي لطيف.

- ليس جيمي بل جيريمي.

حاول تصحيح اسمه وهو يُداعبها بلطافة، وجأفة تغير وجه الصغيرة واحمرت وجنتها بلحظة، اجتمعت الدموع في مقلتيها ودخلت بنوبة بكاء هستيري، حتى أنها ضربت ميا بيديها

الصغيرتين وهي تُحاول التَّفَلُّتِ مِنْهَا، راحت تُنادي على أمها على حين غَرَّةٍ، فَأَنْزَلَتْهَا مِيا التي شرعت بتهديتها:

- ما الأمر يا ميمي؟ لَمْ الْبَكا الْآن؟

سأل جيريمي دون أن يملك حيلة للمساعدة:

- ما الذي جرى لها؟

- لا أعلم، وكان شيئاً ما أخافها، أو أنها...

وفجأة استقامت مِيا من فورها وأدارت رأسها بكل الاتجاهات، مسحت وجوه الناس من حولها وهي تبحث عن وجه مُحَدَّد، تسارعت دقات قلبها فزعاً، فإن كان ما تُفَكِّرُ به صحيحاً فهذا يعني بأنهما في خطر، غير أنها لم تجد ضالَّتها، لا أثر للأُم أو المخلوقين الآخرين، فانحنّت لتحمل الصغيرة، ضمَّتْها بين ذراعيها وهي تودِّع جيريمي على عَجالة:

- شكراً على المساعدة، عليّ أن أعود إلى المنزل حالاً.

جرت مِيا مُبتعدةً دون أن تترك له المجال لقول أي شيء، فما كان منه إلا أن يُلَوِّح لها مودعاً وقد اعترته الحيرة من تصرفها المريب، غير أن حيرة الشاب لم تدم طويلاً بعد أن تذكَّرَ كمية العمل التي تنتظره في المتجر، لهذا استدار فقط ليرتطم بشخص ما، شاهد جيريمي الملابس الأنيقة والتي تُوحي بأن من اصطدم به ينتمي إلى طبقة النبلاء، فانحنى مُعتذراً من فوره، ليخاطبه ذلك الشخص باقتضاب:

- انتبه لخطواتك.

ثم سار مُبتعداً، رفع جيريمي رأسه وأخذ نظرةً خاطفةً لذلك الشخص، لم يتمكن من رؤية ملامحه جيداً بما أنه يرتدي عباءةً وقلنسوة سوداء غطَّتْ رأسه ومُعظم ملامح وجهه، فتهدَّ ببال مُرتاج كون ذلك الشخص تركه دون إثارة أي مشاكل، عاد جيريمي إلى المتجر ووجد جاسبر بانتظاره يدخِّن غليونَه، نفث جاسبر الدخان من أنفه وفه ثم سأل:

- هل أوصلت الفتاة؟

أوماً جيري برأسه إيجاباً دون أن يقول شيئاً، ودخل المتجر مُجتازاً الباب، بدا بأنه مُستعد لإكمال عمله، إلا أن الفضول دفعه للسؤال:

- جاسبر.

- ماذا؟

قالها جاسبر وهو يُدير رأسه ناحية الشاب الحائر، فسأل الأخير:

- لماذا كُنْتَ مُصرّاً على أن أوصل تلك الفتاة؟ أعني ميا.

وضع جاسبر الغليون في فمه، فأجاب وعيناه تسرحان بخيوط الدخان المتصاعد أمامه:

- تلك الفتاة ليست من هنا..

قاطعته جيري ليقول مُتسائلاً:

- وما المميز في الأمر؟ فالمكان يعج بالمسافرين الذين أتو من كل مناطق المملكة.

رفع جاسبر حاجبيه وأخرج الغليون من فمه، نفث سحابة أخرى من الدخان ليقول مُفسراً:

- طريقة لباسها هي ما لفتت انتباهي، على الأرجح بأنها من العشائر الشمالية..

صمت جاسبر لبرهة ثم أردف قائلاً:

- العشائر التي تسكن الشمال هي كاللغز المُعَيَّر، تعاملت معهم في مناسبات قليلة فيما مضى، واكتشفت بأن لهم طقوساً ومعتقدات غريبة، وطريقة عيش لا تتناسب مع الزمن الحالي، يملكون أجساداً كالدببة بضخامتها وقوتها، ودعني أقولها لك باختصار، قد لا ترغب بأن تُكوّن عداواتٍ معهم.. باعتقادي أن الفتاة في ورطة بسبب تلك الطفلة.

تذكر جيرمي لوح الإعلانات الممتلئ ببلاغات الأطفال
المفقودين، ليتساءل فرعاً:

- أعتقد بأنها...؟

متجاهلاً ما قاله جيرمي أشار جاسبر بغليونه ناحيته:

- عليك أن تعرف كيف تقرأ الناس من حولك يا فتى وعليه
ستعرف كيف تتعامل معهم.. أحسن اختيار جانبك دائماً،
ففي أحيان كثيرة تكون المعركة الحقيقية قد بدأت قبل أن تُصرع
طبولها.

وقف جيرمي واجماً ينظر إلى جاسبر بحيرة مما قاله، عاش برفقة
هذا البائع المتجول ما يقارب عقداً من الزمان حتى الآن، مدة
كفيلة بأن تجعله يفهم هذا الرجل، إلا أن جاسبر في أحيان
كثيرة يتفوه بأمر غير عقلانية، ولا يعطي أي تفسيرات مقنعة،
كل ما يملكه هو أنصاف إجابات على أسئلة لم تُطرح، انقطع
سرحان جيرمي وقد شعر فجأة بوخزة صغيرة بمفصل ذراعه،
فرفعه وألقى نظرة عليه، في الوقت ذاته علّق جاسبر قائلاً:

- أنت تنزف يا فتى.

كان هنالك جرحٌ نكدش صغير على مفصل ذراع جيرمي،
بالإضافة لرقعة مفقودة من ملابسه، فأمسك الشاب بذراعه
مفكراً، متى حدث هذا؟ وكيف لم ينتبه؟

في الجانب الآخر من المدينة، دسّ ليون برقعة الملابس الدامية
في جيب سترته وأنزل غطاء رأسه الذي انزاح إلى الوراء قليلاً،
كان قد انتهى من تسليم أوراقهم، لكن ما استوقفه هو رؤيته
للطفلة بيد جيرمي ومياً عندما كان بطريق العودة، راقب من
بعيد في بادئ الأمر، وعندما قرر الاقتراب أكثر شاهدته الطفلة
فبدأت في البكاء ممّا دفعه للانسحاب مؤقتاً، وما كان منه إلا هذه
الطريقة، وهي بتتبع رائحة دماء جيرمي حتى يتمكن من تحديد

موقع الصغيرة فيما بعد.

وصلت ميا إلى المسكن الصغير التي استأجرته مع الرجل، نُزِّلَ رُثٌ فوق أحد الحانات، دخلت الفتاة وأنزلت ميمي التي توقفت عن البكاء منذ وقت قصير، أدارت رأسها ناحية غرفة النوم الوحيدة في هذا المكان، قصدتها ودفعت بابها على مهل فهي لا تريد إيقاظ الرجل في حال كان نائماً، غير أنه باغتها بسؤاله من خلف الباب:

- هل أنت غاضبة؟

تخلَّت ميا عن هدوئها ودفعت الباب بحقن، ثم ربت ذراعيها لتقول:

- أيها الكهل المحتال.

ضحك الرجل الذي كان مُستلقياً على السرير، فحاول النهوض بصعوبة، عندها اندفعت ميا ناحيته لتعيّنه وقد تبدد غضبها، فقال لها باسمًا:

- هل أعجبتك المفاجأة؟

جلست الفتاة على حافة السرير ونظرت إليه بوجه يخلو من أي تعبير، لكن سرعان ما اتسعت ابتسامتها البشوش لتقول:

- نعم، بالتأكيد كنت غاضبة في البداية، حتى أنني كنت سأراجع عن الفكرة، لكن عندما سلّمت أوراقى وقام المسؤول بكتابة اسمي بالقائمة اتابني شعور غريب لا يمكنني وصفه، وازداد مع رؤيتي للمشاركين من حولى وهم يتدافعون بحماسة.

ربت الرجل على رأس ميا ليقول:

- لا تقولي لي بأنك تركت الطفلة في السوق من شدة الحماسة؟
قالها مازحاً، فأزاحت ميا يده لتجيبه بهتكم:

- مدَّلتُك الصغيرة في الغرفة الأخرى.

وكر الرجل أرنبه أنفه قائلاً:

- إنني أشتُم راحة الغيرة تفوح من أحدهم.

ما كان منها إلا أن تضحك على حالها، فلا يمكنها إخفاء غيرتها، نهضت من مكانها لتقول له:

- علينا أن نُفَكِّر باسم لها، فقد وُضِعْتُ اليوم بموقفٍ مُحرجٍ عندما سألني أحدهم عن اسمها ولم أجد ما أقول غير "ميمي".

ضحكات الرجل امتزجت بسعاله المتواصل وهو يُنزل رجله من على حافة السرير، فقال بوجه مُحجَّر:

- ههه ميمي، هذا اسم لم أستخدمه منذ زمن طويل.

- لا تهزأ بي، كان الاسم الوحيد الذي طرأ في مخيلتي لحظتها.

توقَّف الرجل عن الضحك ورمق ميا بابتسامة باهتة، لقد أعاد إليه هذا الاسم بعض الذكريات، وجه ميا الصغيرة المُلطَّخ بدماء الجثث حولها، وصوت أمها المحتضرة توصيه بآخر نفس لديها، لتدفع بعد ذلك بابنتها ناحيته وهي تخاطبها:

- ميا..

وعندما لم تستجب لها، حثَّها والدتها بأنفاسٍ ثقيلة:

- هيا يا ميمي غادري مع عمِّك.

لا يمكنه نسيان ذلك المشهد، ولا ذلك اليوم الذي فرض به القدر نفوذه عليه، أصبح أباً من جديد وهو الذي هيأ نفسه ليموت وحيداً.

يعتقد البشر بأن التنانين كانت أحد الكائنات التي عاشت على الأرض خلال فترة عصر ما قبل اكتشاف النار. لكنها انقرضت مع الوقت بسبب تغييرات جذرية في المناخ. واليوم يرد ذكرها فقط ككائنات أسطورية في بعض القصص الفلكلورية والأغاني الشعبية.



الفصل 3 : الاختبار.

٢٧٠٦٧٥٨٨٨

الفصل الثالث: الاختبار

مضت الأيام سريعاً، وها هو اليوم الذي يسبق بداية المهرجان، مما يعني بأنه أيضاً اليوم الذي يسبق بداية المنافسة، البناء الخاص بالحلبة مكتمل الآن، والأمر ينطبق أيضاً على الأكاديمية الملاصقة له، وقفت الأميرة هيلينا في منتصف الساحة وأخذت تتأمل المدرجات الرمادية الفارغة من حولها، وجدتها شاهقة الطول لدرجة أنها لم تعد قادرة على رؤية قرص شمس المغيّب خلفها، ووسط لحظة تأملها، تقدّم فارسها بخطوات هادئة، ما كان يرغب بأن يُزعج خلوتها، فتوقف على بعد خطوات قليلة خلفها، ظلّ ريس صامتاً يتأمل خصلات شعرها المنسدلة والتي أشعت حوافها رفقة مع ضوء المغيّب إلى أن تحدّثت لتقول له:

- الموعد غداً.

فأجابها ريس مؤيداً:

- إنه كذلك بالفعل.

التفتت هيلينا ناحيته، وأخذت نفساً عميقاً، بدت له مهمومة قليلاً عندما سألته:

- ريس أنت معي فيما أفعله، أليس كذلك؟

استغرب سؤالها الآن، ومع هذا أجابها سريعاً ومن دون أي تفكير مطول:

- بالتأكيد، هذا ما أقسمتُ عليه منذ البداية، سموك.

وجأة اقرب مبعوث ملكي منهما لاهثاً، راح يُسرّ بخبر ما في أذن ريس فتجهّم وجهه ليصرف المبعوث منزحاً، أقلق تصرفه هذا هيلينا فسألته من فورها:

- ما الذي قاله؟

تلّفت ريس من حوله باضطراب، ما كان يرغب بأن يُقلقها بخبر كهذا، إلا أن واجبه يُحتمّ عليه اطلاعها:

- لقد عثروا على موقع آخر.

تصاعدت أنفاس الأميرة غيظًا، وأمرت بأن يأخذوها إلى الموقع في الحال رغم معارضة كلٍّ من ريس والمساعدة دونًا، بعد ساعات من المسير على طريقٍ نائيةٍ وصلت العربة إلى المكان، دفعت الأميرة بباب العربة سريعًا ولم تنتظر حتى من يفتح لها الباب فانغرس حذاؤها في الطين، محاولات ريس بتمهيد الطريق لها باءت بالفشل، رفعت هيلينا طرفي فستانها الطويل وسارت حتى حافة حفرةٍ كبيرةٍ تم نبشها من قبلي الحرس الملكي، فابتعد الرجال عن الحفرة مع مجارفهم والطين يغطيهم بالكامل، أطارقوا برؤوسهم الأرض فلم يرغب أي منهم برؤية تعابير وجه الأميرة الآن، من خلفها نادى عليها ريس وقد اعتلاه القلق:

- سموك.

لم تسمعه هيلينا يُنادي عليها بعد أن شهقت رعبًا، ارتجفت شفتيها من هول المنظر، ثم ما لبثت أن غطت فمها وأنفها بكف يدها لقوة الرائحة المنبعثة من المكان.

في قاعة الاجتماعات في القصر الملكي، كان الملك ثيودور غارقًا بين أكوام التقارير الخاصة بالمعارك على الحدود، وآخر تقرير بيده الآن من القائد يوجين يفيد بفتور المناوشات بين الجيشين، ومع هذا فالحرب أبعد ما تكون عن نهايتها، شعر الملك بألم في رأسه بعد كل هذه الأخبار، اعتقد بأنه قد اعتاد على الحرب الباردة مع الزمن، لكنّها ما تزال كالشوكة في حلقه، وتمنى لو ينتهي هذا الصراع قريبًا، فتهدّ ورمى بالأوراق على الطاولة، عندها نطق أحد مُستشاريه ليقول بنبرةٍ رزينةٍ:

- لا تُرهق نفسك يا سيدي، دعنا نحن نتكفل بهذا الأمر، أما أنت فعليك أن تستمتع بالمهرجان غدًا.
نطق مُستشار آخر مؤيدًا:

- أنا أتفق مع المستشار وايمان، عليك أن تبدو بحال جيدة أمام الرعية غداً، تصور ما الذي قد يعتقده الجميع لو أنك ظهرت لهم بهذه الحال المزرية.

لم يُجب الملك ثيودور على أي منهما، وعوضاً عن ذلك وجه نظره إلى الشخص الجالس عن يمينه، وكأنه ينتظر أن يُدلي هو الآخر بدلوه، وهذا ما حدث بالفعل، نطق ذلك المُتحي ليقول:

- جيشهم مُنكُ بالفعل، أما نحن فلا نزال نحفظ بقوتنا، ربما فقد رجالنا الكثير من معنوياتهم مؤخراً، لكنهم لا يزالون أقوياء، بل أرى أننا ازددنا قوةً، والدليل أننا لم نخسر شبراً واحداً من أراضينا طوال العقد الماضي.

ثم ابتسم الرجل المُتحي بثقة، وأسند ظهره على الكرسي بأريحية، شبك أصابع يديه بحجره ليتابع قائلاً:

- أقدر قلقك يا صاحب السمو، ومع هذا أطلب منك الاسترخاء قليلاً، فكما أشرتُ لك، نحن بحاجة إلى رفع معنويات رجالنا، وهذه مهمتك أنت وحدك.

انبسط وجه الملك وارتخت ملامحه قليلاً بعد الذي سمعه، ففض الاجتماع وغادر القاعة برفقة الرجل المُتحي، سار الاثنان ناحية جناح الأسرة الحاكمة، فقال ثيودور مُمتناً:

- شكراً لك يا برودريك، أعلم أنك لا ترغب أن تكون موجوداً هنا في القصر، أو حتى تحمل مثل هذه الأعباء.

ابتسم برودريك بخجل وهو يُشذب لحيته القصيرة والتي أعطته منظراً أكثر نضجاً وحكمة من ثيودور رغم أنه أصغر منه سناً، فقال مُجيباً على إطرأ الملك بنبرة متواضعة:

- أنا شقيق الملك الأصغر، أعتقد بأنني ولدتُ مع هذه الأعباء يا أخي.

- ومع هذا أقدر وقوفك إلى جانبي يا أخي.

رَبَّتْ الأمير برودريك على ساعد أخيه الملك، ثم قال مازحاً:
- بالتأكيد سأفعل، فأنا لا أرغب بأن تسرق تلك الشقية
الصغيرة الأضواء مني.

ضحك الملك وهو يعي تماماً ما يُشير إليه شقيقه فقال:

- تلك الشقية هيلينا لم تعد صغيرة، أصبحت بسن الزواج الآن.
رفع الملك حاجبيه مع نظرة جانبية لأخيه وهو يلقي بعبارة
الأخيرة، ثم أضاف إليها ابتسامة فهم برودريك معناها فأجاب
من فوره:

- أعلم، أعلم فلا ترمقني بهذه النظرات، تحدّثْ مع ابني ريفن
بهذا الشأن، وأخبرني بأن أتقدّم لخطبتها بشكل رسمي بعد الانتهاء
من موضوع الأكاديمية لأنه يرغب في المشاركة كما تعلم.

- لا بأس مازالا يافعين على أي حال، كما أنها فرصة للامتنين
حتى يتقرباً من بعضهما.

في قاعة الاجتماعات، لملم معظم المستشارين والوزراء أوراقهم
وهموا بطريقهم للمغادرة، ومن بينهم وايتمان الذي حمل أوراقه
ومضى في طريقه ناحية الباب، وقبل أن يتخطاه أوقع بضع
الورقيات أرضاً، وعندما انحنى لالتقاطها وجد يداً أخرى تمتد
لمساعدته، فقال صاحبها:

- دعني أساعدك أيها المستشار وايتمان.

- لا بأس يمكنني تولى الأمر.

أجاب وايتمان وهو منحنٍ يجمع أوراقه، ثم استقام ليُرى بأن من
ساعده لم يكن إلا وزير الدفاع والذي ابتسم بطريقة مريبة ليقول:

- أتمنى ألا تُمانع أن أسير معك حتى العربة.

ردَّ وايتمان له الابتسامة ذاتها ثم أجاب:

- بالتأكيد لن أمانع معالي الوزير، تفضل.

مدَّ وابتسم يده ناحية الباب وانحنى قليلاً احتراماً للواقف أمامه، فضحك الوزير وربت على كتفه، وهكذا سار الاثنان وهما يتبادلان أطراف الحديث في أمور شتى.

- ههه، بول وابتسم، من عمدة لقرية صغيرة إلى مُستشار في البلاط الملكي، الآن فقط علمت كيف تمكّنت من أن تأسر قلب الملك، لديك لسانٌ معسولٌ يا رجل.

- هذا مدحٌ أقبّله برحابة صدر.

أصبح الوزير أكثر جديةً بعد أن تمكّن الاثنان من بلوغ البوابة حيث كانت العربة بالانتظار، فقال:

- أردت أن أسألك بما أن ابنك ريس هو أحد الفرسان الأربعة المقرّبين من الأميرة هيلينا.

تنهّد بول، وأجاب باقتضاب:

- إنه كذلك.

ضيقَ الوزير جفني عينيه وهو يلقي بسؤاله:

- إذا أخبرني، هل علينا القلق بشأن أميرتنا الصغيرة؟

حدّق بول في العربة التي تنتظره هناك، ثم استدار ناحية الوزير وأجابه:

- أتمنى لو أجيئك الآن، لكنني أطمع لأن أسرق من وقتك الثمين ما هو أكثر من بضع دقائق أمام بوابة القصر.

ابتسم بول بنخب ثم أضاف:

- فأنا رجل لا يكفني بالقليل كما ترى يا سعادة الوزير.

ضحك الوزير وقد فهم ما يرمي إليه بول وابتسم، فربّت على كتفه ووعدته بلقاء آخر.

انقضى يومٌ آخر وحانت ساعة الصفر، تحرّكت أفواجٌ غفيرةٌ واندفعت داخل مضمار المنافسة، كان جاسبر وجيريمي من بينهم، تمكّنا من تخطي إحدى البوابات الضخمة وسارا في ممرٍ حجرٍ عريضٍ فرشت أرضيته بالسجاد الأزرق ذي الأطراف الذهبية، وتوزعت على جانبي الممر شعلات متقددة لإضاءة الطريق، وعندما وصلا إلى نهاية الممر بانت لهما ساحة المنافسة، أرضٌ ترابيةٌ شاسعةٌ بيضاويةٌ في شكلها، مُحاطةٌ بممرٍ مُسيّجٍ، زيتته قناديلٌ مُشتعلةٌ صغيرةٌ والتي بدت لهما من بعيد كعقدٍ من اللؤلؤ اللّامع وسط هذا الجو القرمزي، ومن خلف السياج ترتفع المدرجات الحجرية بتناسقٍ مريحٍ للعين، يُعادل ارتفاعها علو بناء ثلاث طوابق، ويتوجّها أخيراً بعض الأبراج المتوجهة بفعل شعلات ضخمة في داخلها.

- أنا لم أر شيئاً كهذا في حياتي من قبل.

كان هذا تعليق جيريمي على ما يراه، فحكّ جاسبر ذقنه وقال ساخراً:

- وأنا الذي اعتقدت بأنني قد شاهدت كلّ شيءٍ كجائعٍ مُتجوّل.

ثم التفت ناحية جيريمي ليُخاطبه قائلاً:

- هيا أيّها الشاب لا وقت للدهول الآن علينا أن نجد مكاناً مناسباً للجلوس.

أوماً له جيريمي موافقاً، فتحرّك الاثنان صعوداً حيث ستكون الرؤية أوضح.

مضت الدقائق وامتلات المدرجات رويداً رويداً حتى أضحت أصوات الجماهير تُعادل بضوضائها طنين خلية نحلٍ عامرة، من بين تلك الجموع شقّ الماركيز كريستوفر والكر وزوجته الماركييزة باربرا طريقهما بصعوبة إلى أن تمكّنا من العثور على مقعدين مناسبين، جلس الاثنان وقد ذهلا تماماً من مدى الإقبال على الافتتاح،

فقال الماركيز:

- أعتقد بأننا وُفقنا بهذه المقاعد الجيدة، ومع هذا أجدها بعيدةً
بعض الشيء...

حاول الماركيز تركيز نظره على الساحة ليُكمل مخاطباً زوجته:

- يبدو أن نظري ليس جيداً كالسابق.

وهنا أخرجت الماركيزة منظراً ذهبياً صغيراً من حقيبتها
الأنيقة، ورفعت أحد حاجبيها بينما ترمق زوجها بنظرة جانبيةٍ
لتقول:

- كان عليك أن تكون أكثر استعداداً يا عزيزي.

- أيمكنني استخدامه؟ لثانية فقط.

تجاهلت الماركيزة طالبة، ووضعت المنظار الصغير أمام عينيها
لتبدأ بالمراقبة وهي تقول:

- مستحيل، لقد أحضرته خصيصاً لرؤية إيلي، فأنا أتطلع شوقاً
لما قد تُنجزه هنا.

- تلك الفتاة سيطرت على عقلك بالكامل، أعتقدين حقاً بأنها
مناسبة لابننا هنري؟

مطت الماركيزة باربرا شفيتها وأجابت:

- عليك أن تقلب السؤال يا عزيزي، فتلك الفتاة روح حرةٌ
وأعتقد بأن ابننا غير جدير بها.

مع تدافع الناس وامتلاء المكان زاد صخب الجمهور، ولكن ما
إن وصل موكب الملك حتى هدأ الجميع، وللحظة عم السكون
أرجاء المكان، توقّف موكب الملك عند البوابة الرئيسية، فنزل من
العربة برفقة الملكة غلوريا، وعندها بدأت الفرقة الموسيقية بالعزف
بالتزامن مع سيرهما إلى الداخل، بين المدرجات وفي المنتصف
تقريباً برزت منصةٌ تمّ تخصيصها للعائلة الملكية ول كبار الزوار أيضاً،
كانت الأميرة هيلينا وأختها الصغيرة هناك بانتظار الملك والملكة،

وخلال دقائق أتت مُساعدة الأميرة دونا لتُبلغ هيلينا بأن كل شيء يسير حسب الجدول تمامًا، وما إن وصل الملك حتى تقدّمت هيلينا ناحية حافّة المنصّة، أخذت شيقًا عميقًا، من ثمّ تحدّثت بصوت جهوري وصل صده لـكل الحاضرين:

- يا شعب مملكة ديمونتريا، أنا الأميرة هيلينا ابنة ثودور الرابع وموحدّ المملكة، أود أن أشكركم جميعًا على مجيئكم اليوم لهذا الحدث المهم، والأول من نوعه في مملكتنا، لهذا آمل بأن نُحقّق جميعًا أمورًا عظيمةً من هذه اللحظة، ولو أنكم أمعنتم النظر جيدًا حولكم فستفهمون ما أرمي إليه...

أدار جيريمي رأسه ومسح المكان عن يمينه وشماله كما فعل الكثيرون من حوله، فقال جاسبر ساخرًا:

- ههه فتاة جريئة، أراهن بأن النبلاء يشتمون في سرّهم الآن.

لا فواصل أو فروق بين مقاعد النبلاء وعامة الشعب، فقد بيعت التذاكر بمبالغ رمزية على الجميع ودون أي اعتبار لمكانتهم الاجتماعية، حتى أن الفقراء قد تمكّنوا من شرائها والحصول على مقاعد جيدة مقارنةً بالنبلاء الذين تكاسلوا في الحضور باكرًا.

- مدهش، أنا لم أنتبه لهذا.

علق جيريمي على الوضع بعد أن انتبه إلى عائلة أرسقراطيةٍ تجلس على بعد مقعدين فقط من موقعه وجاسبر، فقال له الأخير بصوت منخفضٍ:

- انتبه يا فتى لا تُثر حَنَقَهُم بأي تعليقٍ غير ضروري، لفتى لو أنهم امتثلوا لرغبة الأميرة إلا أنهم غير راضين تمامًا.

لم يتمكن الكونت الجالس على بُعد مقعدين من سماع ما قاله جاسبر، ومع هذا نظر باشمترازٍ ناحيته وجيريمي، ثم قال متذمّرًا لزوجته:

- لقد اعتقدت بأنها مجرد مزحةٍ ثقيلةٍ من قبل الأميرة، ولكن ها نحن هنا.

ثم قالت زوجته الكونتيسة بوجهٍ مضطرب:

- آردين لا يمكنني تحمّل رانتمهم المقرّزة، أشعر وكأنّنا في زريبة.

أدلت بتعليقها وهي تضع منديلها الحريري على أنفها، كما أنّها بدت غير مُرتاحة إلى نظرات بعض المتفرجين بجانبها، وما زاد الأمر سوءاً بالنسبة لها هو ما قاله زوجها الكونت آردين:

- كُفّي عن التصرف بهذه الطريقة أمام الجميع يا امرأة، ماذا لو لاحظك شخصٌ مُقرّبٌ من العائلة الحاكمة، أتمنّ أن تُظهريني بموقف سيء، فكّري بأبنائنا على الأقل.

وبازعاج واضح أنزلت المنديل لتقول:

- حسناً ولكن أيمكنني اختيار المقاعد في المرة المقبلة.

- افعلي ما تشائين طالما أنّك لا تسبّين لنا بالخرج، بالمناسبة...

حتى الكونت جسده إلى الأمام بعد أن انتبه إلى المقعد الفارغ على الجانب الآخر لزوجته مارغريت ثم سألها:

- أين هي ليندا؟

- قالت بأنها ستذهب مع نانسي لرؤية إيلينور، فكما تعلم تلك الفتاة خرقاء، أخشى أن نُخرجنا أمام الحضور.

أطلق الكونت نخرةً ساخرةً ليقول مُعلّقاً:

- على الأقل أنتِ تعلمين كيف أشعر الآن.

- ما الذي تعنيه؟

نهرته غاضبةً، فتجاهلها الكونت وعاد يستمع إلى خطاب الأميرة والذي وصل إلى نهايته تقريباً، ابتسمت الأميرة وهي تقول:

- لا أريد أن أطيل عليكم، أعلم أنّكم بشوق إلى بداية المنافسة لهذا أطلب من جميع المتقدمين التّفضل والدخول إلى الساحة.

مع نهاية خطابها قرّعت الطبول وبدأ العزف من قبل الفرقة



الخاصة، ففُتحت البوابات الأربعة العملاقة ودخل فوج المشاركون على شكل خطوط متناسقة، أخذوا يترأصون بمنتصف الساحة بشكلٍ منظمٍ كما لو كانوا فوجاً من كُتّاب جيش مدرب، وتزامن مع ذلك تصفيق وتهليل من الجماهير الغفيرة، كان الأهالي يُشرون إلى أبنائهم وبناتهم وكأنهم يرونهم للمرة الأولى، عند أحد المقاعد وقف الكونت رايموند وصَفَّق كأبٍ نفور بعد أن لمح أبناءه لويس، روي، جو وابنته روز، ثم ابتسم رغماً عنه بعد أن شاهد مدى توتر الصغير جو، لكن سرعان ما تحولت ابتسامته لشيءٍ بائسٍ، مخاطب نفسه قائلاً:

- عزيزتي كارولين، كيف كُنْتَ ستشعرين لو كُنْتَ معنا هنا اليوم يا ترى؟

بين المشاركون انتفض الصغير جو رعباً في موضعه، شعر بالدوار كلما رفع رأسه لينظر إلى الجموع الغفيرة، فأغض عينيه وأزل رأسه، عندها سمع أخاه لويس والذي كان يقف خلفه مباشرة يقول له بصوت منخفض:

- تمالك نفسك، ما باللك ترتجف كفتاةٍ صغيرةٍ؟ انظر إلى روز أمامك.

فتح جو عينيه على مهل فشاهد أخته تقف أمامه بجرأةٍ حسدها عليها، ثم سمعها تطلق ضحكةً ساخرةً هي وروي من أمامها، حاول الاثنان كتمها قدر الإمكان، تذكّر جو عندها حديث إخوته بعد جولة الصيد تلك وسخريتهم منه، وحاول تذكير نفسه بسبب وقوفه هنا اليوم، إلا أن هذا لم يساعد على تخفيف توتره، بل زاده لحدّ لا يُحتمل، وهنا سمع صوت أحدهم يقف في الصف عن يمينه يُخاطبه قائلاً:

- هل ستركهم يسخرون منك هكذا؟

أدار الصبي رأسه فارتعش بموقعه وقد وقعت عيناه على صاحب رقعة العين، ثم انتبه لرفيقه الذي يقف أمامه في نفس الصف، ما

الذي يفعلانه هنا؟ ثم عاد لينظر إلى صاحب الرقعة، أراد سؤاله، لكن كلماته لم تجد طريقها إلى الخارج، لذلك ظلَّ يرمق ليون بتوتر، فقال الأخير بصوت منخفض:

- توقف عن التحديق فهذا مُزعج.

قالها ليون وهو ينظر أمامه دون أن يلتفت ناحية جو، فأثار دهشة الصبي وخاصة أنه يقف عن يمينه، وتساءل أهى أحد تلك الغرائز التي يمتلكونها؟ لكن هذا ليس وقت الإعجاب الآن، أما هنا لإحداث المشاكل؟ أم أنهما تعمداً اللحاق به إلى هنا؟ تدافعت الأسئلة في عقل الصبي، وشغلت تفكيره لدرجة نسي معها رهبة الجمهور، كما أن جسده توقف عن الارتعاش، انتبه الأخ الأكبر لويس لحديث أخيه جو مع ليون، لكنه لم يقل شيئاً بما أنه لم يتعرف على ليون.

على بعد عدة صفوف، حاولت إلينور أن تقف على أطراف أصابعها بضع مرات من دون فائدة، فن يقف أمامها قد سدَّ المشهد أمامها بالكامل، هذا الشاب بضعف حجمها وربما أكثر، كما أنه يضاهي طول أخيها آرثر رغم أنه يبدو صغيراً بالسن، وهنا تذكرت إلينور أخويها بيتر ووالتر، فعلى الرغم من أن الثلاثة قد قدّموا طلبات الالتحاق بنفس الوقت إلا أنها قد فصلت عنهما وقد حصلت على رقم جعلها تقف في نهاية الصف، وهنا قرّرت التصرف، فوكّرت ظهر الشخص الواقف أمامها بإصبع سبابتها لتخاطبه بصوتها الرقيق:

- عفواً.

شعر جاك بوكز إصبعها واعتقد بأن أحدهم يرغب بافتعال شجار معه، فاستدار ناحيتها بوجه غاضب، لكن سرعان ما زال غضبه بعد أن شاهد ذلك الوجه اللطيف مع تلك الابتسامة البريئة، فسأل بحرج:

- أهناك خطبٌ ما يا آنسة؟

ابتسمت له إينور بلطافة ثم أخبرته بما أرادت دون ذرة تردّد،
بينما كانت ماغي التي تقف أمامه مباشرة تُثرثر مُتذمرة من هذا
الوضع بلا توقّف، وبعد فترة شعرت معها بفقد التواصل مع
جاك، التفتت مُتجهمة ناحيته فقط لتجد ذلك الوجه البريء بدل
وجه جاك العريض، عندها رفعت إينور يدها ملوحة:

- مرحباً، لقد تبادلنا الأماكن و...

وقبل أن يتسنى ل إينور إكمال جملتها سحبتها ماغي وتبادلت
معها الأماكن، فأصبحت ماغي أمام جاك مُجدداً، مدت يدها
وأمسكته من ياقته لتشده ناحيتها، انحنى الشاب الضخم إلى
الأسفل حتى أصبح وجههما مُتقابلين، فقالت له ماغي بنفاذ
صبر:

- ما الخطب يا جاك... أعني جيكون؟

بما أن الاثنين لا يملكان أوراق إثبات شخصية، فقد قررا تزوير
تلك الوثائق والدخول إلى الاختبار بأسماء مُستعارة، ولأنهما لم
يرغبا باستخدام أسماء لا يألّفانها فاتفقا على استخدام اسمي والديهما
جيكون وباريسيا.

- لقد طلبت بلطافة.

أجابها جاك وهو يبتسم ببراءة لا تتناسب مع هيئته، ثم أخذ
يفرك مؤخرة رأسه وهو يُحاول تفسير موقفه، بالمقابل تنهدت
ماغي بانزعاج، وقبل أن تبدأ بتأنيبه سمعت صوت إينور خلفها
تُنادي فرحة وهي تُحاول لفت انتباه أحدهم في الصفوف
الأمامية، لم يأخذ منها الأمر إلا بضع ثوانٍ حتى شدّت انتباه
الجميع ناحيتها وهي تنادي على أخويها بصوت عالٍ:

- هاااي بيتر، والتر أنا هنا.

قفزت الفتاة ولوّحت بكلتا ذراعيها فرحة، بينما تجاهلها والتر
تماماً واستمر في النظر إلى الأمام مُتظاهراً بعدم معرفتها، في المقابل
بالكاد تمكّن بيتر من رفع يده لها بارتباك واضح، شعر الصبي

بالحرج، وكل ما تَمَنَّاهُ في تلك اللحظة هو أن تهدأ أخته فقط، أما في الأعلى كانت ليندا قد وصلت لمقعدها للتو، جلست بقرب والدتها المخرجة وأخذت تلوح لأختها فرحة وقد سَعِدَتْ بأنها تنصرف على طبيعتها أمام الجميع، وعلى الجانب الآخر أشرق وجه الماركييزة باربرا بدورها بعد أن لحت إلينور بين المتسابقين كما فعل الجميع لتخاطب زوجها قائلة:

- انظريا عزيزي ها هي إيلي.

بينما بين صفوف المشاركين، علّق أوليفر بانزعاج على تصرف إلينور:

- هنالك الكثير من الحمقى في هذا الاختبار.

تجاهل أوليفر ضحكات الجمهور ورفع رأسه لينظر ناحية منصة كبار الزوار، تأمل العائلة الحاكمة هناك وقد لاحظ تغيب الأميرة الكبرى، ثم سار بنظره حتى وصل إلى المقاعد الجانبية حيث كان من المفترض أن تكون مخصصة للأساتذة المشاركين، لمح الشاب أربعة من أصل خمسة أساتذة تم الإعلان عن انضمامهم كجزء من طاقم الأكاديمية يجلسون هناك، اللورد آرثر الابن البكر للكونت آردن، يليه اللورد كيث، وبجانبه الأنسة بيل، أما الرجل العجوز فهو البروفيسور داروين.

رمى أحد الجنود بورقة اللعب الأخيرة لديه في الكومة أمام بقية رفاقه، فألقى الجميع بأوراقهم مُعترضين على فوز صاحبهم، عندها نهض الجندي الفائز ليقول متفائلاً:

- أنا الفائز وهذا يعني بأنني لن أناوب على الحراسة لهذا الشهر.

- تباً لك لقد غششتَ باللعب.

اعترض بعض زملائه بينما كان هو لا يزال يتباهى بفوزه ويُغيظهم بتعابير وجهه المستفزة، وجأة صمت جميع من في الغرفة المكتظة، بينما هو يهزأ بهم حتى أخرسه سماعه لصوت غليظ من

خلفه يقول:

- ما هذه المهزلة؟

وبفزع نهض جميع الجنود لأداء التحية العسكرية، ثم استدار الجندي الفائز ليرفع ذراعه على مهل مُقدماً تحيةً ركيكةً وهو يقول:

- سيدي الجنرال ماكسويل.

باستخدام عصاه السميكة رفع الجنرال ذقن الجندي لأعلى ثم أمره بنبرة هادئة وحازمة:

- بعد أن تنهي خمس مئة دورةً ذهباً وإياباً على طول جدار الحصن ستحظى بشرف غسل جميع المراحض لهذا اليوم وكل الأيام التي تليه حتى...

ثم رفع الجنرال حاجبه وحول نظره إلى بقية الجنود ليضيف:

- حتى يحلّ محلك أبله آخر... لينصرف الجميع لأداء أعمالهم في الحال.

- أمرك سيدي.

نطق بها الجميع بصوت عالٍ وانفضوا بعدها بسرعة البرق من أمام الجنرال، غادر ماكسويل الغرفة الصغيرة والتي كانت في أحد الأبراج على طول الجدار الجنوبي والذي بُني حديثاً تخطيطاً فاصلاً بين حدود المملكتين، وقف الجنرال عند حافة السور متأملاً الجهة الجنوبية بينما راقبه الجنود في الأسفل بحذرٍ بالغٍ، بالقرب من مخزن الأسلحة سأل أحد الجنود رفيقه الأكبر سناً:

- أهذا هو القائد الجديد؟

وبوجه مضطرب أجابه رفيقه:

- نعم، لقد عاد بعد غيابٍ طويل...

ثم ركل الجندي التراب قبل أن يضيف:

- لم يعد فقط، بل ترقى أيضاً إلى رتبة جنرال.. تباً، ما كان على

القائد يوجين أن يتركها تحت إمرته.

في موقعه بأعلى السور استدعى الجنرال ماكسويل أحد المجندين ليسأله:

- أين هو رايدر؟ توقعت أن أراه لحظة وصولي.

أجاب المجند وهو يُشير ناحية الغرب:

- لقد غادر بصحبة العقيد يوجين إلى العاصمة.

ودون أن يحيد ببصره عن الجنود في الأسفل قال الجنرال ماكسويل:

- ما هي ربتك أيها المجند؟

اعتدل الجندي بوقفته ليُجيب بحماسة:

- ملازم الفصيل الثالث.

نخرة ساخرة صدرت من فم الجنرال ليقول:

- تبدو شاباً واعدًا لهذا ثمت ترقيتك أيها الملازم، ستحل محل رايدر...

ثم سار الجنرال بضع خطوات شابكاً يديه خلف ظهره ليضيف وهو ينظر إلى الجنود من تحته:

- ستساعدني في تنظيف هذا المكان، فلا يُمكنني أن أقبل التسبب الحاصل بسبب قائدكم السابق.

في هذا الوقت كان يوجين ومُساعدُه رايدر في منتصف الطريق المؤدية إلى العاصمة، يسيران على مهل فوق جواديهما بين الحقول الواسعة، فسأل رايدر بعد أن شعر بعدم الارتياح:

- هل ترى يا سيدي أنه من الحكمة ترك الرجال لوحدهم مع الجنرال ماكسويل؟ ربما ما كان عليّ أن أرافقك؟ ما الذي ستقول الأميرة لو أنها...

قاطعه يوجين بعد أن سئم من أسئلته المتلاحقة:

- هذا يكفي يا رايدر...

ثم مدَّ يوجين ذراعه ناحية الحشائش الطويلة على جانب الطريق ليقطع طرف أحدها، وضعها في فمه ليعلك ساقها الجافة وهو يتذكر تلك الليلة قبل ثمانية عشر عاماً، كان في طريقه ليُسلم خطاب ألكساندر إلى القائد ماكسويل والذي كان آنذاك مسؤولاً عن الحصن الشرقي على ضفاف قرية فشرمان، سرحت عينا يوجين في الفراغ وقد رسمت مخيلته صورة ماكسويل الذي رفض الانصياع للخطة في ذلك الوقت، لقد ترجّاه طويلاً وهو يعلم بأن رفاقه في الحصن الجنوبي يعتمدون على نجاحه بإقناع ماكسويل، تمكن يوجين من فعلها في النهاية، إلا أنه كان متأخراً، متأخراً لدرجة أنه وصل مع ذروة احتدام القتال بين الطرفين، كانت خطة ألكساندر تعتمد على انسحاب جنود ماكسويل من الجانب الشرقي للخليج حتى يسمحوا لأسطول الأعداء بالتقدم أولاً، ثم وبعد توغل سفتهم في المياه الضحلة سيأتي ماكسويل مع جنوده باستخدام قوارب الصيد الصغيرة الخاصة بصيادي قرية فشرمان، كانت مصممة بشكل خاص للإبحار في مياه الخليج الضحلة من دون مشاكل، وهكذا سيُحاصرون أسطول الأعداء، ماكسويل مع قواربه من جهة الشرق، وألكساندر مع جنوده على طول الساحل الغربي، لم يتمكن يوجين من منع نفسه بالتفكير في ما كانت ستؤول إليه الأمور لو أن ماكسويل استجاب سريعاً في تلك المعركة، فتهدَّ باصقاً ساق النبتة الجافة من فمه ليقول مخاطباً رايدر:

- لا تقلق على الرجال يا رايدر، معظمهم جرّبوا العمل تحت قيادة ماكسويل من قبل.

إجابة يوجين لم تمنح رايدر الأمان الكافي فقال:

- تبدو مسترخياً أكثر من المطلوب وهذا يوترني بعض الشيء
حضرة القائد..

ثم رفع رايدر نظره إلى السماء مُضيقاً:

- كما أنك لن تصل في الموعد المحدد لحضور منافسة الأميرة.

لم يبد على يوجين بأنه مهتم للأمر عندما أجاب:

- ألا تعتقد بأن الجو لطيف هنا يا رايدر؟ فلم العجلة؟

- ولكن الأميرة...

ابتسم يوجين ثم تنهد قائلاً:

- مجرد منافسة للأطفال، حضورنا مبكراً أو متأخراً لن يحدث

أي فرق.

نظر المساعد بقلق ناحية يوجين وقال بصوت متخاذل بينما كان

يشدُّ على لجام جواده:

- أنت حقاً لا ترغب في تلبية طلب الأميرة.

- ومع هذا ها نحن ذا في الطريق، أليس كذلك؟

أجابه يوجين وهو يُحدِّق في قرص شمس المغيب في الأفق، ثم

أردف:

- إن كُنا محظوظين بما فيه الكفاية فسنصل مع اليوم الأخير.

في مضمار المنافسة، تركت الأميرة موقعها واقتربت من حافة

الشرفة مُجدداً، أرادت أخذ نظرة أخيرة قبل النزول من أجل

توضيح قواعد الاختبار للمنافسين، وعلى غير المتوقع اعتلت وجهها

نظرة دلت على عدم رضاها، فاقترب منها فارسها ريس قائلاً:

- سموك! علينا بالنزول حالاً.

أومأت له برأسها، وحمِلت طرفي فستانها لتسجّه ناحية الدرج

الداخلي، سارت هيلينا على مهل بينما كان ريس مُلاصقاً لها،

فأشار لبقية الفرسان حتى يسبقوهما إلى الأسفل وينضموا إلى

المُساعدة دوناً، عندها وجد الفرصة سانحة فسألها بغير كلفة:

- لمَ كل هذا العبوس؟

أجابته هيلينا من فورها وبصوتٍ مُحْبَط:

- عددهم قليل.

- إنهم ألفا مُشارك، هذا ليس بالعدد الهين.

- أنا أعني أبناء الليل، التقرير الأولي أفاد بأن عددهم من بين

المُشاركين يُقارب الخمسمئة، لكن ما رأيتهُ قبل قليل لا يتجاوز الثمانين حتى.

ضحكة ساخرة هربت من بين شفطي ريس قبل أن يردَّ قائلاً:

- أفهم تعاطفك معهم، لكن انسحاب هذا العدد منهم يدلُّ على

تفكيرهم السليم، فهم بشكل عام ضعاف البنية، لن يكون أمامهم أي فرصة في هذا الاختبار، الانسحاب أفضل من التعرض للإهانة علناً.

وبنظرة تحمل فيها الكثير أجابته:

- أتعلم يا ريس بأنه لا توجد أي أدلة علمية على هذا القول.

توقفت هيلينا عن الحديث عند هذه النقطة، فقد تخطَّت البوابة

المُطلَّة على الساحة، سارت وسط تهليل الجماهير حتى أصبحت أمام المُشاركين، ثم رفعت يدها عاليًا فصمت الجميع لتُخاطبهم قائلة:

- والآن حان الوقت لأطلعكم على قوانين الاختبار، والذي

سيبدأ من اليوم ويستمر حتى آخريوم من الأيام المُشرقة.

وجه جميع المُشاركين أنظارهم إليها بترقب، بينما أكلت الأميرة خطابها:

- ينقسم الاختبار إلى جزأين، الجزء الأول يتضمن جمع النقاط

من مئة، وأصحاب النقاط العالية هم فقط من سيتأهلون إلى الجزء الثاني من الاختبار.

ابتلع جو لعبه وهو يستمع بحرص، فعادت الأميرة لتفسير طريقة الحصول على النقاط، أشارت إلى مجموعة من الطاولات التي صُفت جانباً حيث وقفت مُساعدتها دوناً، ثم قالت:

- ستجري مباريات لكل التصنيفات المختلفة، كالمبارزة، الرماية، القتال الحر وما إلى ذلك، وبإمكان كل واحد منكم التسجيل بأي تصنيف يُفضّله، وبالإمكان اختيار أكثر من تصنيف إن أردتم ذلك، لكن ضعوا في الاعتبار بأن النقاط ستوزع على عدد التصنيفات التي يختارها كل واحد منكم، فإن اختار أحدكم المبارزة فقط فإن فوزه بها سيساوي مئة نقطة، وكذلك خسارته، أما إذا اختار على سبيل المثال المبارزة والرماية معاً، فإن فوزه أو خسارته بكل واحدة من الجولتين ستكون خمسين نقطة...

ابتسمت إلينور، واتسعت حدقتها الخضراويتان وهي تذكر ما قالته صوفي، ربما هي الآن تمتلك فرصة للنجاح، ففي اليوم الذي أدركت مدى فشلها في المهارات القتالية عرضت عليها صوفي خياراً بدا لها ولأختها ليندا غريباً بعض الشيء، كانت وقتها تتدرب في الباحة الخلفية لمنزلهم مع أخيها بيتر، وعلى الجانب وقفت صوفي تتحدث مع ليندا عن بضعة أمور:

- الآنسة الصغيرة ربما لا تتمتع بمهارات قتالية، لكنها تملك شيئاً آخر.

- إلى ماذا ترمين تحديداً؟

وهنا اقترب ناحيتهما بيتر المُنهك، ومعه إلينور التي لم تياس حتى الآن، ارتدى الفتى أرضاً، بينما وقفت إلينور تستمع إلى صوفي التي كانت تقول:

- عندما كُنتُ أعمل في تلك الحانة اعتدت على سماع عدّة أمور، فن بين رواد المكان من يعملون بالقرب من الأميرة هيلينا، وذات مرة أفصح أحدهم عن فكرة الاختبار لصاحبه، يمكننا

أن نستفيد من هذا لصالحنا، فبحسب ما فهمته بأنه يحق للمشاركة اختيار أنواع الجولات التي يرغب بخوضها وعددها وستوزع النقاط المئة عليها بالتساوي، كل ما على الأنسة فعله هو المشاركة بمنافسة واحدة والفوز بها عندها ستضمن المئة نقطة على الفور.

علقت ليندا على ما قالته صوفي بغير اقتناع:

- تقولين هذا وكأنك واثقة أنه بمقدورها الفوز.

بدت ليندا مُشكِكة قليلاً بذلك الوقت، على عكس صوفي التي نظرت إلى سيدتها الصغيرة وهي واثقة تماماً بنجاح فكرتها.

دبّ الحماس في قلب إلينور، فكل ما عليها فعله الآن هو اختيار الجولة المناسبة، وتنفيذ خطة صوفي بالحرف الواحد، في المقابل ابتسمت ليندا الجالسة على مقعدها بين الجمهور، فقد كانت غير واثقة من مدى صحة رواية صوفي آنذاك، لهذا أسندت ظهرها إلى الكرسي بأريحية وقد زال جزء من همها الآن.

في هذه الأثناء واصلت الأميرة حديثها وسط ربكة شعرت بها تصدر من بعض المشاركين:

- والآن سأعطيكم نصف ساعة للتفكير، ومن ثمّ عليكم التقدّم وتسجيل أسمائكم بالمنافسات التي ترغبون بها هناك عند طاولات المنظمين.. اختاروا بحكمة لأنّ مثني مشارك فقط من سيتأهل إلى القسم الثاني من الاختبار.

وبلحظة تشتت الجميع في كل أرجاء الساحة، ذهب الصغير جو برفقة إخوته ناحية غرف الاستراحة داخل البناء، إلا أنه ظلّ يلتفت ناحية ليون وغيلبرت طوال الطريق، فأسرع غيلبرت وسحب ليون من ذراعه ليقول له بارتباك:

- تباً لذلك الصبي، هل رأيت وجهه؟ يبدو بأنه سيخبر الجميع عنّا.

أنزل ليون يد غيلبرت وهو ينظر ناحية المكان الذي توجه له جو لتوجه، ثم أجاب قائلاً:

- اهدأ يا غيلبرت، سأتولى أنا أمره.

- ما الذي ستفعله؟ دعني أساعدك.

أشار ليون ناحية طاولات التسجيل، ثم قال:

- لا، بل ستذهب للاستفسار عن بضعة أسئلة، لدينا مُهلة

نصف ساعة فقط لاتخاذ القرار...

شعر ليون بتردد غيلبرت، فابتسم وقد ضاق جفنه، ليقول بنبهة

هادئة خيثة:

- لم باعتقادك قام السيد والسيدة بدفعي للمشاركة معكم؟...

ثم فتح عينه على وسعها وحدق في صاحبه بطريقة مُفرعة

ليقول:

- الاهتمام بمثل هذه الأمور هو من تخصّصي.

ما كان من غيلبرت إلا أن يومئ برأسه موافقاً دون إضافة كلمة

أخرى، وذهب بعدها ناحية طاولات التسجيل، حيث كان

أوليفر قد سبقه إلى هناك بالفعل، أما ليون الذي زالت ابتسامته

كلياً فقد تحرّك ناحية غرف الاستراحة، تخطى البوابة وتفادى

الارتطام ببقية المتسابقين الذين يحومون كالذباب بعشوائية،

وبلحظات تمكّن من رصد جو الذي وقف على بُعد مسافة كبيرة

من إخوته والذين كانوا منشغلين بمناقشة اختياراتهم، وجد ليون

فرصته سانحة فتقدّم بخفة، سار دون أن يلاحظه أي من إخوة

جو، وسحب الصبي من عضده، بينما وضع يده الأخرى على فمه

حتى لا يصدر صوتاً، جره بلهج البصر إلى ممر جانبي، ودفعه

ناحية الجدار بعنف ليُحاصره هناك، ضرب ليون بكف يده على

الجدار ثم انحنى ناحية الصبي وأسر بأذنه قائلاً:

- صرخة واحدة ويحوّل هذا المكان إلى بركة دماء، هل كلامي

واضح؟

أوماً جو بخوف، فأزال ليون يده عن فم الصبي وابتعد خطوتين

إلى الراء، وبانفعالٍ بادر جو ليقول:

- أنا لم أخبر أحداً عنكما ولن أفعل.. هذا ما أتيّت للتأكد منه،
أليس كذلك؟

ربع ليون ذراعيه وأسند ظهره إلى الحائط الجانبي، بدا مُسترخياً
وهو يجيب:

- أعلم بأنك لن تخبر أحداً بشأننا.

احتار جو قليلاً، ثم سأل:

- أنا لا أفهم، ألم تأتِ لتهديدي؟ أو حتى القضاء علي؟

ابتسامة جانبية وجدت طريقها إلى فم ليون وهو يجيب الصبي:

- هيا يا جو، اعتقدتُ بأنك نبيهٌ أكثر من ذلك، لو أنني أردت
القضاء عليك لَكُنْتُ ميتاً بعد لقائنا الأول، ولو أردتُ أنتِ إخبار
أحد عنّا لكانت عائلتك في إثرنا بالفعل، وربما ما كنّا لنحظى بهذا
اللقاء حتى.

- إذا.. لماذا...؟

أشار ليون برأسه ناحية المخرج ليُجيب:

- المشكلة بأن صاحبي لا يثق بك، هو بحاجة ليقنع بأنك لن
تفعل شيئاً قد يضرنا، لهذا أقنعتُه بأنني سأصرف معك.

أمسك جو بياقته وشعر بأن حلقة قد جف من شدة التوتر، إلى
أين قد تصل هذه المحادثة؟ فسأل محاولاً الوصول إلى حلٍ معقول:

- هل من طريقة لإقناعه؟

ابتعد ليون عن الجدار، ووقف باعتدال ليُجيب ببرود وهو
يستدير مُغادراً:

- تلك ليست مُشكلتي، دوري ينتهي عند هذا الحد، حفظاً موفّقاً
يا فتى.

ترك ليون المكان، وترك معه الصغير جو حائراً فيما عليه فعله

الآن، فمن الواضح بأن ليون وغيلبرت مختلفان كلياً، فالأخير لن يتردد بقتله إن شعر بأن وجوده سيمثل تهديداً لبني جنسهم.

توجه ليون إلى غرفة الاستراحة، فالتقى بـ غيلبرت وأوليفر اللذين كانا يجثان عنه، اجتمع بعدها الثلاثة جانباً للحديث، ولاحظ ليون وقتها اضطراب غيلبرت، اقترض جازماً أن قلق صاحبه سببه موضوع جو، إلا أن الأمور أخذت منحى آخر غير ما توقعه ليون، تحدث غيلبرت وأخبره بكل ما قاله المنظمون:

- لقد سألتهم عن طريقة تنظيم المنافسات، وأخبروني أن عدد المشاركين كبير والمهلة التي وضعتها الأميرة هي أسبوع واحد، لهذا ستقام عدة منافسات في الوقت ذاته.

نظر ليون بعيني صاحبه وسأل بعد أن عجز عن فهم ما يريد قوله:
- وأين المشكلة في ذلك؟

فأجابه أوليفر عوضاً عنه ليقول بنبهة ساخرة:

- منافسات القوس والسهام ستقام بنفس وقت منافسات الرماية.

نزلت كلمات أوليفر كالجلل الثقيل على أكفاف ليون فوجد نفسه عاجزاً عن الإتيان بأي رد مناسب، وبنبرة قلقية سأله غيلبرت:

- ما الذي ستفعله الآن؟ أعلم بأنك كنت تعتمد على منافسة القوس والسهام لتخطي هذا الاختبار.

بعد سكوته لفترة وجيزة، مدَّ ليون يده لمؤخرة رأسه، بعثر شعره الأسود اللامع وهو يتأمل حجارة الأرضية تحت قدميه ليقول:

- لا بأس سأتدبر أمري بطريقة ما.

ثم رفع رأسه وقال بحموية مفاجئة:

- هيا لم يتبق الكثير من الوقت.

تحرك ليون ودفع غيلبرت أمامه، بينما وقف أوليفر ليقول:

- لقد انتهت من التسجيل، وأرغب بالذهاب للاستعداد.

ما اعترض الاثنان على ذهابه، واتجها بدورهما إلى المكان المخصص للتسجيل، وقف ليون أمام إحدى الطاولات ورفع رأسه ليقرأ ما كُتِبَ على القوائم المعلقة، رغم أن أمله أصبح ضعيفاً فيما يتعلق بمنافسة القوس والسهم الآن، إلا أنه قرر التسجيل بها بأي حال، ولكنه أضاف أيضاً منافسة المسابقة والمصارعة، بهذه الطريقة ستوزع نقاطه على ثلاث جولات على أمل أن يجمع ما يكفيه من النقاط التي ستؤهله إلى الجزء الثاني من الاختبار، بجانبه قرر غيلبرت وبثقة عالية اختيار منافسة المسابقة فقط بما أنه بارع بها، وبانتهائهما انتهت مهلة النصف ساعة، فجمع المنظمون الأوراق، وشرعوا بترتيبها، ثم أعلنوا بأن منافسات اليوم ستشمل المصارعة والقتال الحر، وسيتم تحديد الخصوم بشكل عشوائي خلال الدقائق التالية، لهذا أُخليت الساحة إلا من المشاركين الذين سجلوا بهذين التصنيفين، وقفوا جانباً ليدخل بعد ذلك مجموعة من الصبية من أجل تجهيز أرض المنافسة، وما إن انتهوا حتى علقت القوائم والتي تضمنت أرقام المشتركين، ثم تم الإعلان عنها بصوت عالٍ، في البداية كانت أرقام منافسة القتال الحر، ورقم جاك كان من بينها، فاستقام من موقعه وقد اشتعل حماسه الآن لمعرفة من سيكون خصمه، ذهب ناحية الدائرة المخصصة لنزاله، اختار أحد الأسلحة المصفوفة جانباً، والتي كانت مجملها مجرد أسلحة خشبية تحاكي الحقيقية في الشكل فقط، وجد جاك بأن المطرقة العملاقة ستكون الخيار الأنسب له، لهذا التقطها ولوح بها بيد واحدة وكأنه يلوح بعود خشبي صغير، وعلى الجهة المقابلة ظهر خصمه، شاب سمين يضاهيه في الحجم، ولولا وجهه الطفولي لشعر جاك بأنه يقف أمام وحش مخيف، شيء ما في ذلك الفتى جعل جاك يتذكر نفسه السابقة، فابتسم لا شعورياً وحمل مطرقته بكلا يديه، على الجهة الأخرى اختار خصمه الدرع الخشبية من بين كل الأسلحة المعروضة، بينما من موقعها صرخت ماغي بأعلى صوت لها

تشجيعاً لجاك:

- يُمكنك القضاء عليه يا جيـك.

كان على جاك وخصمه الانتظار، حتى يجهز بقية المتنافسين، فلا يزال القائمون ينادون على الأرقام تباعاً، كانوا قد فرغوا من أرقام مُنافسات القتال الحر وهم يعلنون الآن عن أرقام المشاركين في مُنافسات المصارعة، وحتى الآن لم يظهر رقم ليون، وللحظة اعتقد بأن نزاله قد يكون في يوم آخر، فالساحة قد امتلأت حتى آخرها، وفي آخر دقيقة ظهر رقمه وتم استدعاؤه للمنافسة، فربّت غيلبرت على كتفه:

- حظاً موفقاً.

بعد أن حصل على التشجيع من صاحبه اتّجه ليون ناحية الدائرة المُخصّصة لنزاله بذهن صافٍ، المصارعة سهلةٌ وغير مُعقّدة، هنالك ما يشبه الحلقة على الأرض، وينتهي النزال بثلاث طرق، الأول يكون بإخراج الخصم خارج حدود الحلقة، الخيار الثاني يتضمّن استسلام أحد الطرفين، أما الخيار الأخير أن يفقد الخصم وعيه بالتالي يصبح عاجزاً عن إكمال النزال.

- هل أنتما مُستعدّان؟

سألهما الحكم المسؤول عن نزاهما في الوقت الذي كان ليون يستعدّ بأداء بعض تمارين الإحماء البسيطة، ثنى الشاب جسمه إلى الأمام عند الجذع، وضغط على ركبتيه بكلتا يديه، وما إن استقام حتى تفاجأ برؤية خصمه، فقال بدهشة:

- أنتم تمزحون معي!

مُقابله تقدّمت الفتاة ذات الشعر الفضي، ولوّحت له بلطافة بينما كانت ابتسامتها العريضة لا توحى بجديتها أبداً، ثم قالت بسداجة طغت على ملامح وجهها البري:

- آمل ألا تكون عنيفاً معي أيها الشاب.

من موقعها في الأعلى صرخت أختها ليندا بأعلى ما لديها مُشجعة إياها:

- إيلي.. اهزميه شرّ هزيمة، يمكنكِ فعلها يا أختي.

وفي الوقت ذاته كانت نانسي أختها الكبرى تهتف من موقع آخر حيث جلست برفقة حماتها، بينما ابنا الصغير في حجرها:

- هيا يا أختي.

تحست الماركيزة باربرا بعد أن وقع نظرها على إلينور، فعادت للتلويح بحماسة وشاركها العديد ممن حولها بفعل الشيء ذاته، كانت إلينور مُلفتة للنظر بكل تأكيد، ليس بسبب مظهرها فقط، ولكن أيضًا بسبب الصخب الذي أحدثته في مراسيم الافتتاح، لهذا توجّهت أعين الكثيرين إلى تلك المنافسة بالذات، حتى أنها قد شدّت انتباه الأساتذة في أعلى المنصة ومن بينهم الأميرة هيلينا أيضًا:

- من تلك الفتاة؟

سألت هيلينا مُساعدتها دونا، والتي شرعت في قلب الأوراق بين يديها، بحثت عن استمارة إلينور حتى وجدتتها أخيرًا، وبدأت تقرأ بياناتها بصوت مسموع:

- إنها ابنة الكونت آردين والكونتيسة مارغريت، أُمّت السادسة عشر من عمرها وهي...

جأة توقفت دونا، بدت مُحترقة قليلًا، قلبت الأوراق مُجددًا، ومسحت العرق من على جبينها، ثم انحنت ناحية الأميرة لتقول مُعتذرة:

- أنا آسفة يا سيدتي، لا أدري كيف أقول هذا لكن يبدو بأن هذه الفتاة لا تملك أي شيء مُلفت في سجلها.

مُجاهلة نظرات الاستهزاء التي صدرت من بعض الأساتذة:

- حسنًا هذا لا يهم الآن، فلقد بدأ النزال.

أجاب هيلينا وهي ترفع منظارها الصغير ناحية نزال إليون وليون، كان الجرس قد قرع كإعلان لبداية القتال، فبدأت صرخات المتنافسين تعلو من كل جهة وناحية، وتصاعدت أصوات ارتطام الأسلحة الخشبية التي تداخلت مع وقوع الأجساد على الأرض الترابية وسط صيحات الجماهير المشتعلة حماسة، كان أكثر المناظر ضراوة ووحشية هو نزال جاك وذلك الشاب السمين، حيث تناطح الاثنان كثورين هائجين في الساحة، ارتطام مطرقة جاك مع درع ذلك الشاب كان أشبه بصوت انفجار قذيفة مدفع مدوية، ورغم هذا إلا أن معظم الأنظار قد وُجِعت ناحية تلك المعركة الصامتة والتي لم تبدأ حتى، ليون وإليون لا يزالان يُحدِّقان في بعضهما البعض دون حراك مما أثار سخط الكثيرين، فاستقام غيلبرت من موقعه في الجهة المُقابلة غاضباً، أراد الصراخ عالياً في صاحبه ليحثه على القتال، إلا أن شعوراً غريباً استوقفه، أحس الشاب بتلك العينين الصغيرتين الموجهتين ناحيته، فأدار رأسه على مهل ليجد الصبي جو ينظر إليه وهو سليم مُعافى، اعتقد غيلبرت بأن ليون قد تكفَّل بأمره بالفعل، عندها شدَّ على قبضة يده وقد تسَلَّل الشك إلى قلبه:

- تبا يا ليون.

غيلبرت يعلم لأي درجة قد يكون ليون مُحيفاً وقاسياً أيضاً، لكنه غير واثق إن كان صاحبه مُستعداً لإظهار هذا الوجه أمام خصوم أضعف منه، كهذا الصبي جو على سبيل المثال، فعلى الرغم من كلمات ليون المخيفة قبل قليل، حيث قال بأنه سيهتم بأمر الصبي، إلا أنه يجلس ها هنا بأمان بين إخوته، لهذا رفع غيلبرت رأسه واستدار ينظر ناحية ذلك النزال، ثم تساءل بصوت خافت:

- خصمك فتاة، فما الذي ستفعله الآن؟

من جهته كان ليون يُفكر في كيفية الفوز في هذا النزال دون أن يلحق الضرر بتلك الفتاة، غير أنه لا يعلم لم لا تزال هي ثابتة في

موقعها، كانت تقف هناك بطريقة غريبة ولا توحى بأنها مُستعدة للقتال حتى، نغاطبها ليون قائلاً:

- حسناً على أحدنا أن يبدأ.

ودون سابق إنذار، هلت الجماهير وتفاعلت مع اندفاع إلينور المُفاجئ ناحية ليون، انطلقت الفتاة بسرعة البرق، وكل ما كان يحول في عقلها هو خطة صوفي، ففي ذلك اليوم بعد التدريب، كانت ليندا لا تزال مُشكِكةً بكيفية فوز أختها بنزال واحد وحصد المئة نقطة دفعةً واحدة، نغاطبتها صوفي وهي تُشير لـ إلينور:

- لا أعلم إن كُنْتُ قد لاحظتِ هذا.. الآنسة الصغيرة تملك جسداً قوياً، انظري إلى الفرق بنفسك.

ثم أشارت صوفي لـ بيتر المنهك بعد التدريب، بينما في المقابل إلينور لا تزال بكامل طاقتها، ثم أضافت:

- في اليوم الذي أنقذتموني، تمكَّنتُ هي من سحب السوط من يد صاحب الحانة رغم أنه يفوقها حجماً وقوة، وعندما أمسكت يدي وهربنا جرياً، لم أتمكن من مجاراتها وأنا الفتاة التي قضت معظم حياتها تجري هرباً، لهذا...

التفتت صوفي ناحية إلينور وقالت لها:

- عليكِ باختيار نزال المُصارعة، وعندها سيكون أمامك حلّان للفوز.

رفعت صوفي إصبعها أمام إلينور وأكملت شرحها:

- إما أن تتركي المجال لخصمك حتى يهجم عليك، وعندها يجب أن تقفي عند حدود الدائرة، وما إن يلمسك عليكِ بالإمساك به من ذراعه ثم رمية خارج الحدود مُستغلةً قوة اندفاعه ضده.

أمسكت صوفي بذراع إلينور ومثلت لها الحركة ببطء، ثم أفلتها، فسألت إلينور:

- وما هو الحل الثاني؟

- إن لم يتحرك خصمك استظري حتى يصبح قريباً من حدود الحلبة خلفه، عندها اندفي بكل طاقتك وادفي به خارجاً.
وهنا علقت ليندا:

- ألن يكون خصمها مُستعداً، حتى لو كانت سريعة بالاندفاع؟
ابتسمت صوفي وهي تنظر إلى جثة إينور أمامها، لتجيب بثقة:

- صدقيني كائناً من كان سيتفاجأ بأن فتاة بهذا الحجم تمتلك تلك القوة.

سرحت إينور وهي تذكر ذلك الحوار حتى أعادها إلى الواقع صوت ارتطام جسدها بجسد ليون، اختل توازن الأخير من شدة المفاجأة كما توقعت صوفي، بينما في الأعلى أحكت ليندا قبضتها معاً وقد لاحظت خطأ إينور الفادح بتنفيذ الخطوة، فقالت مخاطبة نفسها:

- كان عليها أن تنتظر حتى يتراجع قليلاً.

بعد أن اختل توازنه هوى ليون أرضاً داخل حدود الدائرة، أغلق عينه وسحب معه جسد إينور، فارتطم ظهره في الأرض بقوة، ووقعت هي فوقه، إن نجحت هي بشيء فقد فاجأته بالفعل، لم يتوقع ليون تلك القوة من هذه الفتاة بتاتا، شعر بغضب عارم يسري في أوصاله الآن، لهذا فتح عينه وكره إصرار علي دفعها خارج الخط وإنهاء هذا النزال السخيف، ولكن عوضاً عن ذلك وجد أن كل غضبه وسخطه قد زال بلحظة، كانت اللحظة التي تمايل بها قلب عقد القمر الفضي أمام عينه، فحمد في موضعه، واتسع بؤبؤ عينه الزرقاء بدهشة، لم يصدق ما يراه، لم الآن يظهر شيء كهذا أمامه؟ اكتسحته رغبة عارمة حثته على مد ذراعه ولمسه، ابتغى أن يتحسس زخارفه حتى لو لمرة واحدة، وإذا بكل شيء يتحول إلى السواد حوله، كما أن أصوات القتلات وصياح الجماهير قد اختفت، اكتسح الهدوء محيطه، كغريق في

وسط المحيط البارد، وهنا سمع صوتاً دافئاً يُخاطبه بكل حنان:

- مرة أخرى! ألم تملّ من هذه الرواية؟

فأجابها:

- أنا لن أملها أبداً يا أمي.

ردّت عليه نتاليا وقد بدأ وجهها في التشكّل أمامه:

- حسناً، هل ترغب أن أقرأ لك من البداية؟

هز رأسه نفيّاً وهو مُتشبّث بملابسها بيديه الصغيرتين، بينما يجلس بأمان في حجرها ليقول:

- لنبدأ عندما ترك الفارس المملكة للقضاء على التنين.

ابتسمت نتاليا وأمالت رأسها ناحيته، ضمّت أكثر إلى حضنها الدافئ ثم بدأت القراءة:

- غادر الفارس المملكة على ظهر حصانه، ولم يأخذ من العتاد سوى سيفٍ واحد وحقيبة بها ما يكفيه من الطعام والماء، انطلق حتى تخطى حدود الوادي، ووصل إلى أرض مُقفرة خلت من الحشائش الخضراء وحتى صوت هدير المياه الجارية، وبعد مسير سبعة أيام وصل أخيراً إلى هدفه، وجد التنين نائماً يضم جسده الضخم ككُتلة واحدة، فتوقف الفارس ونزل من على ظهر الحصان، ثم سار ناحية وجه التنين، ونادى بأعلى صوته "أفق أيها الوحش الأعور..."

فتح ليون عينه، وشهق ليعبئ رثيه بالهواء دفعةً واحدة، كان مُستلقياً على ظهره فوق سرير ما، حاول النهوض، لكنه شعر بثقل في رأسه، وألم فوق جبينه الأيمن، فأمسك به وعاد ليلقي بنفسه مرة أخرى فوق السرير، عندها سمع صوت غيلبرت يقول:

- خذ الأمر بروية فقد تلقّيت ضربةً مُوجعة.

أدار ليون رأسه وبحث عن غيلبرت حوله، فوجده يستند على إطار باب الغرفة وكأنه لا يرغب بالدخول، أشار غيلبرت ناحية

عينه ليقول مُتهكِّمًا:

- أتعلم، لو أنها المحرّفت للأسفل قليلًا لفقدت عينك اليمنى.

تنهَّد ليون وردَّ عليه بصوتٍ مُتعبٍ بعد أن أدرك ما جرى:

- يبدو بأنني قد خسرت النزال.

- وخسرته بمجدارة يا صاحبي، فلك الفتاة لم تنز عليك فقط،

بل أصبحت أول المتأهلين إلى القسم الثاني من الاختبار، بينما

أنت كُنت أو من يحظى بشرف افتتاح هذه العيادة.

أدار ليون رأسه إلى الجهة الأخرى وقال غاضبًا:

- لستُ بمزاج لسماع مزاحك الثقيل الآن.

ثم حاول النهوض ليسأل:

- ولم تتف بعيديًا هناك؟

ربَّع غيلبرت ذراعيه ثم أجاب:

- مُجرد إجراء احترازي، لا أرغب بأن تقع أي مشاكل الآن.

كان غيلبرت يُشير لجرح جبين ليون، فهناك بضع قطرات من

الدم من شأنها أن تُحدث بعض المشاكل، لهذا تراجع غيلبرت

إلى خارج الغرفة وهو يقول:

- كان عليك أن تقضي عليها عندما سنحت لك الفرصة...

ثم تنهَّد ليغيّر الموضوع:

- سأذهب للبحث عن أوليفر حتى نعود، فلقد انتهى حدث

اليوم بالنسبة لنا، وعلينا أن نستعدَّ للغد.

خارجًا في الحلبة بينما كانت بعض المنافسات لا تزال قائمة

كان بعض المُحكِّمين يعلنون أسماء الفائزين ببعضها الآخر، تمَّ بالفعل

إعلان فوز إلينور والتي وقفت جانبًا غير مُصدِّقة بأنها قد حصلت

على المئة نقطة وتأهَّلت إلى النصف الثاني من الاختبار، اجتمعت

عائلتها من حولها، وانهال عليها إختوتها بيتر، ليندا ونانسي بكلمات المديح، بينما والدتها بجانبها تذمر من سوء التنظيم، غير أن إلينور لم تستمع لأي شيء من كل هذا، أمسكت الفتاة بقلب عقد القمر الفضي وشكرت صوفي في سرّها، ففي نهاية اليوم الذي روت به صوفي لها قصة الفارس والتنين، وقبل خروج الفتاة من غرفتها، طلبت منها معروفاً غريباً:

- إيلي... أيمكنني أن أطلب منك معروفاً؟

- بالتأكيد.

نزعت صوفي القلادة من على رقبتها وقالت:

- أريدك أن ترتدي هذا العقد.

أهدته إلى سيدتها لتكمل:

- لن أتمكن من الذهاب لرؤيتك أمماء المنافسة، فأنا ما زلت

عبدة هاربة، لهذا خذي هذا العقد عوضاً عني.

عقدت إلينور حاجبها شبه معترضة:

- لكنه مهم بالنسبة لك.

ابتسمت صوفي وهي تلبس إلينور العقد لتقول:

- كان هذا العقد بمثابة تميمة حظ بالنسبة لي، لهذا أريدك أن

ترتيه أمماء المنافسة.

أشرق وجه إلينور بحيوية بعد تذكرها حديث صوفي فضمت أختها ليندا بسعادة وهي تهلل فرحة بانتصارها الساحق، بينما في أعلى المنصة راقبتها هيلينا وقد ارتسمت ابتسامة طفيفة على محياها، الأميرة نفورة كون أول المتأهلين هي فتاة، لكنها من جهة أخرى شعرت بخيبة أمل لأن هذا الانتصار كان على حساب خسارة أحد أبناء القمر، قطع رس سرحانها ليعلق ساخراً بصوت منخفض:

- فتاة هزيلة هزمت ابن القمر بضربة واحدة، ألا يكفي هذا

كدليل علمي؟

اضطرب وجه هيلينا، فهي تعلم يقيناً أن رس سيطاردها بكلمات كُتبت، إلا أنها آثرت الصمت، فإزال الاختبار في بدايته، وقد يحمل الغد لها بعض المفاجآت السارة.

بوسط الميدان، هوى جاك المنهك بضربة قوية من مطرقة على درع خصمه، فتصدع الدرع الخشبي، وتحطم إلى قطع صغيرة تطايرت في الهواء قبل أن تسقط لتستقر رفقة بالشاب السمين أرضاً، وهنا رفع الشاب يده وهو منقطع الأنفاس ليعلن قائلاً:
- أنا أستسلم.

إشارته تلك جعلت الحكم يرفع يد جاك عالياً معلناً بذلك فوزه في هذا التحدي، ويكون ثاني منافس يحصد المئة نقطة من اليوم الأول، فرمى جاك بالمطرقة جانباً ثم دنى من خصمه ومد يده ليخاطبه قائلاً:

- لم تكن بالخصم السهل لعلبك.. أنا جيكَ بالمناسبة.

أمسك الشاب السمين بيد جاك الذي سحبه من على الأرض، ثم أجاب:

- أنا دونالد، مازلتُ أملك فرصة للفوز، لهذا ربما تتقابل مجدداً يا جيكَ.

في داخل البناء سار غيلبرت على غير هدى، لا يعلم أين اختفى أوليفر، البناء أسفل المدرجات مُتَشَعِب إلى ممرات متماثلة بدت أشبه بمتاهة بالنسبة له، وعند أحد المنعطفات توقف بعد أن ظهر أمامه جو، كان الصبي يُمسك بحقيته وبدأ بأنه على وشك المغادرة، لكنه أراد التحدث مع غيلبرت قبل ذلك، فسأل بصوت مُرتبك:

- كيف حال الشخص الآخر؟

- تعني ليون؟

هز الصبي رأسه إيجاباً فاكفهرَّ وجهه غيلبرت، أي وقاحةً يمتلكها هذا الصبي؟ إلا أنه وجد نفسه يُجيبه على أي حال:

- إنه بخير، مجرد خدش بسيط لن يقتله كما تعلم.

- هذا جيد.

كان غيلبرت على وشك أن يتحرك مُبتعداً، إلا أن جو استوقفه ليقول:

- عفوا.. أنا.. أردت التحدث إليك...

انقضى الوقت وانفضَّت الجماهير مع نهاية المنافسات إلا أن اليوم لم ينتهِ بعد، فالعديد من الناس ذهبوا لإكمال الاحتفال في مكان آخر، أو ربما الاجتماع على وليمة ما، فأجواء المهرجان لا تزال في بدايتها، أما بالنسبة لليون، غيلبرت وأوليفر، فكان عليهم العودة فوراً إلى قصر ستوك، أوليفر سبق الاثنين الآخرين بالفعل، بينما سار غيلبرت وليون على مهل، وفي منتصف الطريق، انحرف غيلبرت بحصانه، عدل من وضعيه غطاء رأسه حتى لا تُصيبه أشعه شمس المغيب، ثم قال:

- لنسلك تلك الطريق.

لم يعترض ليون، فلم يكن بمزاج لذلك على أي حال، لهذا شدَّ لجام حصانه وتبع طريق غيلبرت، سار الاثنان بصمت حتى وصل الأخير لغايته، ترجل من على ظهر حصانه، واقترب من تلك الشجرة التي قُتل دورثي أسفلها، انحنى الشاب والتقط حقيبة كانت قد وضعت هناك، فتحها وتفقد محتوياتها، ثم قال:

- ذلك الولد الصغير، لقد وفي بوعده.

تمكن ليون من رؤية عظام دورثي في الحقيبة التي التقطها غيلبرت، فسأل صاحبه:

- أيعني هذا بأنك ستثق به؟

أدار غيلبرت رأسه ناحية ليون فأجاب ساخرًا:

- يبدو بأنكما لم تتركا لي خيارًا آخر.

بنهاية ذلك اليوم، جلست إلينور فوق سريرها في غرفتها تسرد على صوفي تفاصيل ما جرى من أحداثٍ مثيرة، من بداية عرض الافتتاح حتى موعد نزالها:

- لن تُصدقي يا صوفي من كان خصمي في النزال.

راقبت صوفي إلينور ببهجة وهي تضع يدها على عينها اليسرى لتصف خصمها بطريقة درامية:

- كان التنين الأعور، حسنًا هو لم يكن تنينًا لكنه ذكّرني به بطريقة ما، المهم أنني تمكّنت من هزيمته بضربة واحدة، كان يحدّق إلى صدري بطريقة مُريية لهذا لم أتمالك نفسي وضربته بمرفقي هكذا...

ثم مثّلت ضربتها مُستعينةً بوسادة سريرها، انقضّت عليها وهي تشرح بحماسة، فتطير بعض الريش حولها، لترفع رأسها بعد ذلك وقد تذكّرت أمرًا آخر، فرمت بوسادتها جانبًا ثم زحفت حتى حافة السرير لتسأل صوفي:

- هل هذا ما فعله الفارس في الرواية؟ هل قضى على التنين ب تلك الطريقة؟ هل لقّنه درسًا لأنه كان يُفزع أهل المملكة؟

ابتسمت صوفي، وسحبت كرسياً بجانب سرير سيدتها الصغيرة، جلست عليه وشبكت أصابع يديها معاً مجيبة:

- أنا سعيدة بفوزك...

ثم حوّلت نظرها إلى الوسادة التي تلقت ضربات إلينور ثم أجابتها:

- لهذا لا أريد أن أخيب آمالكِ، لكن أحداث القصة لم تسر
بتلك الطريقة... اسمعي..



الفصل 4 : ذكريات الماضي هي سجن الحاضر.

الفصل الرابع: ذكريات الماضي هي سجن الحاضر

صوت أدوات المائدة وهي تتصارع مع الأطباق الخزفية أصبح مُزعجاً عند هذه النقطة، ما يُقارب العشرين فرداً من آل ستوكر يجتمعون على مائدة واحدة دون أن يقول أحدهم شيئاً، لم يعلم ليون سبب انزعاجه، أهى الحادثات غير المنظورة بين هذه الوحوش؟ أم أن هنالك أمراً آخر؟ ووسط هذا الجو الخانق وجد نفسه يسرح بفكره بعيداً فأشاح بنظره ناحية الستائر الثقيلة والمنسدلة على نوافذ قاعة الطعام الكثبية، ثم تعداها بخياله حتى أصبح يرى المرج الأخضر خلفها، سار بخواطره على الطريق مُتخبطاً الأشجار والسهول، تعدى الغابات والوديان، فتشكّل له طيف سراب لرفاقه يجرون حُفاة الأقدام بسعادة بين الشجيرات، تلتها ضحكاتهم التي أضحت همسات بعيدة، وقبل أن يبتعد لأكثر من ذلك، ارتمت تلك الملعقة عند موطن قدميه لتجرّه إلى الواقع، وتعيده إلى قصر ستوكر حيث يقف بجانب الخدم كطابع مطيع، نزل ليون بنظره والتقطت عينه الملعقة الفضية أرضاً، ثم رفع رأسه ليرى بأنها تخص أوليفر، والذي أشار له حتى يلتقطها من أجله، ودون أن يُدير رأسه نظر ليون بطرف عينه إلى موقع كورفينا، وعندما لم يجد منها أي إشارة ما، انحنى والتقط الملعقة، كان على وشك أن يعيدها لأوليفر، غير أن الأخير قال مُتبعجاً:

- هل تتوقع مني أنا أستخدمها بعد أن أنسخت؟ أحضر لي غيرها في الحال.

انحنى الشاب دون اعتراض، وذهب من أجل تلبية طلب أوليفر الذي قال وهو يرمق الخدم من حوله:

- هل يهياً لي أم أن أعداد الخدم في تناقص مُستمر؟

مُتجاهلاً تعليق أوليفر تنحج الكونت رومان ثم غير دفة الحوار ليسأل:

- ما هو جدول منافسات اليوم؟

أجابه أوليفر:

- منافسات اليوم ستتضمن المُسايفة فقط، بما أنها الأكثر شعبية..

ثم رمق غيلبرت بنظرة جانبية ليُضيف:

- لا شك بأن غيلبرت سيفوز دون مشاكل.

مدّت جوديث الجالسة بجانبه يدها، والتقطت كأسها لتقول:

- بالتأكيد سيفعل، لا يملك البشر أي فرصة أمام قوتنا.

هز الكونت رأسه مُتفهِمًا، ثم قال مُحذِرًا:

- حتى لو كان الفوز سهلاً، حاولوا بأن لا تلتفتوا الأنظار ناحيتكم.

وبجأة ضحك أوليفر على تعليق الكونت وبالتزامن مع عودة ليون إلى قاعة الطعام، فقال ساخراً:

- أأحدنا قام بلفت الأنظار لنفسه من اليوم الأول، لكن بطريقة مخزية.

تحرك ليون حتى أصبح بجانب أوليفر دون أن يكثرث لتعليقاته الساخرة، انحنى قليلاً ليضع المعلقة أمامه على الطاولة، فأصبح كتفه بين الأخوين أوليفر وجوديث، كان ليون قريباً جداً منهما، أو بالأحرى جرح جيئنه كان كذلك، فأتسعت عينَا أوليفر وجوديث سوياً، وبرزت أنيابهما قليلاً، عندها ضربت كورفينا بيدها على الطاولة لتنهر ليون غاضبة:

- هل أحضرت الصناديق التي أمرتك بأن تخرجها من المخزن؟

نظر إليها ليون بارتباك، فلوهله لم يفهم من أين أتى هذا الأمر، لكنه تدارك الأمر سريعاً، فراجع إلى الخلف وأجابها:

- لقد نسيت أمرها، سأتكفل بالأمر.

فردّت عليه كورفينا بنبرة حازمة:

- الآن.. نَقْدُ الأمر الآن قبل ذهابكم إلى المنافسة.

انحنى لها ليرك المكان بعد ذلك، عندها فقط هدأت وعادت لإكمال وجبتها بصمت، ولكن وعلى بُعد مقعدين منها، توقفت الليدي لونا عن تناول الطعام، ووضعت ملعقتها جانباً، مسحت شفيتها الرقيقتين بالمنديل، ثم استقامت لتقول:

- لقد شبعنا.

وغادرت القاعة دون أن تُحدث أي ضجة تُذكر.

ذهب ليون إلى المخزن والذي كان بناءً كبيراً ملاصقاً للإسطبل، دخل إليه وأغلق الباب ليتنهد بانزعاج، أين كان عقله قبل قليل؟ لقد أدرك بوقت سابق أن طلب كورفينا كان لصرفه من المكان فقط، فضرب بقبضته على جبينه ضرباتٍ خفيفةٍ مُعَاتِباً نفسه:

- تمالك نفسك.

ثم نظر حوله وإلى الرفوف التي كساها الغبار بوفرة، سار بينها حتى وجد امرأة عتيقة، التقطها ومسح الغبار عن سطحها ثم حملها بيده لينظر إلى انعكاس وجهه فيها، أراد تفحص الجرح على جبينه، فقال هامساً لنفسه وهو يلبس الدماء شبه الجافة:

- كان عليه أن يندمل الآن.

وخلال لحظة ظهر انعكاس لوجه آخر خلفه في المرأة فأبعدها واستدار ليقول بفرع:

- ليدي لونا!

نظرت إليه باضطرابٍ واضحٍ، ثم رفعت إصبع سبابتها ووضعت على شفيتها:

- شش أخفض صوتك...

اقتربت منه أكثر، فراجع خطوتين إلى الوراء:

- لَمْ أَنْتِ هُنَا؟

أطرقت لونا برأسها أرضاً، وارتسمت ابتسامةٌ حزينةٌ على وجهها عندما أجابته:

- أردت أن أشكرك، سلّمني غيلبرت عظام دورثي، لكنني أعلم بأنه ما كان ليأتيني به لولاك.

- لَسْتُ مُضْطَرَّةً لِشُكْرِي، كُنْتُ أَنْفِذِ الْأَوَامِرَ فَقَطْ.

هزت لونا رأسها نفياً لتقول:

- حتى لو كان الأمر كذلك، شكراً لك على أي حال...

صمتت لوهلة، ابتلعت ريقها، وتلاشت ابتسامتها تدريجياً، ضيّقت لونا عينيها الواسعتين فأصبحت أكثر حدةً، ثم خاطبته بجديّة أكبر:

- ليون، هنالك طلبٌ أرغب بأن تُنفّذه لي.

كانت تعتصر غرضاً ما في قبضة يدها، ففتحتها وفردت أصابعها النحيلة، وإذا به خاتم ابنتها المتوفاة، فأكلت مُضيفةً:

- هنالك نار تشتعل بداخلي، وأشعر بأن دمائي تغلي بسببها.

وباستجابة لمشاعرها المضطربة ومَضَّت عيناها بلون الياقوت الأحمر، وكأنّ بالدماء تغلي في مُقلتيها، فأكلت مُضيفةً:

- أنت تعلم من هو قاتلها، دلّني عليه وسأتكفل أنا بالباقي.

صمت ليون لوهلة، فمن الخطر اخبار لونا عن أمر عائلة الصيادين، لهذا اعتذر منها وقد اضطر لحبك كذبةً صغيرة:

- للأسف لم نتمكن من معرفة قاتلها، لقد عثرنا على بقايا عظامها مُصادفةً تحت تلك الشجرة..

ودون أيّ مُقدمات، اندفعت لونا ناحيته غاضبة، وأمسكت بمعصمه لتلويه بقوة، ولتسأله بانفعال:

- أين تلك الشجرة؟ دلّني عليها، وإلا..

- وإلا ماذا؟

سألها وقد اصطدم ظهره بالأرفف من خلفه بينما كان يتراجع،
فدنت يدها الأخرى ومسحت بإبهامها الدماء من على جرح
جبينه، بدت لونا مُفرعةً على غير عاداتها عندما أجابته:

- "إليزابيث".. أنت لا ترغب بتكرار ذلك انخطأ مجدداً.

أطبق ليون على أسنانه بعد أن نطقت لونا بهذا الاسم، ولمعت
عيناه غيضاً بينما سحبت لونا يدها ناحية شفتيها، كان إصبع إبهامها
قد اصطبع بدمائه، فقالت:

- كانت الليدي كورفينا مُستعدةً لقلب المكان رأساً على عقب
بسبب خطأ غير مقصودٍ قبل قليل.

وبمنتصف حديثها، أدارت رأسها ناحية باب المخزن وقالت:

- تصور ما قد تفعله لو أنها علمت باجتماعنا هنا...

- هذا يكفي.

دفع بها ليون قليلاً، ثم تابع مُستسلماً:

- سأرشدك إلى المكان، أيكفي هذا؟

أومأت له برأسها موافقةً وقد أفلتت معصمه، أخذت تتراجع
إلى الخلف بالتزامن مع عودة ملاحها الرقيقة مجدداً، وباستخدام
مנדيلها الحريري قامت بمسح آثار دمائه من على إصبعها، ثم مدت
بمנדيلها ناحية ليون وأشارت إلى جبينه، فأخذه ليون ووضعه على
جرح جبينه ليقول وهو يتفادى النظر إليها:

- سأغسله جيداً وأعيدته إليك.

- لا بأس لست مضطراً لذلك...

ثم أنزلت رأسها مُخرجةً لتقول:

- آسفة، لم أشأ أن يصل الأمر إلى تهديدك بتلك الطريقة، أنا
مُجرد أم يائسة تسعى للانتقام بأي وسيلة الآن...

ثم رفعت رأسها ونظرت إليه بعينين دامتَين:

- إن كان هنالك أحد سيتفهمني فهو أنت يا ليون، أعرف هذا بمجرد النظر لعينيك.

قالت ما قالته لتُغادر بعد ذلك، حملت طرفي فُستانها وتركت ليون مع فوضى كل تلك الأفكار اللعينة.

على الخط الساحلي وصلت إحدى السفن المحملة بالبضائع الثمينة من مملكة إستاليا والتي تشارك بحدودها الغربية مع مملكة ديمونتريا ويجمعها معها الكثير من العقود التجارية والتي أنعشت اقتصاد البلدين، رست سفينتهم في الميناء ورفعت أشرعتها البيضاء التي انعكس عليها لون السماء الأرجوانية، بينما جرى البحارة بكل حيوية لربط حبال الصواري وإنزال المرساة، وُضع بعد ذلك الجسر الخشبي على الرصيف الحجري، فنزل البحارة، بينما صعد عمال الميناء لإنزال البضائع وإفراغ حمولة السفينة، كان عليهم العمل سريعاً من أجل إعادة ملء السفينة بالواردات المحملة إلى ميناء روشير في مملكة إستاليا قبل أن يسوء الجو.

راقب بول وإيمان المشهد من خلال نافذة الفندق المُطلّ على الميناء، ارتشف الشراب من كأسه قبل أن يسمع بضع خبطات على الباب، ليدخل بعد ذلك ضيفه المنتظر، عندها نهض من على كرسيه ليرحب به:

- سعادة الوزير، تفضل، تفضل بالجلوس.

ضحك الوزير وقال بتواضع:

- أرجوك يا بول، لا داعي للرسميات فهذا ليس بلقاء عمل، غراهام يكفي.

- بالتأكيد.

جلس الاثنان، وأخذوا يتبادلان الأحاديث ما بين هذا وذاك

كُوطَظَنَ عَادِيَّينَ، وبعء برهة استقام الوزير غراهام وأخذ نظرة خاطفة إلى الميناء من النافذة، ثم قال مُعلقاً:

- اخترت مكاناً مُثيراً للاهتمام، يبدو بأنك لا تُفكر بحضور منافسات اليوم.

استقام بول، ووقف بجانب غراهام، راقب العمال وهم يُفرغون حَمولة سفينة أخرى رست في الميناء، ثم أجاب:

- معك حق، فلا حاجة لي بحضور المنافسات، ابني رس موجود في قلب الحدث، سأحصل على التفاصيل منه فيما بعد، أنا أفضّل أن أكون موجوداً هنا ومراقبة الأمور الأكثر أهمية.

ضيق الوزير غراهام جفني عينيه، ورفع أحد حاجبيه، ثم نظر بنفس الاتجاه الذي كان بول وإيمان ينظر إليه، عن أي أمور مهمة يتحدث هذا الرجل؟ ولجأة غير بول الموضوع، واستدار ناحية الطاولة، حمل زجاجة الشراب وعرض أن يسكب منه للوزير، فاستجاب الأخير ورفع كأسه الفارغة، بينما قال بول وهو يراقب الشراب يملأ الكأس الزجاجية:

- كُنْتُ في وقت سابق قد سألتني عن مُخططات الأميرة إن لم أكن مُخطئاً.

- نعم، لقد فعلت.

أجاب غراهام بترقب وهو يرشف من شرابه، فجلس بول على الكرسي ليقول:

- تلك الفتاة لم ترق لها قرارات والدها ثيودور...

ثم أسند ذراعه على الطاولة وعاد لينظر ناحية عمال الميناء من خلال زجاج النافذة مردفاً:

- إنها تسعى لإلغاء العبودية بشكل نهائي.

ضرب غراهام يديه على الطاولة، فاهتزت كأسه وانسكب القليل من الشراب بينما قال بوجه مُحْتَقِن:

- ما هذا الهراء، ألا تعلم بأن هذا الشرط هو ما أطفأ نيران الثورة قبل عقدٍ من الزمن.

وبصوت هادئ ردَّ عليه بول:

- اهدأ يا غراهام...

نظر بول إلى الباب خلف الوزير، ثم انحنى مُقْتَرِباً مِنْهُ لِيُكَلِّمَ:

- للجدران آذان كما تعلم...

ثم اعتدل بول بجلسته ليُضيف:

- ليست العبودية فقط، هي أيضاً ترغب بمسح كل أنواع التفرقة العنصرية...

ابتسم عندها بول ساخراً ليُفسر كلامه للوزير:

- تصور الحياة بلا فوارق طبقية، لا فرق بين النبلاء وعامة الشعب، لا شيء يُميز السيد عن العبد، وأن يتساوى الرجال مع النساء، والأهم من كل ذلك أن تُلغى المُسميات كأبناء الشمس والقمر.

ضحك غراهام بغير تصديقٍ لما يسمعه الآن، ثم قال مُعلّقاً:

- هه إنها تحلم حتماً.

- دعها تحلم كما تشاء الآن، إنها مجرد طفلة لا تملك أي خبرة في هذه الحياة، في النهاية ستتصادم مع الواقع الذي بات قريباً جداً، وعلى الأرجح هي تنظر إليه الآن.

ظهرت علامات الحيرة على وجه الوزير غراهام، فأفصح بول ليقول:

- أنا أعني ريفن.

في الطرف البعيد من العاصمة، حيث بدأت مُنافسات اليوم الثاني، كانت الجولة الأولى قد أسفرت عن فوز كلٍّ من أوليفر

وليون دون أي مشاكل تُذكر، وفي الجولة الثانية تمَّ استدعاء اسم غيلبرت مع الكثير من الأسماء الواعدة، فوقف المشاركون كل في موقعه استعداداً لإشارة البدء، أحكم غيلبرت قبضته على سيفه الخشبي، بينما ارتكزت نظراته على خصمه الذي يقف أمامه، اصطدم غيلبرت مع أفكاره وما قاله الكونت رومان اليوم، ففكر ملياً بكيفية إنهاء هذه المنافسة دون أن يلفت الانتباه لنفسه كما فعل أوليفر وليون، ولكنه لاحظ بأن أنظار الجماهير قد سلّطت سلفاً على شخص آخر حتى قبل أن يُلوح أي مُشارك بسيفه، سمع الجماهير يهتفون باسم واحد، فأدار رأسه ونظر إلى حيث توجهت أنظار الجميع من حوله، في أعلى المنصة، الوجود ظاهر على قسّات وجه الأميرة وقد لاحظت تفاعل الناس مع ذلك المُشارك، بينما رددت جموع الجماهير باسمه "ريفن" فأحكمت قبضتها في حجرها وتابعت بصمت.

وسط الجماهير، أشار جيرمي إلى تلك المنافسة، وسأل شخصاً كان يجلس بقربه بما أن جاسبر كان قد فضّل العمل في المتجر بعد أن اكتفى بحضوره للافتتاح فقط:

- لو سمحت، أتعرف من يكون هذا الشاب الذي يهتف الجميع باسمه؟

ضحك الرجل بجانبه، ثم أجاب:

- أيعقل بأنك لا تعرف من هو، يبدو بأنك غريبٌ من الريف، إنه ريفن ابن الأمير برودريك.

رَبَّ جيرمي ذراعَيْه وعاد لينظر ناحية ساحة المنافسة، ثم قال بحيرة:

- ريفن! منذ متى؟

فأنته الإجابة من رجل آخر يجلس خلفه:

- أنت حقاً من الأرياف، إنه ابن زوجة الأمير، وقد تبنّاه بشكل رسمي قبل أربع سنوات فقط، وخلال ذلك الوقت

اكتسب شعبية كبيرة بين العائلة الحاكمة رغم أنه لا يحمل دماء ملكية.

في غرفة الفندق عند رصيف الميناء، عاد بول ليسكب المزيد من الشراب للوزير غراهام الذي قال مُتسائلاً:

- أتحاول القول بأن الشخص الذي سيوقف الأميرة هو ريفن؟
أسند بول ظهره إلى الكرسي، ثم ابتسم مُجيباً:

- هذا يعتمد على ما يعنيه إيقافها، الملك ثودور يوضع صعب، لم يُجب إلا البنات، فهل سيقبل الشعب بأن تحكمهم امرأة؟ أفضل خيار أمامه هو تزويج إحدى بناته لابن شقيقه.
فقال الوزير بحماسة:

- عندها سينتقل الحكم إلى ريفن، وهيلينا ستكون مجرد وجه جميل بجانبه فقط...

إلا أن غراهام توقف بعد تفكير بسيط، ليقول مُتسائلاً:

- لكن ما الذي سيضمن بأنها لن تكون المسيطرة، ماذا لو كان الوضع مُعاكساً، وأنها هي من تستغل ريفن لتخطف العرش من أسفل أختها الكبرى.

ضحك بول بثقة، ثم احتسى من كأسه ليقول:

- ما كُنْتُ لأستخف بـ ريفن إنه من أبناء إستاليا، وعلى الأرجح هيلينا تعلم بنواياه أيضاً.

شدّت هيلينا على قبضة يدها بعد أن لَوَّح ريفن بسيفه الخشبي ليطير سيف خصمه في الهواء، ويستقر على بعد عدة أقدام خارج حلقة القتال، تمكّن فارس إستاليا الأول ببضع حركات رشيقة من أن يُحقّق انتصاراً ساحقاً ومُلفتاً، فهلّل الجمهور لفوزه، بينما لم

يكثر أحد لبقية المنافسات.

خارج حدود ساحة المنافسة، كان أوليفر وليون يقفان ملاصقين للسيّاح لمراقبة الوضع عن كُتب، انتبه ليون إلى نزال ريفن شأنه شأن البقية، لكن سرعان ما حوّل الشاب بصره إلى نزال غيلبرت، لم يكن منافسه يُمثل أي مشكلة، ومع هذا أخذ غيلبرت وقته حتى لا يثير أي شكوكٍ ناحيته، في هذا الوقت ترك ريفن ساحة المنافسة بعد إعلان فوزه، اقترب من السيّاح حيث يقف ليون، سار بجانبه ليتخطّاه إلى داخل البناء، فأدار ليون رأسه وحدّق به لبضع ثوانٍ قبل أن يدرك بأن أوليفر الذي كان يقف إلى جانبه قد اختفى.

اتسعت ابتسامة غراهام الذي أثنى على بول قائلاً:

- بول وإيتان، أنت مُخيف بالنسبة إلى عمدة قرية من الأرياف.
مطّ بول شفته السفلى ليقول ساخراً:

- أستمحك عذراً يا سيد غراهام، لم تكن نيتي إخافتك، كل ما في الأمر أنني مُعتاد على المراقبة وتحليل أوضاع الناس من حولي، من ثمّ استغلال الوضع لصالح المجتمع بالطبع...
ثم أسند ظهره إلى كرسيه ليكمل:

- فأنا رجلٌ شريف كما ترى.

هز غراهام رأسه موافقاً، ورفع كأسه عالياً ليقول:

- الآن فقط فهمت لم أحبك الملك ثيودور.

في ميدان المنافسة، لم يكن ليون مُرتاحاً لاختفاء أوليفر بتلك الطريقة، لهذا استدار وعاد إلى داخل البناء، تفقّد غرف الاستراحة، وسار بين الممرّات شبه الفارغة وهو يستمع إلى هدير الجماهير المُجلجل من المدرجات فوقه، تخطى العيادة، وسار في ممرٍ

طويل قبل أن يصله صوت شخص ما من إحدى الغرف، فتقدم على مهل دون أن يُصدر أي ضجيج يُذكر، عندها انتبه لصوت شخص آخر معه، هذه المرة ميز صاحبه، فلم يكن إلا أوليفر، ما كان الشاب مُتيقنًا من فحوى النقاش الدائر في تلك الغرفة، لهذا اقترب أكثر، وما إن أصبح على بعد خمس خطوات من الباب حتى توقّف الحديث، أجفل ليون ظهور ريفن الذي تخطى إطار الباب متحركًا بانسيابية فاجأته، وجد ليون نفسه يقف أمام فارس إستاليا الشاب دون أن يأتي على أي كلمة، تبادل الاثنان نظرات صامته، وكأن كل واحد منهما يحاول قراءة عقل الآخر، دام الصمت عدة ثوانٍ قبل أن يُبدده ظهور أوليفر من خلف ريفن ليُفسّر له:

- هذا أخي الأصغر ليون، على الأرجح بأنه شعر بالوحدة لأنني تركته.

تراجع ريفن خطوتين إلى الوراء ثم رمق أوليفر بنظرة جانبية، تحرك بعدها مبتعدًا ليقول:

- لا حديث لنا إلا بالميدان يا ستوكر.

راقب الاثنان ريفن وهو يهيمٌ بالمغادرة بعد ذلك، وبمجرد اختفائه من مجال نظرهما حتى سحب أوليفر ليون من ذراعه إلى داخل الغرفة، وقال غاضبًا:

- ما الذي تفعله هنا؟ لقد أفسدت الأمر.

حرر ليون نفسه من قبضة أوليفر وأجاب:

- أنا من عليه أن يسأل يا أوليفر، ما الذي كُنْتُ تفعله مع ذلك الشاب؟

رفع أوليفر إصبعه وركز صدر ليون عدة مرات ليقول مُهددًا:

- اسمع أيها الحيوان الحقير، لا تنس مكاتك، أنت مجرد خادم وضيع مهمته تنفيذ الأوامر فقط....

ثم شقت ابتسامة جانبية فاهه وأكل:

- إن سقطت ملعقتي أرضاً فواجبك هو إحضار غيرها لي دون أي أسئلة أو اعتراض، أنت هنا لخدمتنا، أهذا واضح؟

مد عندها ليون يده وأمسك معصم أوليفر بشدة ثم سحبه ناحيته بتجدد واضح، نظر إليه بعين حادة ليقول ساخراً:

- لا تنس أننا لسنا بقصر ستوكر أيها المدلل الحقيق، نحن هنا لأداء مهمة محددة، لهذا تأدب ولا تجبرني على فعل ما قد يندم كلانا عليه.

أحس أوليفر بالإهانة، سرت على إثرها رعشة غضب في أوصاله، فلمعت عيناه بلون الياقوت وبرزت أظافره الطويلة ليقول:

- أعد ما قلته، أعطني سبباً لأمرق حنجرتك وأشبع عطشي من دمائك الملعونة.

وبدل أن يتراجع قام ليون بسحب يد أوليفر أكثر وجعلها على رقبته، استقرت أظفار أوليفر الحادة على جلد عنقه تماماً عندما أجاب بابتسامة شيطانية:

- أحب أن أراك تفعلها يا أوليفر، يرتعش جسدي حماساً وأنا أتصور ما قد تفعله السيدة بك لو علمت.

ارتجفت يد أوليفر لا إرادياً وهو يتذكر وجه كورفينا الغاضب على مائدة اليوم، أي مصير مشؤوم قد ينتظره لو أنه خدش ليون الآن، فسحب يده مجبراً وتراجع مبتلعاً كبريائه، إلا أنه لم ينسحب من دون تهديد يعزي به غروره:

- سأجعلك تدم على كل هذا، تذكر كلماتي جيداً يا ليون.. سنتدم على اليوم الذي وطأت به قدماك قصر ستوكر.

غادر أوليفر الغرفة يجر أذيال الهزيمة، بينما خر بدن ليون ليقع أرضاً، انتفض جسده الهزيل، وسار العرق بخطوط على طول

ظهره، لو أنه أغضب أوليفر لأكثر من ذلك كان ليصبح كومةً من الأشلاء خلال ثوانٍ قليلة، فأخذ شيقًا عميقًا، ليزفر بعد ذلك مُهْدِتًا نفسه، ثم تحرَّك ليُخرج من هناك، فَنَزَالَ غيلبرت ربما يكون قد انتهى الآن.

بهذا الوقت كان جاك قد وصل لأقصى مراحل التوتر نتيجة مراقبته نزال ماغي، والتي بدت مُنهكةً بالفعل، حملت السيف بكلتا يديها بينما تلهَّثُ من شدة التعب، تجمَّعت قطرات العرق على أطراف غرَّتْها مُقاومةُ الجاذبية، وبجأة رفعت الفتاة سيفها لتصدَّ ضربة قوية من مُنافستها الشرسة، فتناثرت حبات العرق من كلتا الفتاتين وامتزجت بالهواء قبل أن تُعانق الأرض الجافة، لحسن حظ ماغي أن تلك الضربة لم تكن بالقوة الكافية فالتعب قد تمكَّن من مُنافستها أيضًا، والتي رفعت ساعدها ومسحت وجهها المُحمَّر من شدة الإرهاق، فتعلَّت صيحات إخوتها من خلفها:

- هيا يا روز.

هتف روي وبجانبه جو بأعلى صوت لديهما، بينما ربع لوس ذراعيه وأخذ يُقيِّم الوضع بصمت، مرَّت الدقائق عسيرة على روز وماغي، بدا النزال مُتكاثرًا لدرجة كبيرة، فعندما تُسدِّد إحداها ضربة للأخرى تقوم الأخيرة بصددها والعكس، في هذا الوقت كانت لجنة التحكيم تعلن عن أسماء المُنتصرين الواحد تلو الآخر في بقية المباريات حتى لم يبقَ أحد غيرهما، من بعيد ذهب غيلبرت ليعيد سيفه إلى مكانه عندما التقى بليون الذي قال له:

- لقد أخذت وقتًا طويلًا لإنهاء النزال.

فأجابه غيلبرت:

- خشيت أن ألفت الانتباه...

ثم استدار ونظر ناحية نزال روز وماغي ليُكلل مُعلقًا:

- لكن يبدو بأن قلتي كان من دون مبرر، فهناك من سرق الأضواء بالفعل.

رفع ليون رأسه ونظر إلى تلك الناحية، تعرّف على وجه روز بما أنه شاهدّها مع الصبي جو عدّة مرات حتى الآن، ولكن ما إن استدارت منافستها، وانزاحت غرّتها الطويلة عن وجهها حتى انتصب شعر جسده واتسعت حدقة عينه الزرقاء، هو لم يتعرّف على ماغي بلحظتها، إلا أن شعوراً غريباً غمره بالكامل واندفع في كلّ ناحية من جسده متّجهاً إلى عقله حتى بات كوخز مُزعج في مؤخّرة رأسه، أين يا ترى شاهد هذا الوجه من قبل؟ ومن دون وعي تحرّكت قدماه لا إرادياً، اقترب أكثر ناحية موقع النزال، لسبب لم يدركه شعر برغبة مُلحّة تحثّه على الاقتراب، وفجأة وجد نفسه يتوقّف رغماً عنه، تسارعت أنفاسه، وشعر بأن صاعقة قد ضربته الآن بعد أن شاهد جاك يهتف هناك، رؤيتهما معاً دفعت بعجلة ذاكرته لأحد عشر عاماً، يُعقل بأن يكونا هما ماغي وجاك؟ وقف ليون مشدوها ينظر إليهما، فاقترب منه غيلبرت ليسأل:

- ما الخطب؟ تبدو وكأنك قد رأيت شيئاً ما.

لم يصل لـ ليون حسّ صاحبه الذي يقف بجانبه، وكأن صوت غيلبرت أصبح خارج مجال نطاقه الآن، فجّل تركيزه انصبّ على الاثنين هناك، انتظر ليون بصبر حتى نطق جاك منادياً:

- هيا يا باتريسيا لا يُمكنك الخسارة الآن.

فأجابته الفتاة غاضبة وهي تصدّ ضربة من منافستها:

- أغلق فمك يا جاك.. جيّك.

هنا تحديداً علم ليون بأنه لم يكن مُخطئاً، على الرغم من أنهما يستخدمان اسميّ مُختلفيّين، إلا أنهما اسمان مألوفان لمسامعه، لهذا ارتسمت ابتسامة باهتة على شفّتيه، راقبهما من بعيد وكله امتنان لأنهما على قيد الحياة، وفجأة سقطت ماغي إلى الوراء ووقع سيفها بجانبها، فاستغلت روز الفرصة ووجهت نصل سيفها إلى رقبة مُنافستها، بالتالي أعلن الحكم فوز روز في النزال، فد جاك يده

للمساعدة ماغي على النهوض ليواسيها قائلاً:

- كان نزلاً لا بأس به.

نفضت ماغي التراب عن ملابسها لتقول بعدم اكتراث:

- أهذه طريقتك لمواساتي.

ثم أدارت الفتاة رأسها بشكل مفاجئ بعد أن شعرت بنظرات موجهة نحوها، تملكها الارتياح، وازداد شكها بعد أن أشاح ليون بوجهه لجرد اللقاء أعينهما معاً، أحس الشاب بالارتباك للحظة، هل سيكون من الحكمة أن يكشف عن نفسه أمامها الآن؟ غيلبرت بجانبه تماماً، وأوليفر يحوم في الأرجاء، إن تصرف بلا تفكير فقد يعرض حياتهما للخطر، وعندها انفجرت تلك الخاطرة في عقله فشلت تفكيره بالكامل، أيمن أن تكون أمه على قيد الحياة أيضاً؟

- ليون!

ناداه غيلبرت بصوت مرتفع، فأجاب ليون بانزعاج:

- يمكنني سماعك.. هيا بنا.

ثم بادر ليغادر المكان على عجلة، فتبعه غيلبرت دون أن يفهم سبب تصرفه بتلك الطريقة، أما على الجهة المقابلة، راقبت ماغي ليون وغيلبرت وهما يغادران الساحة لتسأل جاك بارتياح:

- أيمن أن يكون أحدهم قد تبعنا إلى هنا يا جاك؟

أدار جاك رأسه إلى نفس الناحية ليقول مجيباً:

- لا أعتقد، كما حذرنا لأقصى درجة.

في هذه الأثناء كان اللقاء بين بول وايتان ووزير الدفاع غراهام قد شارف على نهايته، فقال الوزير الذي وقف عند الباب مودعاً:

- دعنا نكرر هذا اللقاء يا بول، فأنا لم أسأم منك بعد.

أوما بول برأسه باسمًا ليجيب:

- بكل تأكيد، سيكون هذا من دواعي سروري.

وقبل أن يغادر غراهام أشار ناحية زجاجة الشراب على الطاولة هناك معلقًا:

- ولا تنسَ إحضار زجاجة معك.

ثم ترك المكان، فعاد بول إلى داخل الغرفة، وقف أمام النافذة برأقب الوزير غراهام وهو يستقلُّ العربة الخاصة به، تتبعها وهي تسير مبتعدة عن رصيف الميناء حتى اختفت من مجال بصره، عندها فتح الباب ودخلت ضيفة أخرى عليه لتقول مُعابةً إياه:

- وزير الدفاع يا بول! أترغب بأن يتم القبض علينا أو ما شابه؟

جلست تلك الضيفة السمينه، وراقص قرطاسها الذهبيان المتدليان من شحمتي أذنيها المحمرتين، فأجابها بول:

- عليك أن تكوني مُمتنةً يا ديرا، فلقد أحب شرابك.

نهدت المرأة بازعاج ثم قالت:

- ومع هذا علينا أن نتوخى الحذر، غراهام رجلٌ خبيثٌ، قد يغدر بنا في سبيل التقرب إلى الملك.

لم يعلق بول على ما قالته مما أثار حفيظتها، ففتحت فيها لتقول:

- أعلم، لقد اختفت إحدى زجاجات الشراب من منزلي.

أدار بول رأسه ناحيتها متعجبًا، فأضافت بعد أن تمكنت من أن تحوز على اهتمامه:

- ما يُقلقني أن من أخذها كان بمقدوره أن يسرق أي شيء من المنزل، فالمكان ممتلئ بالمقتنيات الثمينة، لكن اللص لم يفعل...

توقفت ديرا عن الحديث بعد أن أفلقتها الفكرة التي تشكّلت في عقلها، فقال بول بوجه يخلو من أي تعبير:

- لا بأس، فالجاني بالعادة يحوم حول موقع الجريمة دون

وعى.. والآن أخبرني كيف يسير الإنتاج؟

مُتَعَضَّةٌ من برود أعصابه، أجابته ديبيرا بجفاء:

- سنبدأ الإنتاج على أراضينا، يخفّف هذا من تكاليف الشحن، كما أن المنتج سيتوفر للمشتريين بسرعة قياسية.

صعد ليون على صهوة جواده وانطلق كالجنون عائداً إلى قصر ستوكر قبل غيلبرت وأوليفر، شدّ الشاب من قبضتيه على لجام حصانه وهو يحاول كتم غيظه قدر الإمكان، بينما طيف كورفينا يتشكّل أمامه ليُعيد ذكرى مضى عليها أحد عشر عاماً، عندما وقفت أمامه بردائها الملطّخ بدماء أهالي إيستود:

- لم يبق أحد، لقد مات كل أهالي إيستود.

تلك كانت إجابتها للصغير كولين آنذاك، لم تُقدّم له كورفينا أي تفسير مناسب، ولم تُعَبّ نفسها بإعطائه أي دليل يدعم كلماتها المشؤومة، لأنها كانت على ثقة بأن صدمة الصبي بأحداث تلك الليلة كانت أكبر من أي تفسير كاذب قد تُلقِيه على مسامعه.

قصد ليون غرفة كورفينا بعد أن وصل إلى قصر ستوكر، وبأنفاس مضطربة وقف الشاب أمام بابها وهو يصارع أفكاره المجنونة بضراوة، احتقنت الدماء في وجهه، وتسارعت أنفاسه فبرزت عروقه النابضة مُعلنةً عن فورة غضبه، دفع ليون الباب على مهل ليتسرّب ضوء فوانيس الرواق إلى غرفتها كمثل طویل منير لامست قاعدته حافة سريرها، كانت كورفينا تنام هناك بسلام وكأنها تمثال شمعي منحوت بإتقان، فتقدم الشاب حتى أصبح بجانب السرير تماماً، تأمل وجه كورفينا الملائكي، وملاحظها البريئة التي لا يجب أن تنتمي إلى روحها العَفْنة، فدسّ يده في جيب معطفه مخربجاً وتدّاً خشبياً، أمسكه بكُلْتَا يديه فوق موضع قلب تلك المخلوقة بينما كانت كلماتها ترتدّ كموجات الصدى مُرتطمةً بجدران عقله، سَرَتْ رعشة خفيفة في جسده حتى

بلغت يديه المُمسكتين بالوتد الخشبي، ازداد اضطراب أنفاسه وهو يعتصر الوتد بكل ما أوتي من قوة، فقالت كورفينا بصوت هادئ ودون أن تُكَلِّف نفسها عناء فتح جفنيها:

- كلانا يعلم كيف سينتهي هذا المشهد يا ليون.

ضغط ليون على أسنانه بشدة وهو يستمع إليها بحسرة، امتلأت عينيه بالدموع وهو يُحاول جاهداً تحريك يديه، يُمكنه تخيل مشهد موتها بكل تفاصيله في عقله، انساب العرق من جبينه وهو يصارع إرادته المسلوبة، انتفض في موضعة لثانيتين قبل أن يتمكن من أن يهوي بالوتد إلى أسفل بكل قوة، فتطاير الرش في كل مكان حول الاثنين في الغرفة المظلمة، لهث ليون بيأس بينما فتحت كورفينا عينها وقد انغرس الوتد في الوسادة بجانب وجهها تماماً، فقالت بنبرة واثقة وكأنها غير مُبالية:

- أترغب بأن تُحاول مُجدداً؟ أعدك بأنني لن أتحرك.

هوى ليون على ركبتيه، انهار بجانب السرير ودفن وجهه هناك مُعتصراً طرف غطاء السرير بقبضتيه، صرخ قهراً لأنه يعلم بأنه لن يتمكن من فعلها، لا يُمكنه قتل كورفينا مهما حاول ومهما بلغت به الرغبة لذلك.

نصف ساعة كانت كفيلة حتى يهدأ ليون خلالها، أسند ظهره إلى سرير كورفينا وهو يضم ركبتيه إليه، شاردٌ يفكر هناك بصمت، بينما جلست كورفينا تسرح شعرها أمام المراة بكل هدوء وكأن شيئاً لم يكن، مررت أسنان الفرشاة الخشبية بين خصلات شعرها الحريرية وهي تُراقب ليون في انعكاس مرآتها فسألت:

- مضت فترة طويلة على آخر نوبة غضبٍ لك، ما الذي جعلك تتور الآن؟

- لا يوجد سبب.

أجابها ليون وهو يتفادى النظر إليها، فوضعت فرشاة شعرها

جانباً واستدارت ناحيته، عادت لتطرح سؤالها لكن بحزم هذه المرة:

- ما هو سبب غضبك يا ليون؟

أدار الشاب رأسه ناحيتها بشكل مفاجئ، ثم قال وهو يشدُّ على كلماته:

- لأنك كاذبة.

استقام بعد ذلك من موضعة وسار ناحية الباب بنية المغادرة، غير أنه توقف بعد أن ظهرت كورفينا أمامه وكأنها انتقلت آتياً، أمسكته من فكه وقالت بنبرة غاضبة:

- من أمرك بأن تغادر؟

وبتصرف غير معهود من قبله، ضرب ليون يدها وأبعدها ليقول بنبرة غريبة:

- لست وحدي من لا يمكنه سفك الدماء في هذه الغرفة.

تعداها مغادراً المكان، وتركها تفرق في غيظها العارم، أي جراءة نمت في جوف الفتى خلال وقت قصير؟ تسمرت كورفينا في منتصف غرفتها غير مصدقة ما جرى للتو، شعرت بدمائها تفور وأفكارها تذوب في هذه الحمم المستعرة في داخلها، إلى أن طفت كلمات ليون على السطح:

"لأنك كاذبة"

"لست وحدي من لا يمكنه سفك الدماء في هذه الغرفة"

فانتعت حدقتا عينيها على وسعهما وأجابت لا شعورياً:

- هذا مُستحيل!

منكرةً للواقع واستدارت كورفينا ناحية الباب محدثة نفسها:

- لا يمكن أن يكون قد علم بالأمر.

وقبل أن تفقد تركيزها بالكامل، صرخت كورفينا على الخدم،

استجابت لها خادمتها الشخصية بذعر، فأشارت لها كورفينا بأن تذهب في مهمة مُستعجلة.

- لديك يوم واحد فقط، أريد قائمةً بأسماء جميع المشاركين في اختبار الأميرة وأسماء المنظمين أيضاً.

ارتجفت شفتا الخادمة بما أنها لا تملك حتى الاعتراض، بينما أضافت سيدتها وقد برزت أنيابها العلوية:

- تعلمين ما الذي سيحلُّ بك إن لم أجد القائمة أمامي في نفس هذا الوقت غداً.

قصد ليون غرفته الرمادية، دخل وأغلق الباب من خلفه ثم أسند ظهره إليه، نزع رقعة العين الجلدية حتى كاد أن يقطعها ورمى بها بعيداً ثم انزلق رويداً رويداً حتى لامس جسده الأرض الباردة من تحته، كل ما يفكر به الآن هو ما مدى حجم كذبة كورفينا؟ من موقعه في غرفته كان بمقدوره الشعور بها وباحتياجها، لقد استفزها من دون أن يعلم، بالتزامن مع زخات المطر في الخارج طفت أفكاره من أمامه كسحب دخانية غير واضحة المعالم، وبشيء من التركيز اتضح له إحداها، برزت تفاصيلها مع أنغام القطرات المترافضة على زجاج نافذته الصغيرة، غاص ليون بتلك الخاطرة وهو يُحاول ربطها بأي دليل لديه، وقبل أن يتوغل بها أكثر قُطِعَ حبل أفكاره بسبب زوال ذلك الشعور الثقيل بحضور كورفينا، فرفع رأسه وقد علم بأنها قد غادرت المكان، لهذا استقام من موضعه وفتح الباب، مع صوت الصواقي المجلجل في الخارج صعد ليون الدرجات دون أن ينتبه إليه أحد، قصد غرفة كورفينا مجدداً، دفع الباب الذي أحدث صريراً مع صوت صاعقة قوية أنارت له الغرفة المظلمة، فوج إليها ليُغلق الباب من خلفه، لم يكن يعلم ما هو نوع الدليل الذي يأمل بالحصول عليه، لهذا فتش كل ركن من الغرفة بكل عناية حتى وصل إلى تسريحة كورفينا، نظر إلى فرشاة شعرها ولا يمكنه ألا

يتخيل جلوسها أمامه الآن، فرفع رأسه وحدّق في المرأة التي لطالما عشقت كورفينا النظر إليها، مدّ يده إليها ليلبس بأطراف أصابعه سطحها البارد، ضربت صاعقة أخرى من خلفه فانتسعت حدقتا عينيه وقد علم بأن حدسه قد أصاب هدفه.

في اليوم الأخير للقسم الأول للاختبار، وبينما الخدم يقومون بأعمالهم المعتادة بكلّ نشاط وصل إلى مسامعهم صوت صراخ إينور الصادر من غرفتها في الأعلى، قفزت الفتاة بتهور من على سريرها ناحية الدولاب، لقد أطالت بالنوم في الوقت الذي سبقها فيه جميع إخوتها لحضور منافسات اليوم، فتحت إينور الدولاب تبحث به عن شيء ترتديه على عجلة، وصوفي خلفها تلتقط ما كانت ترميه أرضاً من ملابس غير مناسبة، فقالت إينور منتحبة: - كان عليك أن توقظيني باكراً يا صوفي.

ابتسمت صوفي رغماً عنها وهي تراقب سيدتها الصغيرة بشعرها المنكوش لتجيبها:

- لقد حاولت إيقاظك عدة مرات.

ما كان حضور إينور إلى بقية المنافسات ضرورياً بعد تأهلها، لهذا تركتها صوفي تكمل نومها بسلام بعد فشل كل محاولاتها لإيقاظها، أما بالنسبة لإخوتها والتر وبيتر اللذين تأهلا بدورهما فقد حرصا على مشاهدة بقية المنافسات لغرض دراسة خصومهما، وذلك استعداداً للقسم الثاني من الاختبار.

اليوم هو موعد اختبار الرماية، لهذا جُهِز النصف الأيمن من الساحة من أجل جولات الأسلحة النارية، أما على الجهة المقابلة فهو للأسلحة التقليدية كالقوس والسهم وحتى الرماح ورمي الخناجر، توافد المشاركون كل في موقعه وفي انتظار إشارة البدء من قبل اللجنة المنظمة كالعادة، إلا أن شخصاً واحداً لم يظهر حتى الآن، موقع ليون بين رماة القوس والسهم فارغ، نادى أحد

المحكمين على رقبه مجدداً من ثم أشار إلى بقية زملائه للبضي في المنافسات، الانسحاب أمر وارد ومقبول، إلا أن غيلبرت أبدى اعتراضه على الأمر، اجتاز السياج وذهب ليخبر الحكم بأن ليون سيتأخر، أراد أن يكسب بعض الوقت حتى يذهب للبحث عنه، من موقعه راقب أوليفر عملية بحث غيلبرت العقيمة ليُخاطبه مستهزئاً:

- ستجده على الأرجح ييكي كطفلة صغيرة في زاوية ما من هذا المكان.

أجابه غيلبرت مُغتاظاً:

- اخرس يا أوليفر.

هز أوليفر كتفيه وهو يُجيب بجدية:

- لا يصرف بمحاقة يا غيلبرت، منذ اللحظة الأولى التي علمنا بأمر ترتيبات اختبار الرماية ونحن على علمٍ بالنتيجة سلفاً.

حرك أوليفر رأسه وراح ينظر إلى جهة منافسات التصويب المخصصة للبنادق والأسلحة النارية، راقب بريق فوهاتِها المعدنية هناك والذي عكس إضاءات مشاعل المدرجات، بينما تعالت أصوات انفجارات قذائفها وهي تُغادر فوهاتِها لتُصيب الأهداف أمام المشاركين، فتحرّكت عينا غيلبرت ناحية تلك الجهة أيضاً، راقب والقلق ينهش قلبه، يعلم جيداً بأن ليون لن يتخطى خوفه من هذا الصوت بسهولة، ومع هذا أراد أن يتمسك ببعض الأمل مهما كان ضعيفاً:

- إن لم يُشارك ليون في هذه المنافسة فسيتمُّ استبعاده رغم فوزه بمنافسة المسابقة.

من موقع ليس ببعيد عن ساحة الاختبار جرى طفلٌ صغير داخل أحد الممرات المؤدية إلى الساحة، كان الصغير في طريقه لمشاهدة منافسات اليوم، لم يرغب بأن يفوته الكثير لهذا ركض مُجتازاً الممر دون أن ينتبه إلى الشاب الذي يجلس هناك، كما لم

ينتبه الشاب بدوره على أي شيء مما يجري حوله، وضع يديه على أذنيه حتى لا تصله أصوات الطلقات البعيدة، اعتقد بأنه سيجد الحل قبل وصول هذا اليوم، إلا أن أفكاره المشوشة حالت دون ذلك، اضطرب قلبه فزعاً في اللحظة التي شاهد فيها البنادق تُصَفُّ هناك، حاول ليون تهدئة أنفاسه المهتاجة، عليه النهوض سريعاً وإلا تمَّ استبعاده من المنافسات، الآن هو يمتلك سبباً إضافياً لاجتياز هذا الاختبار، إلا أن صدى أصوات البنادق كان أكبر من إرادته، وأكثر شدةً وواقعيةً حتى من الصوت العالق في ذاكرته، حاول دفع مشهد موت والده جانباً واسترجاع ما قد يعيد الطمأنينة إلى قلبه الجزع، هنالك بصيص أمل ضئيل في نهاية حكايته، فتسلل إليه صوت والدته الحنون من بعيد، تكمل سرد تفاصيل قصته المفضلة:

- "فتح التنين الأعور عينه ليفيق من غفوته مُتفاجئاً برؤية بشري تتجاوز الحدود كما لم يفعل أحدٌ من قبله، كان الوحش مُستعداً للهجوم ونفث النار للقضاء على هذا المتطفل، إلا أنه توقف بعد أن أجفلته ابتسامة رُسمت على وجه الفارس الذي تقدم ليقول مخاطباً إياه".

- التنين الأعورا

ما كان الصوت الأخير لوالدته نتاليا، لهذا فتح عينه ورفع رأسه، إنه صوت الفتاة ذات الشعر الفضي والتي هزمت في اليوم الأول، كانت إلينور في طريقها إلى الساحة عندما لاحظت وجوده هناك، فاقتربت منه، أمالت جسدها إلى الأمام حتى تراه بشكل أوضح فتدلى قلب عقد القمر الفضي من بين طيات ملابسها ليترنخ مع خصلات شعرها، خطف العقد انتباه ليون كما حدث أثناء نزاههما، وعلى خلاف المرة الأولى لاحظت إلينور الأمر، نفعلت العقد وجلست القرفصاء أمام ليون بينما تمسك بقلب العقد أمامه لتخاطبه:

- هل أحييته؟

نظر إليها ليون بغير فهم، فهزّت العقد ليترنخ في الهواء وهي تقول:

- ما اعتقدت بأن الأولاد قد يهتمون لمثل هذه الأمور.

ضرب ليون العقد بظهر كفه مُبعداً إياه من مجال بصره فقط ليُجيبها غاضباً:

- ما الذي تتحدثين عنه؟ ولم سَأَهم لعقد خياتٍ بخيف؟

أعادت إلينور العقد حول عنقها وهي تُجيبه:

- إن كنت لا تهتم به.. إذاً لا تُحدِّق بي هكذا، فهذا مُربكٌ..

أعني..

استقامت الفتاة من موقعها مُحرجةً لتُكَلِّم مُفسِّرةً:

- أعني عينك..

قالتا وهي تُشير بإصبع سبابتها إلى عينها اليمنى، وبفزع غطى ليون

عينه اليمنى ليسأل:

- ما خطبها؟

اعتقد بأنها قد أومضت باللون الأحمر كعينه اليسرى دون أن

يعلم، إلا أن الفتاة ضحكت من ردة فعله وقالت له:

- إنها جميلة..

أُنزل ليون يده على مهل فاستدارت إلينور ناحيته بوجهها

البشوش لتقول وهي تتأمل زرقه عينه اليمنى:

- مُحيفةٌ وجميلةٌ في آنٍ واحد...

ثم خفضت رأسها لتقول مُعتذرة:

- آسفةٌ كدت أن أتزعجها في نزائنا الأول.

تنهَّد ليون بانزعاج واستقام من موضعه قائلاً:

- عن أي جمال تتحدثين؟

أراد مغادرة المكان إلا أن إلينور فاجأته بقولها:

- لها لون كالمحيط في أكثر الأيام إشراقاً...

فرقت كلمات إلينور كقرع الطبول في قلبه بينما راحت الفتاة تضحك ببهجة وهي تستذكر له ومضات من رحلاتها العائلية إلى الشاطئ، وصفت له نعومة ملمس الرمال البيضاء تحت قدميها، وزرقة مياه المحيط في الأفق البعيد، ذكرت له رقة نسيم المحيط العليل، ومنظر طيور النورس المخلقة ببهجة في كبد السماء الواسعة، ثم أطالت الفتاة النظر في عينه، تعدت إطار حدقته الزرقاء وغاصت عميقاً في بؤبؤه الأسود وكأنها تسبر أغوار رُوحه لتكمل:

- يبدو المحيط جميلاً من السطح، هادئاً وساحراً، إلا أنه يُربكني في بعض الأحيان، لا يمكنني توقع متى سيهيج ثائراً، ولا أستطيع معرفة ما يُخفيه في أعماقه، الفكرة وحدها مخيفة إلا أنني إذا نظرت له بهذه الطريقة فلن أستمع بجماله، ألا توافقني الرأي؟

اهتز شيء ما في داخل الشاب وهو يستمع إلى حديث إلينور العبيث، فقال بعفوية:

- فتاة غريبة.

وسرعان ما أدرك أمراً ما، في اللحظة التي ظهرت له هذه الفتاة توقف عن سماع صوت طلقات البنادق في الساحة، ليس لأنها توقفت فعلياً، فقد كان بإمكانه سماع صدها من بعيد، إلا أن تركيزه انخرط عنها، شيء آخر دفع بها مع ذكرياته المشؤومة جانباً، فابتسم ليون لا شعورياً وقد هدأ قلبه قليلاً ليقول لها:

- يجب أن أعود إلى ساحة المنافسة.

وقبل أن يمضي في طريقة اعتذرت منه إلينور مُحرجة:

- لا تقل لي بأنني قد أنرتك عن المنافسة، اعتذر إن كنت قد نرثت كثيراً.

هزَّ ليون رأسه نفيّاً ليُجيب:

- لم يفت الأوان بعد.

ثم استدار ليجري ناحية الضوء في نهاية الممر، بينما وقفت هي تراقبه يمضي ناحية الساحة غير مدركة ما فعلته، ودون تردد هتفت له إلينور بصوت عالٍ:

- حفظاً موفّقاً أيها التنين الأعور.

ثم ضحكت بسداجةٍ كونها نسيت أن تسأله عن اسمه.

من أعلى المنصة شد اهتمام الأميرة مشهد اقتراب أحد الحكام في الساحة من لوح أهداف معين لينتزع الرمح الذي استقر في المركز تماماً، تجاوز الرجل صدمته سريعاً ثم أشار ناحية المتسابقة الصغيرة صاحبة الهدف معلناً بذلك حصولها على الدرجة الكاملة، ابتسمت ميا وهي ترفع إشارة النصر عالياً في الهواء غير مُكرّثة بنظرات الازدراء الموجهة ناحيتها من قِبَل الجماهير الساخطة، حتى أن جيريمي انكش على نفسه خوفاً من صيحات التذمر الصادرة من بعض المتفرجين لفوز فتاة سمراء من أبناء القمر، إلا أن ميا لم تحطّ بشرف البقاء تحت الأضواء طويلاً بعد أن ظهر ليون مُخطئاً السياج، فاعترض تقدّمه أحد المنظمين بحجة أن الوقت قد شارف على النفاذ، شدّ الأمر انتباه الأميرة هيلينا فأخذت تراقب بفضول وهي تسأل مساعدتها دونا:

- كم تبقى من الوقت على نهاية المنافسات؟

أجابتها دونا التي كانت تراقب عقارب ساعة جيها:

- أقلُّ من خمس دقائق.

فسألتها الأميرة شيئاً آخر:

- وكم هدفاً عليه أن يُصيب إن أراد الحصول على الدرجة

الكاملة؟

- من تعنين يا سيدتي؟

أشارت هيلينا إلى ليون ثم قالت:

- أنا أعني ابن عائلة ستوكر.

توترت المساعدة وأخذت تبحث بسرعة بين أوراق استمارات المتسابقين لمعرفة نتائجها السابقة، بينما في الأسفل استمر ليون بمحاولة إقناع الحكم الذي أوقفه بأن الوقت لم ينفذ بعد، فاقرب حكم آخر كما انضم إليهم غيلبرت الذي ترجاه قائلاً:

- أرجوك يا سيدي دعه يُشارك حتى لو لم يتمكن من إحراز درجة كاملة.

تنهد الحكم مُربعاً ذراعيه، نقل بصره بين الشابين أمامه حتى استقر نظره في النهاية على ليون ليسأله:

- كم عدد المنافسات التي سجلت بها؟

- ثلاثة.

أدار الحكم رأسه ناحية المؤقت بالقرب من طاولات التحكيم، نظر إلى الوقت المتبقي وبحساب بسيط عرف بأن ليون يحتاج لإصابة ثلاثة وثلاثين رمية حتى يحصل على الدرجة الكاملة في هذا النزال، بخبرته السابقة كان الحكم يعلم بأنه من الصعب أن يحقق ليون أي إنجاز هنا، لكن نظرة الإصرار التي تنبع من عينه الزرقاء كانت كفيلة بأن تجعله يرغب برؤية ما لدى هذا الشاب، لهذا أبعد زميله ثم تنحى بدوره جانباً ليُخاطب ليون بنبرة صارمة:

- لنرى ما يمكنك أن تفعله بهذا الوقت يا فتى.

جرى ليون من فوره ناحية الأسلحة وسط سخط الجماهير من قرار الحكم، التقط قوساً وجعبة السهام ثم عاد سريعاً إلى موقعه، لهث بشدة وهو يلتقط السهم الأول غير عاٍرٍ إن كان بمقدوره قلب النتيجة الآن بعد أن أضاع كل هذا الوقت، وهنا فقط وجدت أفكاره السلبية منفذاً لها، شرد وهو ينظر إلى موقع الأهداف حتى شعر بأنها أبعد مما يتصور، من موقعه عند السياج ركل غيلبرت التراب غاضباً ليصرخ به:

- هيا يا ليون لا وقت للسرطان.

في أعلى المنصة لاحظ ريس إجفال جسد ليون مع وقع صوت الطلقات على الجانب الآخر للساحة، بجانبه تركت الأميرة مقعدها وتقدمت حتى حافة الشرفة بعد أن أخبرتها دونا بعدد الأهداف التي يجب أن يحققها ليون إن أراد إحراز الدرجة الكاملة، أمسكت هيلينا بحافة الشرفة وهي تعلم أن الوقت غير كاف، أغمضت عينيها وفكرت قليلاً، كادت أن ترفع يدها إلا أن كيث أوقفها دون أن يلفت الانتباه إليه، ثم خاطبها بصوت منخفض:

- لا تفعلها.

فأجابته هيلينا دون أن تلتفت ناحيته:

- وما أدراك بما أنا فاعلة؟

أجابها وهو يشير برأسه ناحية ليون هناك بالأسفل:

- أنت تفكرين بتمديد وقت المنافسة.. أفهم شعورك لكن إن فعلتها فستضاعفين من غضب الناس، إنهم معتادون بالفعل لأن الحكم أعطى ابن القمر فرصة المشاركة ولم يستبعده في الحال.

استدار كيث ليعود إلى مقعده فالتقطت عيناه مشهد الجماهير على المدرجات، لاحظ الفرق الذي حدث سريعاً بعد يوم الافتتاح، حيث أدرك كل شخص موقعه هناك، اكتسح النبلاء معظم المدرجات، بينما انحسر عدد بقية الطبقات الدنيا، والتي فضلت العودة إلى أعمالها اليومية لكسب لقمة العيش، أما أبناء القمر فبالكاد تواجد عدد قليل منهم هنا وهناك، عندها قال كيث مُعلقاً:

- مهما حاولت سموها جاهدة لا يمكنها تغيير ما لا يمكن تغييره،

الحقائق ثابتة.

في الأسفل ارتجفت يدا ليون وهو يثبت طرف السهم على

خيطة القوس، شدّه إلى الخلف بقلة ثقة بينما صاح به الجمهور غيظاً، ثم صدر صوت بعض الطلقات من ورائه، فإيزال هنالك القليل من المتسابقين في منافسة الأسلحة النارية يُحاولون حتى الدقائق الأخيرة، المشهد يتكرر مُجدداً وكأن لا شيء قد تغير، كان سينجرف ببطء ناحية تلك الدوامة المظلمة من جديد حتى ظهر وجهها أمامه، وقفت إلينور هناك بجانب السياج خلف الأهداف، لوحث له بحيوية وهي تنادي:

- يمكنك فعلها أيها الثنين الأعور.

علّق كيث من موقعه في المنصة بعد أن انتبه إلى إلينور:

- أليست هذه أختك يا آرثر؟

شدّ آرثر على قبضته وقد انتبه إلى الجلبة التي أحدثتها إلينور في الأسفل فترك موقعه غاضباً، من جهته كان منظور ليون مُختلفاً عن البقية، فن جديد بدّد صوتها كل الضوضاء من حوله، فعادت ثقته إلى نفسه، شدّ من قبضته على القوس وأمسكه بطريقة مُختلفة عن البقية، نصب ظهره وباعد بين ساقيه، وبعين حادة كالصقر صوّب رأس السهم ناحية الهدف، أطلقه دون تردّد وقبل أن يصل سهمه إلى هدفه مدّ ليون ذراعه إلى الجعبة والتقطت أصابعه بكل رشاقة سهماً آخر، ثبته على الخيط ليطلقه، لم ينتظر ليون سهمه حتى تصل إلى هدفها وأخذ يُطلقها تِباعاً ودون توقف، بينما الذي توقف في المقابل هو صيحات الجماهير الساخطة، عُقدت ألسنتهم الجارحة ولم يُصدق أحد منهم ما كان يحصل، أي سرعة تلك التي يمتلكها هذا الشاب؟

مُتخطياً الدرجات بين الجماهير نزل جيريمي ليلتقي بـ ميا فانتبه لشرودها وهي تراقب ليون من بعيد، اقترب منها الشاب وقال مُعلّقاً وهو يُحاكي حركة مسك ليون للقوس والسهم:

- إنه مذهل، أليس كذلك؟

إلا أن الفتاة أجابته بشيء آخر:

- اعتقد بأنني قد رأيته في مكانٍ ما..

ثم ضربت جبينها بقبضة يدها ضربات خفيفة لتضيف مخاطبة نفسها:

- تذكر يا ميا، أين رأيته من قبل؟..

كيف لها أن تذكر وجهها ما رأت من ملامحه إلا القليل، غير أن هذا القليل هو ما ترك أثراً مرّاً في قاع نفسها.

في الأعلى حبست الأميرة أنفاسها وهي تتابع رميات ليون بترقب إلى أن تحرّكت شفتيها لتهمس ببعض الأمل:

- بإمكانه فعلها.

عاد كيث ليقف عند حافة الشرفة غير مُصدقٍ لم يراه، لم يكن ليون سريعاً فقط بل كان شديد الدقة أيضاً، لدرجة أن كل سهم يطلقه لم يخرف عن نقطة المركز على اللوح، وأخذ كل سهم يقسم ما وصل قبله إلى نصفين ليحل محله بكل دقة وسرعة، حتى جاءت اللحظة التي مد بها ليون يده إلى الجعبة خلف ظهره فوجدها فارغةً من السهام، توقفت أنفاسه لثانية وهو ينظر إلى اللوح أمامه، كم سهماً رمى حتى الآن؟ هل يعود لإحضار المزيد؟ كم تبقى من الوقت؟ وبإشارة واحدة من الحكم أمامه حصل الشاب على إجابة لكل أسئلته المتراكمة، فقد رفع الحكم يده معلناً حصول ليون على الدرجة الكاملة قبل نهاية الوقت، فسقط القوس من يده غير مُصدقٍ بأنه تمكن من اجتياز الاختبار، وقف مشدوهاً وكأنه يطفو في الهواء حتى أعادته ضربة غيلبرت على ظهره إلى أرض الواقع:

- أيها الأحق، لقد أخفّتي.

لكنه سرعان ما أحاطه بذراعه مهتلاً:

- ومع هذا أحسنت صنعاً، لقد أخرجت الجميع حرقاً..

ثم استدار غيلبرت بصاحبه ناحية المنصة الملكية ليضيف:

- بمن فيهم الأميرة.

أزاح ليون ذراع غيلبرت عنه بعد أن انتبه إلى نظرات الأميرة ناحيته، وقف متأملاً إياها وكل من بجانبها هناك في المنصة الملكية، لكن سرعان ما استدار إلى الجهة الأخرى وقد تذكر سبب فوزه ليسأل:

- أين هي؟

أجابه غيلبرت بغير فهم:

- من تعني؟

- صاحبة الشعر الفضي..

وقبل يدرك كان أنفه قد التقط رائحةً ميزها من فوره، فحشر يده بطريقة آلية في جيبه ليمسك بالخرقة الممزقة من ملابس جيريمي، استمر ليون في البحث حتى رصدت عينه الشعر الفضي لفتاة أخرى، وكما توقع إنها تلك الفتاة التي قابلها مع كورفينا في إيستوود قبل مدة قصيرة، نظرت إليه ميا بدورها بحذر قبل أن تقرر الاقتراق عن جيريمي والتواري عن الأنظار بين المتسابقين.

وقفت إلينور غاضبة في منتصف أحد الأروقة أسفل المدرجات بعد أن جرها أخوها آرثر إلى هناك، كان قد ترك المنصة بعد رؤيتها تلوح مشجعةً لليون، لهذا نهرها غاضباً:

- هل جرى شيء ما لعقلك؟

- ما الذي تعنيه؟

أشار الأخ الغاضب بذراعه ناحية الساحة مجيباً:

- كيف لك أن تهتفي مُشجعةً لذلك الحثالة؟ أتعلمين ما الذي

قد يفعله والدنا إن علم بالأمر، سيجرك من شعرك ليقتادك إلى القصر دون أن يأبه لأحد، حتى الماركيزة باربرا لن تقف في صفك أيتها الحماة.

تأفقت إيلنور كطفلة صغيرة غير مدركة حجم الخطأ الذي ارتكبته، ثم مطت شفيتها لتقول:

- لا حاجة لي جري أحد، سأعود إلى القصر لوحدي.

تركته أخته وانصرفت إلى المنزل غاضبة، فعاد آرثر مُجدداً إلى موقعه في أعلى المنصة لينضم إلى بقية الأساتذة، في هذا الوقت كان الحكام يتعاونون مع مساعديهم في احتساب درجات كل المتسابقين ليتم إعلان أسماء المتأهلين إلى القسم الثاني من الاختبار، فاصطف معظم المنافسين الذين كانوا موجودين في الميدان بترقب للحظة الحاسمة، كانت أعينهم موجهة إلى اللوح الخشبي الكبير، أحكت ماغي قبضتها بتوتر فأمسك جاك الذي كان قد ضمن تأهله بيدها وهو يقول:

- لقد حصدت الكثير من النقاط في بقية المنافسات لهذا لا تقلقي.

بجانب ماغي أحس الصغير جو بشعور المرارة ذاته، لقد شارك في أربع منافسات وهو لا يعلم إن كان مجموع نقاطه سيكفي لتأهله، وبنهاية الصفوف الغفيرة من الخلف كان غيلبرت أكثر توتراً من صاحبة لمعرفة النتيجة، وبعد انتظار طويل وضع المنضمون اللائحة على اللوح أخيراً، فتدافع المتنافسون كل منهم يبحث عن اسمه بشيء من الفوضى، أسفل اللوح هل الأخرين بيتر ووالتر بعد رؤية اسميهما ضمن المتأهلين لينضما إلى أختهما إيلنور، أبناء الكونت رايموند أيضاً تمكنوا جميعهم بمن فيهم جو من اجتياز القسم الأول، ميا، ريفن، دونالد، ماغي، أوليفر وغيلبرت ظهرت أسماءهم ضمن قائمة المتأهلين، وأخيراً اتسعت ابتسامة ليون الذي كان اسمه قد خطت أسفل القائمة، لقد تمكن من فعلها بشق الأنفس، والآن فقط يبدأ الاختبار الحقيقي.

باركت الأميرة لجميع المتأهلين الذين توجهت أنظارهم إليها متربحين معرفة تفاصيل القسم الثاني من الاختبار، نظرت الأميرة

إليهم من شرفتها العالية لتقول أخيراً:

- اذهبوا وارتاحوا الآن، احتفلوا إن شئتم لكن لا تطيلوا السهر
فأمامكم غداً يومٌ حافل.

ودون إعطاء أي تفاصيل أكثر انسحبت الأميرة من أمام الجميع
لتغادر الشرفة بصحبة حاشيتها، ولترك الجميع بشوق لمعرفة ما يجتبه
اختبار الغد.

تعالَت أصوات المحتفلين في الحانة الصغير والقرية من الساحة
العامة، في الزاوية البعيدة أطرب عزف فرقة شعبية آذان
الحاضرين لدرجة لم يقاوموا معها فكرة الرقص على تلك الأنغام
المبهجة، وعلى جهة أخرى اصطف بعض الشباب يتناوبون على
رمي السهام الصغيرة على لوح للأهداف علّق على أحد الجدران،
تقدم أحد الفتية وعقد خرقة بالية على رأسه مُغطياً بها عينه
اليسرى، أخذ حفنة من السهام الصغيرة مُحاولاً رميها على الهدف
إلى جانب بقية الشبان، على إحدى الطاولات القريبة منهم رفع
جيريمي كأسه ليرتشف منها وهو يهزُّ رأسه مع الألحان، إلا أنه
توقف بعد أن أدرك أن ميا لا تُشاركه بهجة الانتصار، فوضع
كأسه جانباً وسألها:

- هل كل أهل الشمال هكذا؟

بدا على ملامح الفتاة عدم فهمها مقصد جيريمي من السؤال،
فأشار الشاب إلى وجهها مُفسراً:

- تحملين ملامح جادة معظم الوقت، فهل كل أهل الشمال
هكذا.

عقدت ميا حاجبها ولم تصلها الفكرة حتى الآن:

- أهل الشمال؟ أهو مصطلح تستخدمونه لوصف الغرباء هنا؟

لم يتمكن جيريمي من إجابتها بسبب علو صوت الشباب

المتنافسين عند لوح الأهداف، فأدار جميع من في الحانة رؤوسهم إلى تلك الناحية بعد أن قام أحد الشبان بدفع الصبي الصغير أرضاً:

- ألم تجد إلا ابن القمر حتى تقلّده؟.. أغرب عن وجهي أيها الحقير الوضع وإلا هُشمت لك وجهك.

غير آبه لفرق القوة بينه وبين تلك المجموعة ردّ الصبي على الشاب بوقاحة مُفتعلاً بذلك شجاراً أزعج معظم مرتادي المكان، نفثي جيريمي أن يمتد خلافتهم وأذاهم إلى ميا، لهذا حاول أن يبدو طبيعياً قدر الإمكان وألا يلفت انتباههم، ولحسن الحظ قام صاحب الحانة بطرد الرجال، بينما سحب الصبي جانباً لمعابته، بعد أن اطمأن جيريمي لاستقرار الوضع، عاد لمُحادثته مع ميا:

- لقد أخبرني جاسبر بأن ملابسك تُشير إلى أنك من عشائر الشمال لهذا..

وقبل أن يكمل انتبه جيريمي إلى أن تركيز ميا قد انخرق عن حديثهما، راحت الفتاة تراقب صاحب الحانة وهو يُعاتب الصبي الذي أزال انحرقة عن عينه اليسرى فاستقامت الفتاة من موضعها لتخاطب جيريمي:

- عليّ أن أعود إلى المنزل، أراك بوقت لاحق.

- مهلاً سأرافقك، فلا مُتعة بالاحتفال هنا وحدي على أي حال.

خرج الاثنان من الحانة وراح جيريمي يُثرثر ل ميا بقصص رحلاته مع جاسبر، كانت الفتاة تستمع بصمت إلى أحاديثه دون تركيز كونها مشغولة بتفقد مُحيطها بين الفينة والأخرى، أثمر عناؤها أخيراً ولاحظت ظلاً ما فوق أسطح البنايات يتنقل بينها برشاقة إلا أنه اختفى قبل بلوغها وجيريمي الحي الذي تسكن به، فوقفت الفتاة لتقول:

- لا أعتقد بأنني أشعر بالنعاس، ما رأيك لو نتمشى قليلاً حول السوق القديمة؟

غير مُدركٍ لسبب التغيير في مزاجها وافقها جيري دون
اعتراض:

- ح حسنًا، أقرض بأنه لا بأس بذلك.

بين الأسطح في الأعلى لاحظ ليون ارتياب ميا، لهذا كان قد
راجع قليلًا للمراقبة من بعد كاف، شاهد الثنائي وهما يعودان
أدراجهما ناحية السوق، فعلم بأنها ربما تكون قد شعرت بأنها
مراقبة، رفع الشاب رأسه ونظر إلى الأسطح من حوله، طالما
أن الفتاة وصلت إلى هذه البقة هذا يعني بأن الطفلة قريبة جدًا،
لهذا أغلق عينيه واعتمد على الهواء من حوله، وصل لأنفه خليط
مزيج من الروائح الكريهة، دخان المداخن مع الكثير من قذارة
مياه الصرف الصحي، روث الحيوانات العالق برطوبة الهواء وجفأة
فتح عينه اليمنى وقد اتسع سواد بؤبؤها ليكتسح الزرقة فيها، استدار
ليون ناحية أحد الأبنية، تنقل بين الأسطح برشاقة كقط بري
حتى وصل إلى النافذة المطلوبة، أطل برأسه من خلال زجاج
النافذة فشاهد الطفلة تنام بسلام على أحد السريرين في الغرفة،
اطمأن قلبه لهذا المشهد وقرر التراجع في الوقت الراهن، إلا أنه
انتبه إلى شيء آخر، أدار ليون رأسه إلى سطح البناء المجاور،
وتحديقًا لنافذة سقفه نفخى قلبه بشدة.

كتم ريس أنفاسه مُزججًا من رائحة ورق الجدران الجديد الذي
ثبته العاملون اليوم في مبنى الأكاديمية، ووقف كالجماد برفقة بقية
الفرسان في الرواق أمام باب مكتب هيلينا المغلق، وخلف ذلك
الباب أحاطت الأميرة نفسها بأكوام من الكتب والمخطوطات،
تصفحها بسعادة بينما تُخطط لقضاء بقية اليوم بالمطالعة والقراءة
حتى حضرت مساعدتها دونًا لتفسد كل مخططاتها، اجتازت
الفرسان بجانب الباب ودخلت إلى المكتب قلقةً على سيدتها:

- عليك أن ترتاحي يا سيدتي، ألسنت مجاهدة؟

أغلقت هيلينا الكتاب الذي بين يديها ولم تُفارق الابتسامة وجهها البشوش مُجِبةً دوناً:

- على العكس من ذلك، أشعر بأنني أكثر نشاطاً، ومع هذا نعد إلى القصر، لابد وأنكم مرهقون الآن.

قصدت الأميرة عربتها التي كانت بانتظارها في الأسفل، وانطلقت بها مع حاشيتها، وكعادتها سلكت الطريق التي تقطع الأحياء الفقيرة، فتحت النافذة غير آبهة للرائحة العفنة ونظرت إلى الطرق المتسخة، لوحت للأطفال دون كلل أو ملل حتى اجتازت المنطقة ووصلت إلى القلعة الملكية، وافترقت عن ريس الذي اتجه إلى جناحه الخاص، أغلق الفارس الباب من خلفه وتأمل غرفته التي كانت تعادل بحجمها مساحة منزلهم في إيستود، لقد جهزت له المياه الدافئة في حوض الاستحمام مع بتلات الزهور العطرة في الحمام، بينما وضع الطعام الساخن في أوانٍ من الذهب والفضة على الطاولة، كما ينتظره فراش دافئ ووفير حتى يرتقي عليه، أي شخص في محله كان ليسعد بهذه الحياة، لهذا لم يفهم لمَ كان غاضباً، لماذا شعر باللوعة في حلقه وهو يستحضر وجه الأميرة اليوم؟ كل شيء كان على ما يرام حتى بدأت هذه المنافسة السخيفة، كانت هيلينا له وحده لا تنظر لغيره، ولا تقلق لأحد سواه، واليوم فقط شاهد هذا الوجه القلق يضطرب لحثالة من أبناء القمر، شعر ريس وكأن هيلينا تنساب من بين أنامله بهدوء، وبلحظة غضب انهال بكلتا يديه على طاولة الطعام، رمى بكل غضبه عليها فتطايرت الأواني وانسكب الطعام على الأرض، صرخ بالفوضى من حوله حتى احتقن وجهه، اعتقد بأنه سيبدأ بعد أن أفرغ ما بداخله إلا أنه أدرك عدم جدوى ما يفعله الآن، لا فائدة من إفراغ غضبه على الأواني، وقبل أن يتوغل أكثر بأفكاره السوداء قاطعه طرق على الباب، كان على وشك أن يصرف الطارق إلا أن الباب فُتح قبل أن يدرك، فدخل والده، رفع بول أحد حاجبيه بعد وقع نظره على الفوضى التي أحدثها ابنه، فاستدار حولها ووجد لنفسه كرسيًا

ليجلس عليه، ارتبك الابن فسأل:

- لم أنت هنا بمثل هذا الوقت؟

وضع بول ساقاً فوق الأخرى وتطلع إلى ابنه الذي أصبح يفوقه طولاً، ليُجيب:

- وهل أحتاج إلى حِجْرٍ موعدٍ حتى أتمكن من رؤية ابني الوحيد؟

ابتلع ريس ريقه الجاف وجلس على حافة السرير قائلاً:

- أعتذر، لكنني لست بمزاج جيد.

نخرة ساخرة صدرت من بول وهو يتأمل فوضى الغرفة من حوله ثم قال:

- اترك أحلامك الوردية جانباً وركّز فيما سأقوله لك، هنالك أمرٌ أريدك أن تتفذه.

- ما هو؟

أشار بول بعينه ناحية الباب وقال بصوتٍ خافت:

- هل نحن بأمان؟

أوما ريس برأسه إيجاباً، فقال والده:

- أعتقد بأنك قد سمعت بإشاعة زواج الأميرة هيلينا من ريفن.

اكفهر وجه الشاب وهو يومئ إيجاباً، فأكل والده:

- لقد أوكلتُ إليك بمهمةٍ واحدة، مهمةٍ واحدةٍ أيها الابن الأحقق..

ثم تنهد بانزعاج ليُكمل:

- أعتقدت بأنك تُبلي بلاءً جيداً معها.. إلا أنك تبصر بشهامة مُفرطة وهذا ليس في صالحنا...

توقف بول للحظة مُحاولاً قراءة وجه ابنه ثم أكمل مُشدداً على

كلماته:

- أسرع يا بني في جعلها مُلكاً لك وإلا سبقتك إليها فارس
إستاليا، وعندها سنصبح تحت رحمتهم.

كظم الشاب غيظه بصعوبة بالغة وهو يومئ مؤيداً رغبة والده،
فنهض بول من مكانه وأخرج بعض الأوراق المطوية:

- سأعطيك فرصة أخرى لإثبات جدارتك..

فدفع بالأوراق في جيب معطف ابنه ليقول:

- هذا المسار الذي ستسير به البضائع لهذا الشهر، اجعل رجالك
يتكفلون بمراقبة تلك الطرق حتى نضمن مرور العربات دون
مشاكل.

وقف ليون في وسط بهو قصر ستوكيراقب رقاص الساعة
الكبيرة وهو يتأرجح ذهاباً وإياباً حتى لمح غيلبرت من أعلى
الدرج والذي كان في طريقه إلى غرفته، فتنزل ليسأل:

- أنتتظر شيئاً ما؟

أجابه ليون دون أن يزج عينه عن الساعة:

- السيدة.

ضحك غيلبرت وقد فهم بأنها لم تقم باستدعاء ليون، فقال
مازحاً:

- أمرك غريبٌ يا صاح.. اذهب وامرح طالما أنها نسيت أمرك
اليوم.

رفع ليون رأسه لينظر ناحية غرفتها هناك بالأعلى، ثم قال مجيباً
وقد ضيق جفن عينه:

- هنالك أمر خاطئ.

جرى ليون فجأة ناحية الدرج صعوداً إلى غرفة كورفينا، ولحق

به غيلبرت دون أن يعلم ما الذي عناه صاحبه، دفع ليون الباب بقوة غير مكترث بالنتائج ليجد الظلمة والسكون في استقباله، فتوغل أكثر وأشعل الشمعدان على الطاولة القريبة من الباب، دنا غيلبرت ليقف إلى جانبه وقد تمكنت المفاجأة منه بعد أن أضيئ المكان فقال:

- ما الذي حدث هنا؟

اقترب ليون من السرير وأمسك بملابس كورفينا المرمية عليه بإهمال، بينما تفقد غيلبرت أركان الغرفة التي بدت بحالٍ مرزبة من القوضى ثم سأل:

- كيف لم ننتبه لمغادرتها؟

رمى ليون بالملابس التي وجدها ناحية غيلبرت الذي التقطها من فوره، فأجاب ليون:

- بسبب هذا.

كان يُشير إلى القليل من بقع الدماء التي لطخت ملابس كورفينا، ثم أضاف:

- اعتقدت بأنها هنا بسبب رائحة دمائها على الملابس.

ارتبك غيلبرت فقال باندفاع:

- هذه رائحة دمائها بالفعل.. ما العمل؟ هل علينا إبلاغ الجميع؟ قد يكون هذا هجومًا محتملاً..

وقبل أن يتوسع أكثر بأفكاره، أوقفه ليون ليقول:

- تمالك نفسك.. فالسيدة أقوى مما تعتقد، هي لن تسقط بسهولة دون قتال عنيف.

ثم أشار إلى بقع الدماء مُفسراً:

- ملابسها سليمة وغير ممزقة، هذا يعني بأنها من تعمدت أن تجرح نفسها.

فَرَدَّ غِيلْبِرْت فِستَان والدته بين يديه ليتأكّد من ملاحظة ليون،
ثم سأل:

- ولمَ قد تفعل شيئاً كهذا؟

صمت ليون لوهلة وقد سرح في احمرار بقعة الدماء أمامه،
فنبضت عينه اليسرى بغتةً تحت رقعة العين الجلدية، ثم أدار رأسه
إلى المرأة الموجودة على التسيريحة فقال مُجيباً:

- أرادت الخروج دون علم أحد.

- هل علينا أن نقلق بهذا الشأن؟

أخذ ليون الفستان من يد غيلبرت ورماه على السرير مُجدداً،
ودون أن يُعطي إجابةً مُقنعة قام بجِـرّ صاحبه ليخرجها من الغرفة،
ثم قال بصوت خافت:

- لا تخبر أحداً بأمر والدتك، سأخرج أنا للبحث عنها.

وباعتراض واضح قال غيلبرت:

- انتظر وماذا عن والدي؟

- سأقلق بشأنه في الوقت المناسب، أما الآن فأنا أكثر قلقاً مما
قد تفعله والدتك.

انتشر في الالونة الأخيرة أحد أنواع المشروبات على نطاق واسع في
عاصمة مملكة "ديمونترا" بحيث أصبح رائجاً في معظم حالاتها
واستراحاتها. يُقال بأن أصل إنتاج هذا المشروب هو مملكة "إسترايا"،
ووصلت أصدا له خارج حدودها بفضل توقيع مذكرة تفاهم تجاري بين
المملكتين والتي أدت إلى إنعاش الممر التجاري البحري بينهما.





الفصل الخامس: همسات السماء الأرجوانية

ظهر فارسان بملابس رثة فوق صهوة جواديهما عند حدود العاصمة، أرادا تجاوز البوابة فأوقفهما أحد الحراس بمدّ رمح الطويل في طريقهما، بينما صوب بقية زملائه فوهات بنادقهم ناحيتهما، فأزاح أحد الفارسين غطاء رأسه وابتسم ليُخاطب الحارس أمامه:

- اعتقدت بأنني سأحظى باستقبال أكثر نفامة من جلالتها.
ارتبك الحارس وأزاح الرمح على الفور بعد أن تعرّف على الفارس، رفع ذراعه بتحية عسكرية وهو يقول:
- اعذرني حضرة الجنرال يوجين، أنا لم أتعرف عليك بسبب هذه المحمية الطويلة.

ضحك يوجين وهو يُمسد لحيته التي نمت قليلاً في الفترة الأخيرة، ثم لمح من بعيد قمة البناء الشاهق لأكاديمية الفرسان، فسأل الحارس:

- هل تأخرنا في الوصول؟

وزن الحارس كلماتها جيداً قبل أن يُلقيها مجيباً:

- سمو الأميرة كانت تنتظر حضورك من اليوم الأول للمنافسة، إلا أنها قد تسعد برؤيتك وقد تمكّنت من الوصول قبل اليوم الأخير.

أدار يوجين رأسه ليُخاطب مُساعده رايدر مُمازحاً إياه:

- رأيته، أخبرتك بأنه لا داعي للقلق.

بمنطقة ليست ببعيدة عن قصر ستوك، ترحل ليون من على جواده ليتفقد أثراً حديثاً طُبع على التربة، نخاطبه غيلبرت وهو لا يزال فوق جواده متمللاً:

- ما فائدة تفقد آثار الخيول، يوجد الكثير منها هنا على أي حال.

بعد أن فرغ من تفقد الأثر، انتصب ليون من موضعه وهو يضرب كفيه ببعضهما لينفض التراب العالق:

- أنت من أصرّ على مُرافقتي لهذا توقف عن التذمر كالأطفال.

- لأنك لم تترك لي خياراً آخر، لن أجازف بتركك تذهب وحدك.

داعبت نسمة هواءً بادرة وجه غيلبرت قبل أن يقترح قائلاً:

- لنعد يا ليون، إننا نحوم في الأرجاء من دون جدوى، لا يمكنني حتى اشتتام رائحتها.

أشار ليون ناحية الطريق الممهدة والتي تقود إلى أحياء العاصمة:

- لقد ذهبت إلى تلك الناحية.

امتطى ليون جواده واستدار به ناحية الجهة التي أشار إليها، فتبعه غيلبرت بجواده مُعترضاً:

- توقف.. أتعلم حتى إلى أين تقود تلك الطريق؟

- بالتأكيد.

ضرب غيلبرت قدمه جانبي جواده فتقدّم على ليون وقطع عليه الطريق، فما كان من الأخير إلا أن يتوقّف مجبراً:

- ما خطبك الآن؟

صمت غيلبرت بينما عصفت الرياح من حولهما، فتمايلت حشائش المرج كما لو كانت أمواج محيط هائج، أحكم غيلبرت قبضته على اللجام وقال:

- لا يمكنني فهم موقفك..

لمعت أعين غيلبرت غضباً وهو يكمل قائلاً:

- لماذا تبذل كل هذا الجهد للعثور على والدتي؟ أليس من

الأجدر أن تستغل الفرصة وتهرب منها الآن؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفة ليون، فانفجر به غيلبرت مُعَاتِبًا:

- لا تسخر مني فأنا جادٌ فيما أقول.

- أنا لا أخسر منك يا غيلبرت...

اتسعت ابتسامة ليون وهو يضيف قائلاً:

- بل أنا مُمْتَنٌّ لك..

زالت تعابير وجه غيلبرت الغاضبة تدريجياً وهو يستمع إلى صاحبه الذي أكل:

- الآن فقط تأكدت بأنك تنفي بوعدك التي تقطعها، هذا يعني بأنك لن تنسى وعدك الأول.

تجهم وجه غيلبرت عندما أشار ليون لذلك الوعد، فقال مُغَيَّرًا مجرى الحديث:

- أنت لم تُجِبْ عن سؤالي.

عاد ليون ليُشير إلى الطريق أمامهما مُجِيبًا:

- سأشرح لك كل شيء ونحن في الطريق.

بعد التنزه بصحبة جيرمي في السوق لساعاتٍ طويلة، عادت ميا إلى سكنها منهكة، تسلت بوقتٍ متأخرٍ إلى غرفة النوم على أطراف أصابعها خشية أن توقظ ميمي أو الرجل من نومهما، بدلت ملابسها واستلقت على السرير بجانب الصغيرة الغارقة في سباتها، احتضنت الفتاة الوسادة البالية وكأنها شيءٌ فآخرٌ فقد اعتادت النوم على القش الجاف لوقتٍ طويل، عامل الزمن كان كافيًا بأن ينسبها ملمس القطن على وجهها، وطراوة السرير من أسفلها، هي حتى لا تتذكر صورة والدتها التي أحالها الزمن إلى

بقايا سراب لا يزورها إلا نادراً، أغلقت ميا عينيها بمحاولة منها للنوم، إلا أن شبح الاختبار الأخير أقض مضجعها، فأعلنت استسلامها وانسحبت إلى خارج الغرفة، بحثت عن ريحها ومصدر أمنها، ثم اقترشت الأرض بينما تمسح رأسه المعدني بخرقة بالية، التمع المعدن ليعكس وجهها الأسمر على سطحه، حتى ظهر وجه آخر يُشاركها تلك المساحة الصغيرة، فقال صاحبه:

- إنها المرة الأولى التي أراك تعجزين بها عن النوم.

جلس الرجل على الأرض بجانبها، فأنزلت الفتاة الرمح بحجرها وأجابت بشيء من الاحباط:

- هنالك المرة الأولى لكل شيء..

ثم التفتت ناحية الرجل لتسأل مُعاتبة:

- أنت لم تأتِ لرؤيتي في المنافسة.

- ألهذا أنتِ غاضبة؟

مطت ميا شفيتها لتجيبه:

- لستُ غاضبة، كل ما في الأمر..

ترددت الفتاة في التعبير عما يسكن جوفها، لأنها لم ترغب بأن تظهر أمامه كفتاة مدللة، لطالما كرهت تلك الصورة التي رسمتها في تخيلاتها لفتيات المدينة، فكيف لها أن تصبح واحدة منهن الآن؟
- أنا..

نهضت ميا من مكانها وسارت مُتخِطةً ناحية النافذة، ألصقت وجهها بالزجاج القذر، وتأملت منازل الحي الفقير المترصة، يسند بعضهم بعضاً كبناء واحد، وتشارك أسقفها بالقرميد الأحمر دون تمييز، وعلى بعد مسافة مناسبة تبرزُ القصور الفخمة للأحياء الغنية، تتنافس بعلو قممها وباختلاف تصاميمها المبهرة، وبين هذا وذاك يتربع مبنى الأكاديمية في المنتصف، فوضعت ميا اصبعها على زجاج النافذة لتقول:

- يبدو البناء بحجم رأس إصبعي من هذه المسافة، إلا أنه هائل الحجم في الواقع، شعرت وكأنني مجرد حبة رِزِّ صغيرة في وعاء كبير.

ضحك الرجل من كلامها، واختلطت ضحكاته مع سعاله فاحمراً وجهه من شدة الضحك، ولم يتوقف إلا ليسأل:

- وما الذي تريده حبة الرِزِّ الصغيرة؟

استدارت ميا ناحيته بوجه مُتجهّم، رفعت أحد حاجبيها لتقول:

- كُنْتُ أعلم بأنك ستسخر مني.

نهض الرجل من موضعه ومسح دمعة كانت قد هربت من عينه بسبب ضحكه قبل قليل، وقف بجانب ميا وبعثر شعرها الفضفي القصير قائلاً:

- هل شعرت حبة الرِزِّ بالوحدة في قعر ذلك الوعاء؟

أومأت ميا برأسها إيجاباً، فوجدت نفسها وقد أصبحت تحت ذراعه الكبيرة، ضمها ناحيته وهو يتأمل بناء الأكاديمية من بعيد، فقال بعد صمت لم يطل:

- سأحضر غداً لمشاهدتك.

- حقاً ستفعل!

تطلعت ميا إليه بسعادة غامرة ثم عادت لتنظر ناحية البناء البعيد للأكاديمية وقد غفلت عن شيء بغاية الأهمية، لم تنتبه ميا إلى النظرة الحادة والتي ارتسمت على وجه الرجل المحدث بالسماء الأرجوانية.

أوقف غيلبرت جواده ليقول بعد أن تمكنت منه المفاجأة من حديث ليون:

- يُمكنك الشعور ببعضكم!

أوما ليون برأسه إيجاباً ثم قال مُفسراً:

- كُنت أجد الأمر غريباً في بادئ الأمر، ففي كل محاولة للهرب منها جرّبت مكاناً مختلفاً، كما استخدمت العديد من الأساليب لإخفاء رائحتي عنها، كتغطية جسدي بالطين أو استخدام النباتات ذات الرائحة القوية، إلا أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل.. ومع الوقت انتبعت لأمر ما..

وضع ليون يده على عنقه ليُكلم:

- كُنت دائماً ما أشعر بحضورها قبل أن تجدني فعلياً.

ثم صمت للحظة وهو يرفع ذراعه ل غيلبرت، ففهم الأخير بأن ليون يُشير إلى مكان العضة الخاصة به، عندها تابع ليون قائلاً:

- من دون امتصاصك لدمائي ما كُنتَ لتتمكن من العثور علي في ذلك القبو يا غيلبرت..

ابتسم طرف فك ليون وهو يُكلم قائلاً:

- لهذا لم أعارض قدومك معي الآن، كُنتَ ستجدني في كل الأحوال.

وضع غيلبرت يده على فمه وهو يتذكر الإحساس الذي قاده إلى مكان ليون في قصر ستوك، ثم اتسعت عيناه بعد أن اكتملت الصورة في رأسه ليقول:

- مهلاً.. أنت تشعر بها الآن، ألا يعني هذا بأنها قد شعرت بك بدورها.

ربع ليون ذراعيه مُفكراً قبل أن يقول بنبرة بدت ساخرة:

- السيدة تفوقني قوة، على الأرجح بأنها أحست باقترابي منذ اللحظة التي غادرنا بها قصر ستوك.

فزع غيلبرت وقد أحكم قبضتيه على اللجام لينهر ليون قائلاً:

- لم لم تقل لي هذا منذ البداية.

أشار ليون إلى قصرٍ يبعد عنهما مسافة قصيرة، ثم قال:

- لقد فات الأوان يا صاحبي، إنها هناك.

برز القصر الذي أشار إليه ليون تحت السماء الأرجوانية، فاصطبغ بصبغتها، احتلَّ البناء مساحة شاسعة من الأرض غير أنه لم يكن هنالك أي نوع من الحراسة حول سورهِ، وهذا إن دلَّ على شيء، فهو يُشير إلى أن صاحب هذه الملكية رغم ثرائهِ إلا أنه ليس من طبقة النبلاء العليا، أمعن ليون النظر إلى الأسوار حتى وقع بصره على مكان مناسب للتسلل، ثم قال مُشيراً لـ غيلبرت:

- من تلك الناحية.

ابتلع غيلبرت ريقه الجاف ثم سأل رغم يقينه بأن صاحبه لا يمتلك الإجابة:

- لمن تعود هذه الملكية باعتقادك؟

عصفت الريح من حول الشابين، فحرَّكت خصلات شعر ليون لتكشف حديقته الزرقاء من تحتها بوضوح، لهذا كان بمقدور غيلبرت رؤية مدى جدية ليون الذي أجاب وكأنه يُحدِّث نفسه:

- هذا غير مهم الآن، فرائحة الدماء الوحيدة والمنبعثة من هذا البناء تعود للسيدة وحدها.

حاول غيلبرت التركيز بشكلٍ أكبر فوصلته رائحة دماء والدته، عندها جرى الاثنان ناحية الجدار دون أي نقاش زائد.

انعكست ألسنة اللهب المتقددة في نار المدفئة في حدقتي كورفينا، بينما ضغطت بمنديلهما الحريري على قبضة يدها الدامية، حيث لا يزال الدم الخائر يتدفق بغزارة من الجرح الصغير الذي أحدثته بنفسها، وكأن بدمائها تغلي في عروقها لتعبر عن مقدار غيظها اتجاه الجالس قبالتها، مرَّت دقائق من الصمت المطبق بين

هذين الاثنين فتحدثت الأعين عوضاً عن الأفواه، إلى أن نفذ صبر كورفينا التي استقامت من على الكرسي وتحركت ناحية موقد النار فتراقص ظلها الطويل على ورق جدران الغرفة، أخرجت أوراقاً مطوية من بين طيات ملابسها، ظهرت مُصَفَّرَةٌ ومُتَأَكِّلَةٌ الأطراف دلالةً على قدمها، ورغم البرود الذي غزا ملامح وجه كورفينا الملائكي، إلا أن اعتصارها للأوراق أوحى بمقدار الشر المنبعث منها، عندها قالت بهدوء:

- إلى أين ذهب اتفاقنا يا آردين؟

دفع الكونت بكرسيه إلى الخلف ليُجيبها مُدافعاً عن نفسه:

- كم مرّة عليّ أن أقولها ليدي كورفينا، أنا لم أخنك أبداً، كُنْتُ ولا زلت وفياً لك ولهذا العَقد.

كان الكونت آردين يُشير إلى الأوراق المُصَفَّرَةَ بيد كورفينا، ثم تابع قائلاً:

- وإن كان هنالك أي تقصير فهو من جهتكم.

احتقن وجهه مُقابل برود نظرات كورفينا ناحيته، فأخذ نفساً عميقاً قبل أن يهدأ ليقول:

- ألا تعتقدين بأن رسالة التحذير الأخيرة وصلت مُتأخراً بعض الشيء!... ما عساي أن أقول..

وبأسلوبٍ ساخر عبّر الكونت قائلاً:

- مُتأخراً أحد عشر عاماً.

رفعت كورفينا رأسها ونظرت إلى زخارف السقف، سرحت بها قليلاً ثم أجابت مُتصنعة الغباء:

- هل مرّ كل هذا الوقت؟

استدار الكونت آردين حول مكتبه، واقترّب من كورفينا بكل جرأة، وقف إلى جانب الموقد حتى شعر بحرارة اللهب تكاد تلتعج جانبه، ثم قال:

- ليدي كورفيناً، قد لا تعني الأحد عشر عاماً إلى بني جنسكم الكثير، وقد تبدو كومضة في حياتكم الطويلة، إلا أنها تصنع الفرق لدينا نحن البشر..

تهد الكونت بإحباط ثم أكل:

- لو أنني فقط علمت بأن الملك غطى على مجزرة إيستود بذلك الوقت، لكنا أضعفنا موقفه وخصوصاً أن المظاهرات في العاصمة كانت ضده وعندها.. و..

- وعندها ماذا؟ كونت آردين..

في هذا الوقت كانت إلينور في غرفتها برفقة صوفي، لا تملك أدنى فكرة عن هوية الضيفة الغريبة التي أتت لزيارة والدها الكونت دون موعد مسبق، تذكرت أنها رأتها في عدة مناسبات سابقة، دائماً ما تأتي تلك السيدة الجميلة لتنفرد بوالدها في مكتبه، وفي كل مرة تدخل والدتها في نوبة غضب عارم، ابتسمت إلينور لا شعورياً وهي تتخيل منظر والدتها الآن، فسألتها صوفي التي كانت تمشط لها شعرها:

- أكل شيء على ما يُرام؟ أنتِ هادئة على غير العادة.

استدارت إلينور ناحية صوفي وسحبته ناحيتها فجعلتها تشاركها الكرسي، سألتها وقد أصبحت عيناها في نفس المستوى:

- هل تعتقدين يا صوفي بأنه سينتهي بي الحال كوالدي؟

لم تفهم صوفي مغزى سؤال سيدتها الصغيرة، خفضت إلينور رأسها وقالت بشيء من التعاسة التي شابت صوتها الرقيق:

- أعني أن أصبح زوجةً لأحدهم، فقط لأن الجميع يريد ذلك.

أزاحت صوفي خصلة من شعر إلينور الفضي إلى خلف أذنها، ثم رفعت ذقنها قليلاً لتقول لها:

- لا عيب في الزواج يا إيلي، ربما زواج والدك ليس الأفضل،
إلا أن هنالك الكثير من الأمثلة الجيدة.

- أتقولين الحقيقة؟

كان صعباً على إيلينور أن تفهم شيئاً كهذا وخاصة أنها مُحاطة
بمجتمع يعتمد على الزيجات المدبرة، غير أنها رأت في عيني صوفي
جانبا آخر للقضية عندما أجابتها:

- نعم يا إيلي.. أنا أقول الحقيقة..

و بينما تكلم حديثها سرحت عينا صوفي بمنظر العقد الفضي
حول رقبة إيلينور:

- كان هنالك زوجان في القرية حيث نشأت، أحبا بعضهما
بطريقة ما تخيلتها، تخلياً عن كل شيء يملكانه، باعا الدنيا واشترى
كل منهما الآخر بكل بساطة.. حتى أثمر حبهما بعد ذلك بمكافئة
صغيرة ملأت لهما كل الفجوات العالقة من حياتهما السابقة..
توقفت صوفي بعد أن أصبحت الكلمات أثقل من أن تُفسي بها،
فسألها إيلينور:

- يبدو هذا جميلاً، وماذا حدث بعد ذلك؟

هزت صوفي رأسها لتجيب:

- للأسف يتوقف القصة هنا.

ولجأة غيرت صوفي من مجرى الحوار، نهضت من موقعها لتغلق
النافذة بعد أن اشتد الهواء في الخارج وهي تسأل:

- دعك من هذه الأمور الآن، أنتِ لم تُخبريني بتفاصيل
المنافسة اليوم.

أمسكت إيلينور بقلب العقد بيدها، تحسست نقوشه بأناملها ثم
قالت:

- لقد قابلته اليوم..

أشرق وجهها فجأة وهي تُضيف قائلة:

- هذه المرة تحدثت معه واكتشفت بأنه ليس بالشخص السيئ،
هه على الأقل ليس بالشكل الذي تصوره..

سحبت صوفي الستائر الحريرة التي تحركت للخارج حتى تغلق
الشباك وهي تسأل:

- عمن نتحدث الآن؟

ضمت إلي نور يديها معاً لتقول محرجة وقد احمرت وجنتاها:

- التنين الأعور.

ودون أن تنتبه لإجابة سيدتها، تحركت صوفي سريعاً إلى الشرفة
الخارجية بعد أن لفت انتباهها أمرٌ ما.

إنه موعد النوم لهذا كان المكان أكثر هدوءاً، الجميع في غرفهم
فيما عدا الكونت آردين مع ضيفته في غرفة المكتب، بينما كان
هناك خادم واحد في البهو الرئيسي ينتظر مغادرة الضيفة حتى
يُغلق البوابة الرئيسية، مكن هذا الوضع ليون وغيلبرت من التسلل
إلى القصر بنجاح، وجد الاثنین نفسيهما يسيران في رواقٍ طويل
وشبه معتم فأشار ليون لـ غيلبرت ناحية ممرٍ جانبي حتى يسلكانه.

مسد الكونت شاربه الطويل مُفكراً فيما قالته كورفينا، ثم
أجابها وكله ثقة:

- عندها كما سنستخدم ورقتنا الراجعة بكل تأكيد، فافائدة
الانتظار؟

- أهذا اعترافٌ منك؟

رفع الكونت يديه في الهواء كإشارة لها بأن لا يد له فيما تقوله:
- أقسم لك بأنني لم أتحدث لأي أحد، وأبناي لا يزالون سُدجاً

فيما عدا آرثر بالطبع، ولكن حتى هو لن أشاركه معلومة كملك...
ولكن..

أُنزل الكونت يديه وضيق جفنيه مُفكراً، كان حريصاً في تعامله مع كورفينا حتى لو كانت حليفته إلا أن هذا لا يُعطيه الأمان الكافي ليثق بها، فسأل بعد أن تمكّن من ربط بعض الخيوط ببعضها:

- هل لي أن أسأل من الذي أثار موضوع إيستوود؟ من اتهمك لأبناي يُمكنني أن أستنتج بأنه شخص قد احتك بهم مؤخراً...

انتظر الكونت بتوجس أي ردّة فعل قد تصدر من كورفينا، إلا أن انتظاره كان عقيماً، فأكل مُضيقاً:

- هل هو أحد المشاركين في منافسة الأميرة؟ هل هو..

وجأة رفعت كورفينا يدها بحركة منها لإسكاته، ثم انخرقت ببصرها ناحية الباب المغلق فاتسع بؤبؤا عينها وتلونت قرنيها باللون الأحمر القاني.

على الجهة الأخرى من الباب جمد الشابين في موضعيهما، أشار غيلبرت لليون بأنه لم يعد بإمكانه سماع أي شيء، وكان ليون سيشير إليه بالمقابل بأن كورفينا قد كشفتهما، إلا أن الأخير قام بسحب غيلبرت من غطاء رأسه بغتة وجعله يخني إلى الأمام دون سابق إنذار، في اللحظة التي ارتطم بها وجه صاحبه بالأرض قطع سيف معدني الهواء من فوقه، ولولا ردّة فعل ليون السريعة لكان رأس غيلبرت قط طار بغمضة عين، وبرشاقة فائقة وثب ليون إلى الخلف بينما يستلّ خنجره ليُلوح به بالهواء مُطفاً بذلك كل الشموع المتّقدة في الرواق، خيم الظلام على المكان وبرز من وسط العتمة ظلّ لأحدهم يأخذ وضعية الاستعداد لهجوم آخر، فتراجع ليون وسحب معه غيلبرت ليرمي به خلفه بينما راح هو ليوجه كلّ تركيزه على الظل أمامه حتى تحدثت صاحبة الظل لتسأل بنبرة حادة:

- من أنتم؟ وما الذي تفعلانه هنا؟

نهض غيلبرت من موضعه وهو يفرك أرنبة أنفه التي احمرت جرّاء ارتطام وجهه بالأرض، كان على استعداد لردّ اعتباره، إلا أن ليون أوقفه ولم يسمح له بتجاوزه، ليقول له بصوت خافت:

- إياك أن يتقدم أكثر، تلك الفتاة ليست لوحدها.

صاحت الفتاة بصوت أكثر حدة مُحاطبةً من كان يقف خلفها:

- لا تقتربي يا أنسي.

توقفت إلينور عن التقدم كما طلبت منها صوفي، فوجدت نفسها حائرة فيما عليها فعله، إنها المرة الأولى التي يقتحم بها أحدهم حدود القصر، لا تعرف إن كانت صوفي ستمكّن من ردع هذين الدخيلين لوحدها، أم أن عليها طلب المساعدة من أحدهم في الحال، في المقابل قال غيلبرت المتحمّس للقتال لليون:

- لا تقل لي بأنك متردد لأنها فتاة؟

نخرة ساخرة صدرت من فم ليون قبل أن يقوم بدفع غيلبرت بكل قوته جانباً، فطار الأخير ليصطدم بنافذة الرواق، تحطّم زجاجها بعد أن اخترقه جسد غيلبرت كما لو كان حجراً صغيراً، طار مع شظايا الزجاج في الهواء قبل أن يستقرّ على أرض الحديقة غاضباً، أما ليون فوثب إلى الخلف مُتفادياً بذلك هجوماً ثانياً من صوفي، اندفعت الفتاة ناحيته دون ذرّة خوف أو تردد، فهوت بسيفها عليه مرّة تلو الأخرى، هذه المرة لم يكن أمام ليون فرصة لتجنب هجومها، فصدّ سيفها بخنجره الصغير، واحتكّ النصلان المعدنيان ليتطاير الشرر مع انزلاق الحافتين، عندها سحب ليون خنجره جانباً بعد أن وجد منفذاً صغيراً، فوجّه لكمةً كانت في طريقها إلى وجه صوفي التي تفادتها برشاقة، فأوقعت سيفها من أجل إمساك ذراع ليون بنية سحبه ناحيتها ورميه إلى الخلف، إلا أنه كان أكثر قوة ممّا تصوّرت، وبدل أن تلقى به أرضاً دفعها ليون وهوى فوقها فثبتها في موضعها، تقابل وجهاهما في العتمة،

وأحس كل واحد منهما بأنفاس الآخر، أرادت صوفي أن تُحرر نفسها من قبضته، لكن إحساس المعدن البارد فوق رقبتها جعلها تتريث قليلاً، بُتَّ ليون نصل خنجره على رقبتها دون أن يחדشها، ولثوانٍ قليلة هداً المكان، استغلَّ ليون هذه الثواني ليلتقط أنفاسه، فشدهُ بريق عيني الفتاة، لم تكن الظلمة عائقاً كبيراً في طريقه لهذا تمكَّن من رؤية تلك العزيمة الحديدية، نظرات عدم الاستسلام ما تزال هناك، هذه الفتاة لن ترضى بالخسارة كنتيجة نهائية، لهذا قفز مُبتعداً عنها واتجه ناحية النافذة المحطَّمة، وقف على إطارها وأخذ نظرةً أخيرة للفتاة وهي تهْمُّ بالنهوض من على الأرض، تصرخ به كأنها حيوان ناثر:

- توقَّف عندك.

تصاعدت أنفاس صوفي وهي تتحسس الأرض لتبحث عن سيفها في العتمة، بينما هدفها يقف هناك مُحاطاً بوهج السماء الأرجوانية كما لو كان يهزأ بها، وفي اللحظة التي عثرت بها على سيفها كان ليون قد اختفى من أمامها، اختفى الظل من النافذة ليحل محله ظل إلي نور التي ارتمت ناحيتها لتضمها إليها بقوة وهي تقول:

- هل أنتِ بخير؟

استسلمت صوفي وزال غضبها، فضمت إلي نور ناحيتها لتطمئنها:

- لا تقلقي.. أنا بخير، فلقد زال الخطر.

في منتصف الطريق إلى قصر ستوك التزم غيلبرت الصمت كونه كان غاضباً من طريقة ليون في تولي الوضع، تجاهله عن قصد وهو عاقِدُ الحاجبيه، بينما حاول ليون أن يمازحه قائلاً:

- يُمكن أن نعيّر لآلاف السنين، إنها مدة طويلة لتجاهلي.

ضرب ليون برجليه على جانبي الجواد فسرَّع من خطواته وأصبح بجانب جواد غيلبرت، عندها نادى عليه ليون:

- غيلبرت.. غيلبرت.

إلا أن صاحبه كان أكثر عناداً من المعتاد، وسار بملاح مُكفَّرة دون أن يلتفت ناحيته، لهذا تجاوزه ليون قائلاً:

- حسناً هذا يعني بأنك لا ترغب بأن تعرف لمن كان ذلك القصر.

عادت ملاح غيلبرت إلى طبيعتها ولحق به ليون كاسراً حاجز الصمت الذي لم يدم لأكثر من دقائق معدودة:

- مهلاً.. هل عرفت من هم أصحاب المكان؟

عندها أجاب ليون:

- ألم تنتبه إلى الفتاة التي كانت تقف عند نهاية الرواق؟

فكر غيلبرت قليلاً ثم قال:

- أعتقد بأنني قد رأيتها في مكان ما.

زالت ابتسامة ليون وهو يُجيب:

- إنها الفتاة التي هزمتني في الاختبار الأول، صاحبة الشعر

الفضي.

تدلى فكُّ غيلبرت وهو يستمع إلى ما يقوله صاحبه، فسأل:

- هل أنت متأكد بأنها هي؟

أوماً ليون برأسه إيجاباً ثم قال:

- لا يمكن أن أخطئها.

رداً عليه غيلبرت وهو يحكُّ أرنبة أنفه التي لا تزال مُحمرّة من

ارتطام وجهه بالأرض:

- كان هذا جنونياً، تصور مقدار المشاكل التي كُتِّبَ سنقع بها لو

أنها تعرفت علينا.

ضحك ليون ليُجيبه:

- عليك أن تبدأ بالقلق مما ستفعله والدتك لحظة وصولنا إلى قصر ستوكر.

بدأ غيلبرت بالنواح وهو يندب حظه الذي جعله يعلق مع ليون منذ البداية، إلا أن مزاجه تبدل بعد أن تذكر حديث والدته مع ذلك الكونت، فقال مُتسائلاً:

- لقد أتو على ذكر قرية إيستوودا أليست تلك هي قريرتك؟

سحب ليون اللجام ليتوقف جواده، عندها قال:

- أيمكننا أن نمرّج على مكان ما قبل أن نعود؟

ومن دون تفكير زائد، أجابه صاحبه:

- بالتأكيد، سأوافق على أي شيء من شأنه أن يؤخر المواجهة مع والدتي.

في أحد مساكن الأحياء الفقيرة، حيث استأجر جاك وماغي غرفة صغيرة بنزل قديم، رمى جاك بجسده على السرير وكاد أن يحطمه من ثقل وزنه، استلقى الشاب على ظهره مُسنداً رأسه بذراعيه، وراح يتأمل النافذة في سقف المكان ليقول:

- لن تزيد النقود بعدك لها كل يوم.

أحكمت ماغي إغلاق صرة النقود ورمتها جانباً وهي تقول:

- أنا فقط أحسب كم تبقى لدينا.

استدار جاك على أحد جانبيه ليُقابل ماغي بوجه بشوش:

- كفّاك قلقاً، سنحقق نصراً ساحقاً في الغد ولن نقلق بهذا الشأن مجدداً.

أصبحت ماغي أكثر جدية بعد أن تذكرت لحظة إعلان النتائج لتقول:

- لا أرغب بأن أبدو مُتسائمة، لكن اسمعني يا جاك، إن حدث

وفاز أحدنا عندها عليه أن يكمل عملية البحث عن صوفي لوحده.
انتصب جاك ليعتدل بجلسته فوق السرير، ثم سأل:

- وماذا عن الخاسر؟

- الخاسر سيعود لينضم إلى البقية، لا تنس بأن الخطر يترصد بهم أيضاً.

خفض جاك رأسه أرضاً بعد أن تذكر ما كان يحاول جاهداً نسيانه، فغفل عن الظلّين الذين برزا من خلال النافذة العلوية.

جلس ليون على إحدى ركبتيه بجانب النافذة العلوية للنزل، فاقرب غيلبرت بعد أن شده الفضول، أطلّ الشاب برأسه فحصل على رؤية أوضح لـ ماغي وجاك، ثم ابتعد قليلاً ليسأل ليون:

- أليس هذين الاثنين من ضمن المشاركين في الاختبار؟

أوماً ليون برأسه دون أن يحيد ببصره عن رفيقه في الأسفل، ثم قال:

- إنهما من إيستوود، لا أملك فكرة كيف تمكنا من النجاة، إلا أنني ممتن لأنهما بخير، أحضرتك إلى هنا لأنني أردتك أن تعلم بأنني سأفعل المستحيل لحمايتهما.

ثم ابتعد ليون عن النافذة وجلس على حافة قرميد السقف، نظر إلى الأفق البعيد ثم نادى على صاحبه:

- غيلبرت..

تحركت الغيوم بفعل الرياح فحجبت الضوء الشحيح المتبقي من شمس اليوم الأخير خلفهما، عندها فتح ليون فمه ليقول:

- لطالما اعتقدت بأن والدتك لا تهاب أي شيء في هذا الكون..

ثم ضيق جفن عينه اليمنى مضيئاً:

- إلا أنني رأيت الخوف في عينيها مؤخراً.. لم أجد تفسيراً لتلك

النظرة إلا قبل وقت قريب...

لمعت عين ليون وهو يهمس باسم قريته:

- إاستود..

تحرك غيلبرت على أطرافه الأربعة على مهل خشية الوقوع إلى أن أصبح بجانب ليون، ثم جلس مُقاوماً نسيمات الهواء الباردة ليقول:
- أنا لا أفهم كلمة مما تقوله.

شئت ابتسامة باهتة طرف فك ليون عندما قال:

- هل أخبرك بسر لا يعلمه الكثيرون...

تحركت الغيوم مجدداً وتحرك معها فم ليون مُلقياً بسرهِ كهمسات حملها الهواء ليتمزجا معاً ككتلة واحدة، ومن بعيد تلاحقت أصوات الأجراس لتعلن نهاية يوم وبداية يوم جديد، وأي يوم كان، إنه النهار الأخير للأيام المشرقة، طفى صوت الأجراس على صوت ليون إلا أن هذا لم يمنع وصوله إلى صاحبه، اتسعت عينا غيلبرت لشدة دهشته، فاختنق بتلك الهمسات حتى كاد أن يشعر بتوقف أنفاسه، أي ردّ يملكه الآن على ما قيل له، لهذا التزم الصمت ولم يبادر بقول أي شيء إلا بعد أن سأله ليون:
- أحتاج لمعرفة رأيك، أأست من طلب مني إخبارك بكل شيء..

ضحك غيلبرت وهو يرمي بجسده على السقف، استلقى على ظهره ليزفر مطولاً، ثم قال وقد زالت ابتسامته:

- أخبرني يا ليون.. هل والدتي على علم بهذا الأمر؟

سرح ليون قليلاً بمنظر الأجراس المتأرجحة البعيدة قبل أن يجيب:

- نعم..

ثم حوّل ليون بصره ناحية غيلبرت ليقول مُضيفاً:

- عليك أن تعلم بأنني لن أسامحها يا غيلبرت..

- هل ترغب بالقضاء عليها؟

أوماً ليون برأسه إيجاباً، ثم قال:

- نعم، لكن لا يُمكنني فعلها من دون مساعدتك.

تنهد غيلبرت بطريقة درامية مُخرجاً بذلك كل الهواء المُمتزج بإحباطه خارج صدره:

- آاه.. ثمن صداقتك باهظٌ جداً يا صاحبي.

ابتسم ليون بتعاسة ليقول:

- أهو كذلك؟

- ومع هذا..

ثم اعتدل غيلبرت وقد أشرق وجهه بابتسامة مُبهجة، ليقول وهو يرفع قبضته ناحية ليون:

- ومع هذا لستُ ممن يُخلفون بوعودهم، أنا معك حتى النهاية.

علقت قبضة غيلبرت في الهواء ترتقب الرد، ولم تنتظر طويلاً حتى عانقتها قبضة ليون في الطرف المُقابل، وهكذا تجدد العهد بين الصديقين، فوق القرميد الأحمر، مُحاطين بضجيج الأجراس، وتحت سماء هيسبيروس الأرجوانية.

جرس الساعة:

بسبب غياب الشمس أو حضورها لمدة ستّة أشهر متتالية يُصبح من الصعب على سكان المملكة تحديد الأيام والتفريق بينها، لهذا تُقرع الأجراس يومياً في تمام الساعة الرابعة والعشرين للتبليغ على انقضاء اليوم وحلول يوم جديد.



الفصل 6 : الرهان.

الفصل السادس: الرهان

ارتدى الكونت رايmond معطفه أمام المرأة، وهندم ملابسه جيداً استعداداً للذهاب برفقة أخيه كيث إلى منافسات اليوم، وقبل أن ينتهي بلحظات ضربت الخادمة على الباب لتعلمه بقدوم ضيف ما لرؤيته، فأخبرها بأنه سينزل لاستقباله في الحال، أخذ رايmond نظرة أخيرة على هيئته في المرأة فتشكل له خيال زوجته الراحلة وهي تقف بجواره، مدت كارولين يدها لتعدل له ياقته إلا أنها تلاشت كسراب الصحراء في اللحظة التي قرر أن يلبسها، فتابع رايmond ما كان يفعله، عدل ياقته سريعاً وغادر الغرفة، توجه إلى المكتبة حيث يستقبل زواره في العادة، أمسك بمقبضي الباب ليصل إلى مسمعه صوت أخيه كيث مع الضيف فابتسم لا شعورياً وهو يدفع بدرفتي الباب مرحباً باسمه:

- يوجين.

اتسعت ابتسامة يوجين قبل أن يسرق عناقاً طويلاً من صاحبه رايmond، فراجع كيث ليقول:

- سأترككما الآن وأذهب لألحق بالأولاد، أراكما هناك.

أوماً له رايmond موافقاً كونه كان يرغب بالاختلاء بـ يوجين على أي حال، بعد أن غادر كيث جلس الاثنان بجانب الموقد المشتعل، تحدث يوجين عن مغامراته الصغيرة على الحدود ومدى تأثيرها على الوضع السياسي للمملكة، واستمع له رايmond بصبر دون أن يقاطعه، حتى توقف يوجين من تلقاء نفسه، نظر إلى الباب ثم مسح المكتبة ببصره معلقاً:

- المكان أكثر هدوءاً الآن، كان صوت لعبهم يملأ هذا القصر في السابق.

ضحكة ساخرة أفلتت من فم رايmond وهو يشير إلى الباب مضيفاً على قول صاحبه:

- ما كنا لنحظى بأكثر من خمس دقائق قبل أن يفتح الباب

ليدخل أحدهم هارباً من البقية، يطلب اللجوء السياسي.

أكل يوجين باسمًا وهو يستحضر بعض الذكريات:

- وأنا كنت أقبل بهم دون قيدٍ أو شرط، حتى تدخل كارولين بالطبع.

ضحك الاثنان على تلك الذكريات، وملأت أصواتهما القصر الفارغ، فارتدَّ صداها كثيباً إليهما، عندها توقف يوجين ليسأل تاركاً المزاح خلفه:

- هل أنت نادمٌ على ما جرى؟... أنا أعني كارولين.

صمت رايmond ونهض هارباً من نظرات يوجين، سار بمحاذاة أرفف المكتبة ليقول:

- لستُ نادمًا على أي شيء... والآن أخبرني أهناك أي تقدم؟

رَبَّع يوجين ذراعيه وسرح في مجسم الأرض الخشبي بجانبه، تبعت عيناه سلسلة جبال سيدرو البارزة في أعلى الشمال، ثم أجاب:

- لا شيء حتى الآن، وجدت بعض الأوكار الفارغة، لكن لا أثريقود لابن ألكساندر.

أغمض الكونت رايmond عينيه مُستحضرًا ذلك اليوم، يُمكنه رؤية وجه الصبي بعينه الزرقاوين ينظر إليه بطريقة يعجز عن تفسيرها، وأثر العضة على رقبته واضح كوضوح شمس منتصف الأيام المشرقة، ففتح الكونت عينيه ليقول:

- لا أريد أن أكون مُشائمًا يا يوجين، لكن مخلوقة الليل التي صادفتها وكارولين...

بحث رايmond عن الكلمات المناسبة، والخوف قد رسم معالمه الحادة على وجهه سلفًا:

- كانت نقيّة يا يوجين، أتعلم ما الذي يعنيه هذا؟

لم يرغب يوجين بأن يذهب بعيداً لذلك الاحتمال، إلا أنه ومن خلال مواجهاته في السنوات الأخيرة بات يعلم مدى خطورة كلام رايموند، كان هو الآخر في صراع داخلي أكبر من أن يفصح به لأي أحد، لهذا قال:

- إن وقع هذا الاحتمال، فسأقتله بنفسى يا رايموند.. سأفعلها بيديّ هاتين من أجل روح ألكساندر.

جموع غفيرة ملأت المدرجات، فهذا هو اليوم الذي سيتقرر به من سينضم إلى صفوف أكاديمية الفرسان، تدافع الناس للحصول على رؤية أفضل، بينما امتلأت المنصة الرئيسية بعد وصول الملك وحاشيته، وفي منتصف الساحة اصطفت المتأهلون دون أن تكون لديهم أدنى فكرة عن الاختبار الأخير، أي مفاجأة تُخفيها الأميرة هيلينا لهم اليوم؟ مسح الصبي جو المكان من حوله يتأمل المثني مُشارك، كم كان محظوظاً بفوزه ووصوله إلى هذه المرحلة، فهل سيحالفه الحظ مجدداً اليوم؟

في أعلى المنصة حضر جميع الأساتذة بمن فيهم يوجين الذي وصل لتوه واتخذ من المقعد الفارغ بجانب الأميرة مجلساً له، وضع ساقاً فوق الأخرى مُلقياً بذلك بكل البرتوكولات من خارج النافذة، فحده ريس بطرف عينيه إلا أنه لم يجرؤ على التدخل بعد أن شاهد حماسة هيلينا وهي تتبادل أطراف الحديث مع يوجين:

- أخبرني الحراس بأنهم لم يتعرفوا عليك بالأمس.

ابتسم يوجين وهو يفرك ذقنه التي حلقها اليوم ليقول:

- اعتقدت بأن اللحية الكثيفة ستجعلني أكثر وسامة، إلا أنني اكتشفت بأنني قد أقتل بسببها.

تلميحه كان موجهاً ل هيلينا يُنبئها بعدم كفاءة حرسهم على حدود العاصمة، فأتاه الرد من الأميرة:

- ولم باعتقادك نحن هنا الآن يا يوجين؟... لإيجاد حلٍ بالطبع.

على الجانب الآخر من المدرجات حضر جميع أهالي المُسابقين، فرفعت ميا رأسها وبحث بعينها بين الجموع الغفيرة، كانت قد انتبهت لوجود جيرمي في مكانه المعتاد معه جاسبر، إلا أنها تخطّتهما وبحث عن وجه الرجل، شعرت برهبةٍ وغصةٍ في حلقها عندما لم تلتقطه عيناها في المكان الذي اتفقا عليه، إلا أنه وبعد ثوانٍ قليلةٍ من البحث، برز لها بجسمه الضخم يقف بين الحضور وهو يحمل الصغيرة ميمي بين ذراعيه، لوحث له على استحياء وقد ارتاح فؤادها الآن، وبجانب ميا كانت هناك إلينور مع أخويها والتر وبيتر الذين وصلوا متأخرين بسبب حادثة الأمس، ومن بين المتأهلين أيضًا برز ريفن الذي انحنى تحية لوالده الذي هلت الجماهير باسمه فبادلهم الابتسامة مع انحناء بسيطة استغلها ليأخذ نظرة سريعة على المتسابقين المتأهلين، كما لفت انتباهه بناءان على جانبي الساحة، أحدهما في الشرق، والآخر بأقصى الغرب، حجمهما وارتفاعهما لا يتعدى مساحة كوخ صغير، أما التصميم فكان شبيهًا إلى حد كبير بالحصن أو القلعة الصغير، رُفِعَ فوق كل منهما راية بلون مختلف، كما كان هنالك برجان يقعان في المنتصف تقريبًا، فابتسم جانب فك فارس إيستاليا بعد أن عرف خوى الاختبار الأخير، إنها معركة، والبقاء فيها هو للأقوى من دون شك.

في أعلى المنصة عقد يوجين حاجبيه وهو ينظر إلى أوراق قوائم الاختبار التي وضعتها هيلينا، ثم قال مُعلقًا:

- لقد أضعتني.. ما معنى هذا؟

اقرب بقية الأساتذة لإلقاء نظرة بينما ابتسمت هيلينا بطريقة مأكرة وهي تجهز لإلقاء كلمتها، تقدّمت ناحية الحاجز لتُخاطب المُسابقين، شكرت لهم حضورهم طوال فترة المُنافسة، ثم بدأت بشرح الاختبار الأخير:

- سيتم تقسيم المتسابقين إلى مجموعات لا تتعدى عشرة أشخاص،

الاختبار بكل بساطة هو معركة بين مجموعتين، والمجموعة الفائزة هي من تتمكّن من الإمساك براية الفريق المنافس ورفعها عاليًا في الهواء، سيُسمح باستخدام كل الأسلحة الخشبية التي تمّ استعمالها في المنافسات الفردية فيما عدا البنادق بالطبع، أما السهام فسيتم تأمين رؤوسها..

أشارت الأميرة إلى اللوح الخشبي، ثم قالت:

- تم تقرير أسماء المتسابقين في كل مجموعة، كما تم توزيع المنافسات سلفًا، اطلعوا عليها سريعًا، فالمعركة الأولى ستبدأ بعد عشرين دقيقة من الآن.

مهلة العشرين دقيقة جعلت المتسابقين يجرون متدافعين ناحية اللوح الخشبي، كانت إلينور هي أول الواصلين، وقفت أمام اللوح وراحت تبحث عن اسمها هناك، وصل بعدها أوليفر، بحث سريعًا عن اسمه وما إن وجده حتى ابتسم ابتسامة المنتصر فأدار رأسه ناحية ريفن ليخاطبه مُمازحًا إياه:

- رغبت بأن يتقابل وجهًا لوجه، فانتهى بنا الحال بنفس الفريق.

كانت عينا ريفن لا تزالان على اللوح عندما أجاب أوليفر:

- يبدو بأنك سعيد رغم أنك ستتنافس ضد أحد إخوتك.

ضحك أوليفر بطريقة ساخرة ثم قال:

- لهذا تحديدًا تغمرني السعادة.

ابتعد ريفن عن اللوح بعد أن تأكد من أسماء فريقه، ثم سأل أوليفر:

- بالمناسبة، أين هما أخوتك؟

- لا تقلق سيحضران، كل ما في الأمر أنهما أغضبا السي.. أعني والدتنا لسبب ما.

لم يهتم ريفن كثيرًا للأمر وغير مجرى الحديث قائلاً:

- علينا أن نسرع لنجتمع مع أفراد الفريق، يجب أن نضع خطة
ما.

ضحك أوليفر وهو يسير جنباً إلى جنب مع ريفن ليقول ساخراً:
- هه.. لا أعتقد بأننا سنحتاج واحدة.

عند اللوح لم يتمكن جو من الحراك، عاد ليقراً القائمة مُجدداً
وقد تمكن الخوف منه، علق بدوامة أفكاره حتى سمع إحدى
المتسابقات تُخاطبه قائلة:

- مهما أعدت قراءة القائمة فلن يُغير.

أدار الصبي رأسه فرأى تلك الفتاة السمراء تنظر إليه، رفعت
ذراعها وأشارت إلى القائمة مُعتمدةً على قراءة أرقام المتسابقين
لتسأله:

- أنت مِمي في نفس الفريق، أليس كذلك؟

- نعم، اسمي جو، وأنتِ؟

أزلت مِمي ذراعها لتُجيبه:

- مِمي.. من معنا أيضاً في الفريق؟

ومن خلف مِمي ظهرت روز، التي اندفعت باهتياج ناحية جو،
شدته من ياقته وهي تقول بغضب:

- لمَ نحن بنفس الفريق؟

سعل جو مُحْتَنَقاً وهو يُحاول الإفلات من قبضتها:

- وما أدراني.

أفلته روز لتقول مُعترضة على تلك القائمة:

- ما هذه المهزلة؟

صحيح أن نزالهم سيكون الأخير وهذا من شأنه أن يعطيهم
الوقت الكافي لوضع استراتيجية مناسبة، إلا أن فريقهم ضم كل

من جو، روز، ميا، ماغي، دونالد، إلينور وليون، هذا الفريق سيكون في مواجهة منافس قوي يضم مُشاركين أثبتوا جدارتهم في القسم الأول من المنافسة وهم ريفن، أوليفر، بيتر، والتر، جاك، لويس، روي وغيلبرت، أي أن فرصة فوزهم شبه معدومة، لم تكن هذه المباراة هي الوحيدة على هذه الشاكلة، حيث أن الأميرة كانت قد حرصت على توزيع بقية الأفرقة بتلك الطريقة، جمعت أبناء الليل مع الفتيات والمتسابقين الذين اجتازوا المنافسات بصعوبة معاً، ووضعتهم في مواجهة بدت غير عادلة مع بقية المتسابقين الأشداء.

في إحدى غرف الاستراحات الموزعة داخل البناء اجتمع فريق ريفن من دون غيلبرت الذي لم يظهر حتى الآن، وقف الجميع في دائرة وقدم كل واحد منهم نفسه إلى بقية أعضاء الفريق، ثم تحدث ريفن وكأنه قد قرر تنصيب نفسه كقائد للفريق ليُخاطبهم:

- حتى من دون غيلبرت نحن نفوقهم عدداً وقوة، إلا أنني أخشى من أمر واحد.

تبادل أعضاء الفريق النظرات فيما بينهم غير مدركين معنى حديث ريفن، فأكل الشاب ليُضيف قائلاً:

- هيلينا لم تكن عشوائيةً في اختيارها لأعضاء الفرق المتنافسة..

صمت الشاب وهو ينتقل ببصره بين الوجوه حوله ثم قال:

- باستثنائي، كل واحد منكم لديه قريب في الفريق المنافس، هل عليّ أن أقلق بهذا الشأن؟

ابتلع جاك لعبه وهو يفكر فيما قالته ماغي البارحة، إن كان على أحدهما الفوز ومواصلة البحث عن صوفي، فن هو من بينهما؟ بجانبه أخذ بيتر يقضم أضافره وهو يفكر في أخته إلينور وما الذي تعنيه هذه المنافسة بالنسبة لها، ومقابله زفر لويس لينظر إلى أخيه روي ويقول مخاطباً ريفن:

- صحيح أن جو هو أخونا الأصغر، إلا أنني لن أتساهل معه، هو لا ينتمي لهذا المكان، ووصوله إلى هذه المرحلة كان مجرد حظ لا أكثر من ذلك، وروز فتاة فلا مكان لها بيننا.

أوماً روي برأسه موافقاً ما قاله أخوه الأكبر، ثم ضحك أوليفر ليدي بدلوه هو الآخر:

- وأنا كنت أمتظر اليوم الذي سأواجه به مع ليون.

وضع والتر يده على كتف أخيه الأصغر بيتر بعد أن لاحظ تردده ليقول مخاطباً الجميع:

- نحن أيضاً لن نتساهل مع إيلي، هذا مكان لا يصلح للفتيات كما قال لويس.

صفع جاك خديه بقوة ليقول بعد أن اتخذ قراره:

- لنفعلها ونفرض بهذا التحدي.

وعلى رأس الدائرة ابتسم ريفن كأن به يرى النصر قد تجلّى أمامه، ثم قال:

- إذا دعونا نضع خطةً نضمن من خلالها نصراً ساحقاً.

ليس بعيداً من تلك الغرفة اجتمع الفريق المنافس، بمعنويات منخفضة وروح قتالية شبه معدومة، صرخت روز بإحباط وركلت حجراً صغيراً كان على الأرض فطار واصطدم بالجدار بجانب ميا، فانزعجت الأخيرة وراحت لتمسك روز من ياقبتها، حاول جو فك الخلاف بينهما قبل أن يتطور، إلا أن الفتاتين لم تُلْقيا بالآ له، فعَلَقَت ماغي التي اقترشت الأرض بغير اكتراث:

- لنسحب بكرامة، هذا أفضل للجميع.

فقال دونالد بوجه محبط وكأن به يوافق ما قالته ماغي:

- كم هذا مؤسف، كُنت بشوق إلى مواجهه جيكوب من جديد، لكن ما باليد حيلة.

ثم ابتسم وهو يمسح على كرشه الكبير:

- أنا جائع هل سيقدمون لنا وجبة ما قبل المغادرة؟

ضرب جو على وجهه وهو ينظر إلى أعضاء الا فريق من حوله، ثم شده شخص لم يقل شيئاً منذ أن اجتمعوا، كانت إلينور تنظر بصمت ناحية باب غرفة الاستراحة، وعيناها الخضراوان تسرحان في الفراغ بصمت، فدنا ناحيتها ليسأل:

- ما الذي تمظرن إليه؟

استطاع جو أن يرصد ابتسامة خفيفة على شفتي الفتاة عندما أجابته دون أن تحيد ببصرها عن الباب:

- التنين الأعور سيأتي بأي لحظة الآن.

ولجأة صدر صوت معدتها مُزجراً كزئير الأسود، فأصبحت معالم وجهها أكثر جدية لتقول:

- أنا جائعة..

أدارت الفتاة رأسها لتخاطب دونالد:

- هل ترغب بأن نذهب لنحضر بعض الطعام؟

وكان بصوت عقارب الساعة وقد أصبح أكثر حدة في البهو الرئيسي بقصر ستوكر، حتى بلغ مداه إلى مسامع كل الموجودين في غرفة كورفينا، حاد غيلبرت ببصره ناحية الشمعدان حيث تكاد الشموع التي يحملها أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، ثم عاد لينظر إلى ظل كورفينا على السجاد دون أن يملك الجرأة ليرفع رأسه ويرى وجهها، تساءل الشاب إن كان سكوتها هذا يدل على مقدار غضبها أم حِلْمها، ولجأة نادى باسمه فرفع رأسه فزعاً، عندها قالت له بصوت هادئ:

- يمكنك الذهاب.

- حقًا

قالها وقد تمكنت المفاجأة منه، كان سيُسِير إلى ليون بجانبه، إلا أن تغير لون عيني كورفينا جعله يلغي الفكرة، فانحنى لها وتراجع إلى الخلف، أغلق غيلبرت الباب من خلفه بارتباك عندها سمع صوت الكونت رومان يُخاطبه قائلاً:

- اذهب والحق بأوليفر، وإلا ستفوتك المنافسة.

- لكن..

أمال الكونت رأسه وحدّق في باب غرفة كورفينا قائلاً:

- متى ستتعلم درسك يا غيلبرت؟

في داخل الغرفة تحركت كورفينا ناحية الطاولة الجانبية، أطفأت أصغر الشموع وأزالها من الشمعدان، ثم التقطت شمعة جديدة من الصندوق بجانبها لتقول:

- ما بالك تنفّ واجماً هكذا؟

ودون تردد قال لها:

- ألا تشعرين بالفضول عن مقدار ما سمعته من حديثك مع ذلك الكونت.

أشعلت كورفينا الشمعة الجديدة ووضعتها في مكان الأخرى لتجيبه:

- لا يهمني حتى لو سمعت الحديث كاملاً..

ثم التقطت كأساً فارغة من الصينية لتكمل:

- هذا لن يغير شيئاً...

أدارت كورفينا رأسها ونظرت إليه لتُخرج سكينها الصغير من بين طيات ملابسها لتكمل قائلة:

- فما زلت أنا سيدتك، وأنت تابعي شئت أم أيت.

ثم أحكمت قبضتها على نصل السكين، ومررتها حتى جرحت

باطن كف يدها، انسابت دمائها الشخينة في الكأس الفارغة،
وبعد أن ملأته عن آخره التقطته كورفينا واقتربت ناحية ليون
لتقول:

- اشرب هذه.

وضعت الكأس بين يديه وأضافت قائلة:

- أعلم بأنك ترفض استخدام أنيابك لهذا سأسهل الأمر عليك.
عكس سطح الدماء الحمراء في الكأس وجه ليون فيها قبل أن
يتعكر لارتجاف يديه الذي تزامن مع النبض الحاد لعينه اليسرى.

قريباً من ميناء العاصمة حُمِلت الشحنات الأخيرة والتي وضعت
في مخازن الميناء على عربات نقل البضائع، صندوقاً تلو الآخر
حتى فُرِغت المخازن بالكامل، دفع العمال بالصندوق الأخير
باستخدام رافعة بذراع حديدية بسبب ثقله، كان بول وايمان
هناك، يراقب دون تدخل وهو يجلس في عربته الخاصة على بعد
كاف، وبعد تثبيت الصندوق الأخير ضرب بول على جدار العربة
من الداخل فحَرَكَ السائق لجام الخيول وهو يسأل سيده:

- إلى أين يا سيدي؟

مسح بول ذقنه وقال مجيباً:

- إلى مضمار المنافسة، لنرى ما الذي يشغل فكر الجميع هذه
الأيام.

دون أي رغبة لديه بالذهاب لوحده، وضع غيلبرت السرج على
جواده الأسود داخل الإسطبل بتكاسل، مسح على عنقه وهو
يُطعمه حفنةً من التبن الجاف ليقول له:

- ما رأيك يا شادو، هل نذهب إلى الاختبار كما طلب مني
والدي أو..

- اعتقدت بأنك ستكون بمتصف الطريق الآن.

سقط التبن من يد غيلبرت بعد أن أجفله رؤيته لـ ليون يقف هناك عند باب الإسطبل، فاندفع غيلبرت ناحية ليون ليطبق على رقبته وكأنه يُحاول خنقه:

- أيها المجنون.. هذه نتيجة أفكارك المتهورة، اعتقدت بأننا سنقضي حثنا اليوم.

ضحك ليون وهو يُحاول تخليص نفسه من قبضة صاحبه:

- هه لا تبالغ.

عادت إلينور يرفقها دونالد وهما يحملان ما لذ وطاب من المأكولات المختلفة، وضع الاثنان كل شيء على الطاولة في منتصف غرفة الاستراحة، ثم جلست إلينور لتبدأ بالأكل وهي تقول مخاطبة الجميع:

- سيأتي دورنا سريعاً...

ثم قضمت قطعة الخبز دون أن تفسر لهم شيئاً، فاندفعت روز ناحيتها لتسأل بعد أن تتمكن منها الفضول:

- ما الذي تعنيه بأن دورنا سيأتي سريعاً؟

أجاب دونالد عوضاً عنها بعد أن انتبه إلى فهم الذي امتلأ بالطعام:

- المباراة الأولى انتهت في غضون خمس دقائق.. لقد تم سحقهم في وقت قياسي..

اقرب جو ناحيتهما ليسأل بتوتر:

- هذا يعني أن المباراة الثانية قد بدأت.

ضربت إلينور صدرها بقبضة يدها وهي تحاول إزال لقمة الطعام العالقة، فابتلعها أخيراً لتُجيب:

- المباراة الثانية لم تحدث، فقد قام الفريق الأضعف

بالانسحاب بالكامل.

سألت ميا بعد أن شدّها استخدام إلينور لمصطلح الفريق الأضعف:

- الفريق الأضعف؟

أشارت إلينور بيدها إلى كل أفراد فريقها حتى توقف إصبعها عندها لتقول:

- تشكيلهم يشبه تشكيلنا تمامًا.

نظر دونالد إلى ميا بإمعان ليقول مُسرّاً:

- معظمهم من الفتيات وأبناء القمر..

ثم أنزل رأسه لينظر إلى كرشه المنتفخ مُضيفاً:

- أو من الفاشلين.

جلست ماغي بجانب إلينور والتقطت قطعة من الخبز لتقضم منها وهي تقول بغير اكتراث:

- هذا يحسم الأمر، سنخسر لا محالة، لهذا سأملأ معدتي قبل المغادرة.

استمع الصغير جو إليهم وكاد شعور الهزيمة أن يُسيطر عليه هو الآخر، إلا أن حديث إخوته قد عاد إليه، سيشمتون به لو أنه انسحب دون قتال، فقال مخاطباً الجميع بعد تفكير بسيط:

- ربما تكون لدي خطة..

أدار أعضاء الفريق رؤوسهم ناحيته مُنتظرين منه أن يكمل، ففعل الصبي وقال:

- لا أقول بأننا سنفوز، لكن على الأقل لن نجعل فوزهم سهلاً.

كان ليون وغيلبرت قد وصلا إلى العاصمة، وبان لهما بناء المنافسة من بعيد، ظلّ غيلبرت يُثرثر دون توقف طوال الطريق



حتى انتبه إلى تخلف جواد ليون عنه فأوقف جواده وأدار رأسه، عندها انتبه إلى شحوب ليون، كما لاحظ بأنه يضع يده اليسرى على عصبه عينه وهو يضغط عليها، فعاد غيلبرت حتى أصبح بقربه وسأله فزعاً:

- ما الذي حدث؟ لا تبدو بحال جيدة.

وبأنفاس شبه منقطعة أجاب ليون:

- لا بأس، أحتاج فقط لبعض الوقت.

لم يأخذ الأمر من غيلبرت تفكيراً مطولاً حتى يدرك ما حدث، فأزاح ياقة ليون ليظهر له أثرٌ حديث لأنياب كورفينا، عندها صرخ غاضباً:

- كان عليّ أن أعلم بأنها لن تتركك تذهب هكذا.

أجابه ليون ساخراً وهو يخفي الأثر بياقته الطويلة:

- عليّ أن أعترف بأنها كانت مُتساهلة جداً.

ودون تفكير رفع غيلبرت كُرَّ قيصه ليكشف عن ساعده:

- كفّ عن المزاح في وضع كهذا..

ثم مدّ ذراعه ناحية ليون:

- خذ بقدر ما تشاء، المهم أن تستعيد طاقتك.

ازداد النبض في عينه اليسرى فبات كقرع للطبول، وتزامن مع سماعه لصوت جريان دماء غيلبرت في عروقه، صوت عذب كعذوبة ماء الغدير الجاري، شعر ليون بأن كل خليه في جسمه تناشده لارتشاف تلك الدماء، غير أنه دفع بذراع غيلبرت جانباً ليقول بصوت منهك:

- لا تعرض عليّ ما رفضته من والدتك، هذا يزيد من غيائي.

- لا يمكنك خوض المنافسة وأنت منهك هكذا.

أزاح ليون يده من على عينه مكبراً على ألمه، أخذ شهيقاً عميقاً

ليزفر بعد ذلك، ثم رمق غيلبرت بنظرة ملأها العزيمة رغم تعبهِ
ليقول مازحاً:

- هل ترغب بأن تتراهن؟

في هذه اللحظة مرّت تلك العربة بجانبها فالتفت الاثنان ناحيتها
غريزيّاً، عربة البضائع والتي من المفترض أنها قد غادرت
الميناء باتجاه وجهتها المجهولة، صمت الاثنان وهما يراقبان ابتعادها
واختفائها من مجال بصرهما، فقال غيلبرت بعينين مشدوهتين:

- إنها الرائحة ذاتها.

اجتمع الفريق على شكل دائرة حول الطاولة حيث رسم جو
مخططاً لمضمار السباق، وحدد مكان تركز كل عضو في فريقه، ثم
شرح لكل واحد ما عليه فعله، واختتم خطته بـ دونالد ليقول له:

- أنت تتمتع بجدار صد منيع، لهذا ستبقى في الحصن برفقة
إلنور لحماية الراية في حال وصل مهاجموهم إليها.

ثم رفع جو رأسه ونظر إلى جميع رفاقه ليسأل:

- هل لديكم أي استفسار، أو حتى اعتراض؟

لم يلبث طويلاً حتى جاءه الرد من خارج الدائرة المحيطة به:

- خطة جيدة، لكن ينقصها أمر واحد.

أدار جو رأسه ناحية صاحب الصوت كما فعل بقية أعضاء
الفريق، ليتفاجؤوا برؤية ليون يقف هناك عند أعتاب الباب،
تقدم ناحيتهم ليضيف على ما قاله:

- ما ينقصكم هو رام بارع.

في هذه الأثناء وصل بول إلى مكان المنافسة ليترجل من العربة
مشمئزاً من كثافة الناس المتجمهرين أمام المدخل، كما اشتعل

غضباً بعد أن رفض الحراس السماح له بالدخول، فقام وبجثٍ منه بدس بعض القطع الذهبية في جيب أحدهم، انتبه الحارس وأشار لـ بول حتى يتبعه إلى مدخل جانبي، مجتازا الباب، ذهل العمدة السابق من حجم البناء وكثافة الحضور، كانت هناك منافسة مُحْتَدِمَة في الميدان أخذت من وقته ثوانٍ قليلة حتى يرى أن أحد الطرفين هو المسيطر على مجريات النزال، بينما يكافح الفريق الآخر للحفاظ على ماء وجهه فقط، فصدرت من بول نخرة ساخرة وهو يشاهد جهود الأميرة تتلاشى مع تهليلات الجماهير ووقوفهم بشكل صريح مع الفريق الأقوى، أدار الرجل رأسه يبحث عن مكان للجلوس فأجفله رؤية أحد الحراس يقترب منه ويعرض عليه الصعود إلى منصة كبار الزوار، فرفع بول رأسه ليرى بأن من دعاه للحضور هو الوزير جراهام.

في غرفة الاستراحة وبعد الانتهاء من مناقشة التغييرات في الخطة أشار جو بطرف عينه لـ ليون، أراد التحدث معه على انفراد، فاستجاب الأخير لطلبه مُستَغْلًا انشغال الجميع، قصد الاثنان إحدى الزوايا فتحدث جو بصوت منخفض:

- هل تشكو من خطب ما؟ تبدو شاحباً أكثر من المعتاد.
ابتسم طرف فك ليون ليقول مُمَارِحاً الفتى:
- يمكنني أن أرتشف من دمائك الآن لأستعيد ما فقدته من طاقتي.

فزع جو ليلتلع لعبابه وهو يضع يده على رقبته، فقال له ليون:
- اطمئن أنا لن أفعل شيئاً كهذا، هذا بالإضافة إلى أن دوري في هذه الخطة لا يحتاج لبذل الكثير من الجهد.. لكن بعد التفكير أعتقد بأنني أحتاج لأن تكسب لي بعض الوقت.
- وكيف سأفعل هذا؟

صمت ليون وأدار رأسه ناحية بقية أعضاء الفريق، تأملهم

الواحد تلو الآخر حتى ثبت بصره على أحدهم ليقول:

- أعتقد بأن صاحبة الشعر الفضي ستفي بالغرض.

أطلَّ جو برأسه من خلف جسد ليون ليقول وهو ينظر إلى ميا والينور:

- من المقصودة من بينهما؟

على الجانب الآخر للغرفة لم تُرخِ ميا دفاعاتها منذ اللحظة الأولى التي وطأت بها قدم ليون أرض الغرفة، شعور ما جهلته الفتاة كان أقرب إلى حدس غريزي يُحاول إنذارها، إلا أنها لم تفهم معنى هذا الإنذار، لهذا ظلت تراقب من بعيد حتى اقتربت منها إينور بضم ممتلئ بالطعام، قدمت لها كعكة دائرية وهي تسأل بينما تمضغ ما بفمها:

- ما الذي تمظرين إليه؟

أخذت ميا الكعكة الدائرية وحشرتها في فمها دون أن تُريح عينها عن هدفها لتجيب بسؤال آخر:

- ما الذي يتحدثان بشأنه؟

رمشت إينور مرتين قبل أن تقول وهي تُدير رأسها ناحية ليون وجو:

- أعتقد بأنهما يتحدثان عنّا.

وبالفعل ترك ليون وجو موقعهما واقتربا من ميا وإينور، ليبادر الصبي قائلاً:

- حدث تغيير بسيط في الخطة، إيلي ستكونين في الطليعة بدل المكوث مع دونالد.

في الخارج انتهى النزال ما قبل الأخير بانسحاب أحد الفريقين، فرفع الحكم راية الفريق المنتصر للدلالة على فوزهم، هلل الجمهور

بينما ثاب كيث كونه شعر بالضجر من النتائج المتوقعة، فطرح سؤاله لآرثر الذي كان يتابع بصمت:

- سيشارك إخوتك ضدّ بعضهم في النزال الأخير، فبأي صفّ ستقف؟

نظر إليه آرثر بطرف عينه ليُجيب:

- أبناء أخيك أيضًا يتنافسون ضد بعضهم، فهل تتمنى رؤية طرفٍ منهما وهو يسحق الآخر؟

انحنى كيث إلى الأمام وقد زالت النظرة الساحرة من على وجهه، شبك أصابع يديه معًا وهو يتأمل الميدان ليقول:

- التمني شيء، والواقع شيء آخر.

استمع إليهما يوجين كما فعل بقية الأساتذة دون تدخل، فكل ما يرغب به الجميع الآن هو إنهاء هذه المنافسة والعودة للاستمتاع بآخر لحظات الغروب لشمسٍ توارت خلف الجبال، قطع الحديث مع تعالي صخب الجمهور المتزامن مع دخول الفريقين، اتجه كل منهما إلى الحصن الخاص به، ارتفعت الراية الخضراء فوق حصن فريق ريفن، بينما كانت الحمراء لفريق ليون، فوقف السبعة أمام الحصن ينظرون إلى خصمهم وإلى الراية الخضراء المرفرفة فوق الحصن على الجهة الأخرى، كان المنظمون قد جهزوا الأسلحة التي طلبها كل فريق؛ لهذا أخذ كل واحد منهم السلاح الذي أراده واصطفوا أمام حصنهم منتظرين إشارة البدء، على الجانب الآخر تقدم ريفن المجموعة وهو ينتظر بحماسة سماع صوت الإشارة، صمت الجماهير حتى أصبح من السهل سماع خفقان القلوب المتلهفة والتي امتزجت مع حسيس نيران المشاعل المضأة حول الميدان، راقبت الأميرة بتوتر وهي تضم يديها في حجرها، هذا هو رهانها الأخير، فلن ستكون الغلبة؟ حانت الساعة وأطلق الحكم الإشارة، فجرى ريفن يحمل سيفه وإلى جانبه الثلاثي الأقوى لوس، أوليفر وغيلبرت، كانت خطتهم تقتضي

بأن يهجم الأربعة بشكل مباشر، يتبعهم من الخلف خط دعم مكون من والتر وروي، وفي الدفاع تم وضع جاك في الحصن مع بيتر، على الجهة الأخرى جرى ليون في المقدمة مع إلينور ومن خلفهما بمسافة كافية كانت روز معها ماغي وميا تجرّين في صف واحد وعلى استعداد للاشتباك بأي لحظة مع الخصم.

خفف ريفن من سرعته استعداداً للقتال بعد أن شاهد ليون وإلينور، إلا أنه تفاجأ برؤيتهما يفترقان قبل بلوغهما منتصف الساحة، اتجه ليون يميناً، واندفعت إلينور يساراً، وظهرت من خلفهما الفتيات الثلاثة، ارتبك ريفن للحظة ووقف هو ومن معه، إلى أن أدرك الاتجاه الذي قصده الثنائي، هدف ليون هو البرج الشمالي، وإلينور هو البرج الجنوبي، في أعلى المنصة لم تعرف الأميرة إن كان عليها القلق من هذا التشكيل، هل بإمكان الفتيات الثلاثة أن يقفن بمواجهة أربعة شبّان أقوياء؟ والسؤال المحيّر هو ما الذي سيجنيه ليون وإلينور من ذهابهما ناحية البرجين الجانبيين؟ وقبل التعمق أكثر في تحليل الموقف شاهدت ليون يبدأ بتسلق البرج الشمالي وهو يحمل حقيبة صغيرة على ظهره، ظهر طرف القوس من فتحتها، فالتقطت هيلينا منظارها الصغير وراقبت من خلاله، عندها تحدثت الآنسة بيل محاولة وضع تفسير منطقي:

- يبدو ابن القمر منهكاً حتى قبل النزال، ربما لهذا السبب سيكتفي بالمهجوم من موقعه في الأعلى.

وعلى حين غرة سمع الجميع صراخ إلينور ليستدير الجميع ناحيتها، كانت قد تمكنت من تسلق البرج بمقدار ذراعين وتوقفت لتصرخ طالبة النجدة:

- هذا مرتفع، لا يمكنني الاستمرار.

من الحصن صرخ عليها جو مشجعاً:

- يمكنك فعلها يا إيلي، نحن نعتمد عليك.

إلا أن الفتات أخذت تهز رأسها بفزع، وقف غيلبرت في موضعه وهو يحمل سيفه بكلا يديه بينما يلتفت عن يمينه ويساره، ينظر إلى البرج الشمالي تارة، ثم لـ إليور العالقة على البرج الجنوبي تارة أخرى ليسأل:

- هل علينا القلق بشأنهما؟

لم يحفل أوليفر بصراخ إليور رغم أنه أزعجه، وصَبَّ جام تركيزه على ليون الذي تمكن من بلوغ القمة لِتَوَّه فقال:

- ما الذي يفكر به هذا المحتال.

فأجابها ريفن بصرخة مججلة:

- لا تفقدوا التركيز.. ها هن آيات.

ضربت روز بسيفها والتحمت مع ريفن، صدها الشاب بكل براعة فعلى صوت تقارع سيفاهما الخشبيان، أما ميا فاستغلت سرحان غيلبرت لتوقعه أرضاً برمحها الطويل، وقبل أن تُذيقه قوة ضرباتها هجم عليها لويس حتى يعطي غيلبرت فرصة للنهوض، فتفاجأ بها لويس وهي تشقلب إلى الخلف بكل رشاقة متفادية هجومه، وبجانبيهم كانت ماغي تنازع لتصد هجوم أوليفر، حاول أن يدفعها بهجماته المتلاحقة حتى يوقعها أرضاً فقاومت هجماته بعزيمة صلبة، خلف هذه المعركة في وسط الساحة ارتبك والتر ومعه روي فيما عليهما فعله، هل يتجاوزان ريفن والبقية ويتقدمان إلى الأمام، أم عليهما الانتظار ومعرفة ما الذي يُخطط له ليون في الأعلى؟ بالنهاية صراخ إليور المستمر كان أعلى من صوت أفكارهما الداخلية.

من موقعه على المنصة اعتدل يوجين في جلسته وقد أثار الصراع الدائر حماسه أخيراً ليقول:

- هذا مثير للاهتمام.

أجابه كيث وقد تمكنت الصدمة منه:

- معك حق، إنها المرة الأولى التي نرى فيها مقاومةً من الفريق الأضعف.

ضيق آرثر جفن عينيه مُحاولاً معرفة ما يدور فوق البرج الشمالي، فشاهد ليون يقف مُتصباً وهو يحمل القوس والسهم بوضعية توحى بأنه يستعد للإطلاق، رفع الشاب ذراعه وصوب عاليًا في السماء مُطلقاً سهمه الأول والذي سقط على مقربة من موقع روي ووالتر المرتبكين سلفاً، من جهته عاد ليون ليعيد الكرة ويرشقهم بوابل من السهام المتلاحقة والتي لم تصب أي أحد، فضحك أوليفر وهو يدفع ماغي التي وقعت أرضاً مع سيفها ليقول ساخراً:

- أهذه خطتكم؟ تلك السهام حتى لو أصابت أحداً فلن تؤثر بما أن رؤوسها مؤمنة بطبقة حماية.

تدحرجت ماغي إلى الخلف والتقطت سيفها الخشبي مُجيبةً إياه:

- لنرى من سيضعك في النهاية؟

من بين الجمهور استقام الرجل وهو يحمل ميمي من موضعه مشدوها ينظر إلى ليون، أما في أعلى المنصة أراحَت الأميرة منظارها دون أن تقول شيئاً، أدارت رأسها ناحية يوجين فوجدته يُتابع بتركيز بالغ، ولفأة نهض من موقعه وسار حتى حاجز المنصة، ثم أشار إلى البرج الشمالي ليسأل الأميرة:

- من هو ذلك المتسابق؟

أشارت الأميرة بحركة من يدها حتى تُحضر دوناً استماتات المُتسابقين، ثم نهضت من موضعها واقتربت إلى حافة المنصة، وقفت بجانب يوجين ونظرت إلى نفس الناحية لتقول:

- هل لي أن أسأل ما الذي أثار اهتمامك به؟

عادت دوناً ومعها الاستماتات، فأمسك بها يوجين وراح يُقلب الأوراق وكأن به يبحث عن اسم ما، ليقول مُجيباً:

- طريقة إمساكه للقوس والسهم، أنا لم أر أحداً يمسكها ب تلك الطريقة..

تسارعت دقات قلب يوجين وهو يسرع من قلبه للأوراق مضيئاً:

- وكأنه قد طور هذا الأسلوب ليتناسب مع حجمه.

ضربت الأميرة بكف يدها على إحدى الأوراق، موقفةً يوجين على استمارة محددة، ثم قالت:

- لقد وصلت، إنه أحد الأبناء الثلاثة المشاركين من عائلة ستوكر.. ليون ستوكر.

خاب أمله وضاعت توقعاته مع هذه الإجابة، فقالت الأميرة وهي تعود بنظراتها ناحية البرج الشمالي:

- حتى لو كان بارعاً في استخدام القوس والسهم، إلا أنه لن يحقق شيئاً بما يفعله الآن، تم تأمين كل الأسلحة المستخدمة في هذا الاختبار حتى لا تؤذي أحداً، ورميه للسهم بطريقة عشوائية لا يحدث فرقاً.

هز كيث رأسه موافقاً، كما كان كل من آرثر والآنسة ييل يتفقان على ما قالته الأميرة رغم أنهما لم يعبرا عن ذلك، وهنا صدرت ضحكة من البروفيسور داروين، اختفت عيناه أسفل جفنيه الثخينين وشعر حاجبيه الكثيفين ليعدل من موضع نظاراته الطبية ذات العدسات الصغيرة قائلاً:

- من قال بأنه يرمي بشكل عشوائي؟

استداروا جميعاً محاولين معرفة ما يرمي إليه البروفيسور، وهنا تحديداً نزل ليون على إحدى ركبتيه، حشر يديه في الحقيبة وبدأ وكأنه يحضر لأمر ما ثم عاد ليقف وهو ممسك بقوسه وسهمه لأسفل، أدار رأسه ناحية البرج الجنوبي ثم صرخ عالياً:

- الآن يا إيلي.

توقفت إينور عن الصراخ والعيول بلحظة، أفلتت يداها البرج
لثب على ركبها أرضاً بطريقة جنونية أثارت معها انتباه الجميع،
حتى أن المعركة في الوسط قد توقفت لثوان، انطلقت الفتاة
كالطلقة ناحية حصن الفريق المنافس وهي تحمل رمحها الطويل،
لم تترك المجال لوالتر أو روي حتى أن يفكرًا عندما حملت
الرمح بالعرض وجرت بينهما بسرعة، فتلافا طرفي الرمح برقبتهما
ليقع الاثنان أرضاً وهما يحاولان التقاط أنفاسهما بسبب قوة
الاصطدام، في الحصن استعد جاك وبيتر لوصولها، تركا موقعيهما
ونزلا إليها من أجل إيقافها، فابتسم طرف فك ليون ورفع قوسه
عالياً في السماء، وجه رأسه ناحية الحصن وأطلق دون ذرة
تردد، فالتفت أعين الجميع إنها اللحظة التي أدركوا بها أن سهام
ليون السابقة أبعد ما تكون للعشوائية، ضحك يوجين وهو يضع
كفه على فمه غير مُصدق لما يراه، أنزل يده وحك ذقنه فرحاً وهو
يرى سهم ليون يصل لأبعد نقطة له في السماء وقد رُبطَ بطرفه
حبلٌ طويل وكأنه رسمة تخيلية لمسار السهم المنطلق، عاد السهم
لينزل باتجاه الحصن، مُحافظاً على مساره ومجتازاً صاري راية
الفريق المنافس بشبر واحد، فرفرف عليها الأخضر إلى الورا،
وفي نقطة محددة، سحب ليون الخيط من الطرف الخاص به،
فاشتد الخيط ليتوقف السهم عن متابعة تقدمه منحرفاً بذلك عن
مساره، التفت الحبل على الصاري بسبب ثقل رأس السهم عدة
مرات، وهنا كانت اللحظة المنتظرة، سحب ليون بكل قوته الحبل
لينكسر الصاري الخشبي وتقع الراية أرضاً، فقال يوجين:

- اعتقدت بأنه كان يرمي الأسهم بشكل عشوائي، في حين أنه
كان يتدرب على حساب المسافة المطلوبة لأنه لا يملك إلا فرصة
واحدة لتنفيذ هذه الحركة.

توقفت الأنفاس وصمت الجمهور لشدة دهشتهم، لم تنتهِ المنافسة
بعد على أحدهم أن يمسك بالراي ويرفعها، ركض جاك ناحية
الراية الملقاة أرضاً محاولاً الوصول إليها قبل ليون، بينما وقف بيتر
في موقعه ليردع أخته المندفعة ناحيتهما، فدفعته الفتاة بكلتا

يديها، ضُرب رأس بيتر بجدار الحصن فسقط غائباً عن الوعي، اجتازته أخته لتقفز على جاك وتعلق بظهره وهي تضع يديها على عينيه حاجبة الرؤية أمامه، من جانبه ظلَّ ليون يسحب الحبل ناحيته فصرخ ريفن الذي كان يُقاتل روز أمراً أعضاء فريقه بالتقدم ناحية الحصن الآخر، انطلق غيلبرت بما أنه لم يجد أحداً يعرقل مسيره، ولتخلص ريفن من روز لوح بسيفه من الأسفل فاحتكت حافة نصله بالأرض الترابية قبل أن يرفعه عالياً، تطاير التراب والحصى في وجه روز، ما حجب الرؤية عنها فغطت الفتاة عينها، استغلَّ ريفن هذه الفرصة لتنفيذ ضربة أخرى وجهها إلى معدتها، فسقطت مُنافسته أرضاً تعضُّ على أسنانها من شدة الألم، بينما جرى ريفن ناحية الحصن لينضمَّ إلى غيلبرت، في أعلى المدرجات غطت ليندا عينها براحتي يديها فزعةً على أختها:

- يا إلهي، لا يُمكنني النظر.

كانت إلينور تقاوم بشدة وهي متعلقة بظهر جاك الذي حاول نفضها عن ظهره كثوْر هائج، لم تعلم إن كانت تستطيع الصمود لدقيقة أخرى، فصرخت الفتاة بـ ليون:

- أسرع يا ليون.. لا يُمكنني الصمود أكثر.

ليون منهك بالفعل، لكن إن استسلم الآن فستلاشي كل جهودهم عبثاً، ومن موقعها شدَّت الأميرة من قبضتها على فستانها وهي تهمس برجاء:

- افعل شيئاً.

أما عند الحصن المقابل ترك دونالد موقعه بجانب الراية بعد أن شاهد غيلبرت وريفن يقتربان وقال لـ جو:

- ابق أنت هنا، سأذهب أنا لصدِّهما.

نزل دونالد مع مطرقة الكبيرة ووقف هناك بانتظار وصول الشابين، وضع مطرقة أمامه بأسلوب دفاعي فصدَّ ضربة ريفن وطار معها سيفه الخشبي، أما غيلبرت فقد تمكن من تجاوزه

والصعود إلى الحصن ليُحاصر جو الذي تشبث بالصاري بكلتا يديه، فتقدم غيلبرت على مهل وهو يقول له:

- استسلم أيها الفتى لقد خسرتم بالفعل.

نظر جو إلى حلبة القتال الممتدة أمامه، أصغى إلى صرخات الجمهور التي لم تهدأ منذ بداية النزال، وراقب قتال رفاقه هنا وهناك، فانحرف بصره ليقع على راية الفريق المنافس والتي تنتظر من يلتقطها من على الأرض فقط، الوقت! عليه أن يوفر المزيد من الوقت لرفاقه كما طلب منه ليون، فعاد ليُحدّق بـ غيلبرت وهو لا يزال مُتشبّثاً بالصاري:

- نحن لم نخسر حتى الآن.

وبحركة غير متوقعة منه، سحب جو الراية من القاعدة أسفلها وجرى بها مُبتعداً وهو يقول:

- أمسك بي إن أردتم الفوز.

ذهل غيلبرت من هذا التصرف، فالتفت ناحية أحد المحكمين وكأنه يتأكد إن كان هذا التصرف مقبولاً، قلب أحدهم كتباً صغيراً للقوانين والشروط قبل أن يتبادل نظرات الحيرة مع زملائه، لم يخطر لأحدهم أن يضع قانوناً يمنع فعلاً كهذا، بالنهاية رفع أحدهم رأسه ناحية المنصة الرئيسية، فأومأت الأميرة برأسها بأنه لا مانع من الاستمرار، عندها رفع الحكم ذراعيه وحركهما كعجلة في الهواء يُخبر بها الجميع أن النزال لا يزال مُستمراً، فأسرع غيلبرت ليلحق بجو وهو يشتم بصوت عالٍ:

- توقف عندك أيها المحتال الصغير.

بعد أن التقط روي ووالتر أنفاسهما رفع الأول رأسه وهو لا يزال مُمدداً على الأرض، نظر إلى المعارك الصغيرة الدائرة حولهما ليقول مخاطباً والتر المستلقي بجانبه:

- ألا تعتقد بأنه من الأفضل لنا أن نمد يد العون للبيقة.

- دعنا فقط نظهار بأننا فقدنا الوعي.

في منتصف الساحة تمكن أوليفر من التخلص من ماغي، بعد أن تحطم سلاحهما اشتبك معها بالأيدي فرفعها بكلتا يديه في الهواء ورمى بها كما لو كانت حجراً صغيراً، سقطت وهي منهكة لا تقوى على النهوض فجري هو ناحية راية فريقه، من موقعه في أعلى البرج، لفّ ليون الجبل على سور البرج ليستخدمه كبكرة، ثم أمسك بطرف الجبل وقفز معه إلى الأسفل مما ساهم بسحب الراية ناحيته أكثر، شعر بأنه خائر القوى مع ارتطام جسده بالأرض ومع هذا جرى باتجاه الراية حتى يسبق أوليفر إليها، إلا أن أوليفر انقضّ عليه قبل أن يتمكن من إمساكها، وقع الاثنان وتشابكا يتصارعان على الأرض، يسدّد أوليفر لكمة إلى وجه ليون، فيردّ له ليون اللكمة بأخرى، تدرجاً بضع مرات وهما يثيران الغبار حولهما حتى استقرّ أوليفر فوق ليون، فشده من ياقته وسدّد له لكمة متتالية، في الوقت ذاته كان الجمهور يهتف لجو الذي كان يجري في الميدان مع الراية، من موقعه لم يتمكن الكونت رايموند من كتم ضحكاته لأكثر من ذلك وهو يرى ذلك المشهد، في النهاية تمكن غيلبرت من تقليص المسافة بينهما، قفز على جو فتدحرج الاثنان مع الراية، تطاير الغبار مع الأتربة وأعين الجمهور ما بين الرايتين، من جهته ضحك أوليفر بطريقة هستيرية وهو ينظر إلى وجه ليون، فرفع قبضته لیسدّد لكمة القاضية، لكنه شعر بضغط على معدته بعد أن وجه له ليون ركلة جعلت جسده يطير في الهواء، فتدحرج ليون من أسفله مبتعداً، وبأنفاس ثقيلة وجسد منك زحف الأخير محاولاً بلوغ الراية وهو يسمع تصاعد الهتافات من حوله، لم يفصله عنها إلا شبر واحد، مدّ ذراعه غير أن أوليفر عاد ليوافقه مجدداً بعد أن انقضّ عليه من الخلف، لفّ ذراعه حول عنق ليون وتشبث به حتى يمنعه من الإمساك بالراية.

وبجأة رفع الحكم يده عالياً في الهواء، معلناً بذلك نهاية المعركة، ملعت عين الأميرة وهي تنظر إلى كومتى الغبار في كلا الجانبين، بينما وقف كل الأساتذة وهم مقتربون من حافة المنصة يتحرون

الفريق الفائز، توقفت ميا ولويس عن القتال، لينظر كل واحد منهما إلى الراية التي قد تعني فوزه، وبتركيز بالغ ثبت ريفن عينيه على موقع سقوط جو وغيلبرت، انقشع الغبار تدريجياً فبان اللون الأحمر وسط تلك الكتلة، رفرِف العلم الأحمر وأسفله يدٌ مُتشبثة به بكل قوة، تجددت إينور وهي لا تزال على ظهر جاك، فأزال جاك يديها وهو يسأل:

- هل فزنا؟

قفزت إينور من على ظهره وجرت ناحية موقع ليون وأوليفر، وقفت هناك غير مصدقة ما تراه، الراية الخضراء قد رفعت عالياً من قبلي ليون، ذراع الحكم لا تزال مُعلقة في الهواء، هو لم يعلن حتى الآن النتيجة، فن جهة تمكن غيلبرت من رفع الراية الحمراء، وعلى الجانب الآخر ليون يحمل الراية الخضراء، اجتمع المحكمون في الوسط وأخذوا يتشاورون في إمكانية تحديد من رفع الراية أولاً، وهنا تحركت الأميرة وأسرت بأمر ما إلى مساعدتها دونا التي جرت من فورها إلى الأسفل، ثم اصطفَّ الفرسان الأربعة حولها وفتحوا لها الطريق حتى تنزل إلى الميدان، فقال يوجين الذي تمكن من رؤية وجهها قبل أن تذهب:

- تبدو غاضبة.

أخبرت دونا الجميع أن الأميرة تأمر بتجمع كل المتنافسين من المعركة الأخيرة، قريباً من الحصن الأخضر فتح بيتر عينيه بعد أن شعر بصفعات إينور على وجنتيه، فنهض مذعوراً وهو يسأل:

- ما الذي جرى؟

زفرت أخته بارتياح بعد أن رآته ينهض لتقول:

- اعتقدت بأنني قد قتلتك.

وعلى الجهة الأخرى لا يزال ليون يستلقي على ظهره، شعر بالخدر في كامل جسده لهذا أخذ يتأمل السماء محاولاً استعادة قوته، فظهر له وجه غيلبرت الذي سأل:

- أهذا وقت الاستجمام؟

- ابتعد، فوجهك يُفسد المنظر.

ابتسم غيلبرت ليقول مازحاً:

- لا تتحدث عن وجهي قبل النظر إلى المرأة.

ضحك الاثنان فدفَّ غيلبرت يده لیساعد صاحبه على النهوض، عندها سأله ليون:

- أين هو أوليفر؟

أشار غيلبرت إليه يقف بعيداً، ثم قال:

- إنه هناك، يندب حظه لأن المعركة انتهت قبل أن يتمكن من إضافة لمساته الأخيرة على وجهك.

تجمع كل أعضاء الفريقين في منتصف الساحة، منهم من يكافح ليقاوم آلامه، ومنهم من يتكئ على أذرع رفاقه، كانت معركة صعبة بذل فيها كلا الطرفين كل الجهد الممكن لتحقيق الفوز.

وقفت الأميرة أمامهم وبوجه يخلو من أي تعبير مُحدد حتى فتحت فمها لتقول بنبرة معاتبة:

- إن كنتم تعتقدون أنه بإمكانكم خداع أعين الجميع، فكان الأحرى بكم أن تفكروا مرتين قبل محاولة خداعي.

تبادل أعضاء الفريقين نظرات الحيرة فيما بينهم، بينما أضافت الأميرة وبصوت أكثر شدة وصرامة:

- هل اعتقدتم بأنني سأترك الأمر يمر هكذا؟

وبعينين حادتين كالصقر وجَّهت نظرها إلى الاثنین الواقفين في المؤخرة، بادها ليون النظرة ذاتها، بالمقابل ارتبك غيلبرت وهو يزدد لعا به، فهتفت الأميرة بهما:

- الأخوان ستوكر.

وبابتسامة مأكرة أكملت هيلينا:

- يُذهلني كيف تمكنتما من مزمنة توقيت رفع الراية بلك الدقة.

ما تمكن ليون من إخفاء تعبيره لأكثر من ذلك، ابتسم نصف ابتسامة، وقال بطريقة بدت وحةً بعض الشيء:

- لقد فقتِ توقعاتي.

اشتعل ريس غضباً من أسلوب ليون، فتقدم من بين الفرسان وهو يسحب سيفه من غمده، أخرج نصفه قبل أن توقفه الأميرة:

- توقف يا وايمان.

رنَّ الاسم كصوت جرسٍ إنذارٍ بالخطر في عقل الثلاثة، ليون، جاك وماغي، وخاصةً أن ملاح هذا الفارس بدت مألوفةً لهم، حدّق به ليون وتفحص ملامحه جيداً، العينان الخضراوان، الفم، الأنف، شكل الوجه، والشعر الأشقر، أهذا هو الفارس الذي أخبره غيلبرت بشأنه؟ هل هذا هو ريس وايمان؟ شعر غيلبرت بتغير هالة صاحبه، وتذكر أمر الفارس وايمان، فشدّ من قبضته على ذراع ليون ليقول له هامساً:

- ليس الآن.

من مقعده بجانب الوزير جراهام، انتبه بول لتصرف ابنه، بينما من جهتها تجاهلت الأميرة ما حدث وحوّلت نظرها إلى كامل المجموعة أمامها، انتقلت من وجه لآخر، ثم قالت:

- بالنظر إلى حالكم يمكنني أن أجزم بأن قتالكم كان حقيقياً، لهذا ما يحيرني الآن هو سؤال واحد..

تهامست الجماهير وهم ينتظرون قرار الأميرة، وقف جيرمي فوق مقعده وهو ييسط كفه فوق جبينه مُحاولاً فهم ما يجري، حتى استسلم وعاد إلى موقعه، فضحك جاسبر بجانبه ليقول:

- ههه اصبر قليلاً، سيعلون النتيجة بأي لحظة.

ليس بعيداً عن جيرمي وجاسبر كان الرجل لا يزال مُمسكاً

بالطفلة ميمي في حجره، تأمل وجه ميا بابتسامة تعيسة ثم همَّ
بالنهوض من مقعده ليترك المكان، بينما هناك في الأسفل عادت
الأميرة لتسأل الفريقين بنبرة حازمة:

- من منكم شارك أيضًا في خطة الأخوين ستوكر؟

صمتوا جميعاً دون أن يجروا على النظر إليها، إلى أن رفعت يد
أحدهم في الهواء لتحدث صاحبة تلك اليد بكل جرأة:

- لقد شاركت معهما.

كذبت إلينور دون خوف ثم ابتسمت وهي تنظر إلى جو
بجانبها، بادها الصبي الابتسامة ذاتها فأدار رأسه ناحية الأميرة
ورفع يده قائلاً:

- أنا أيضًا.

ثم وكر جو روز التي رفعت يدها بعد تردد لتقول المثل،
وواحدًا تلو الآخر، رفعت الأيدي عاليًا ولم يتبقى بالنهاية غير
أوليفر وريفن، أحكم أوليفر قبضته غاضبًا غير راضٍ عما يحصل
حوله، إلا أنه قرر في اللحظة الأخيرة التنازل ورفع يده مرغمًا،
عندها وجد ريفن نفسه وحيدًا، وهمسات الجمهور المنتظر كانت
كوخزات الإبر في طبلة أذنه، شاهد فم الأميرة يتحرك فسبقها
بالحديث:

- جميعنا شاركنا بهذه الخطوة.

أطلقت الأميرة تنهيدة طويلة، ثم قالت بصرامة:

- حسنًا، أتم لا تتركون لي خيارًا آخر..

غير أنها ابتسمت بكل نغمة لتقول:

- لا خيار أمامي غير القبول بكم جميعًا.

امثل الحكم لرغبة الأميرة ورفع ذراعيه في الهواء مُعلنًا بذلك
فوز كلا الفريقين، هلت الجماهير بفرح عارم تحت صدمة
المتسابقين، لقد فازوا بالرهان، حيثهم الأميرة بإيماءة من رأسها ثم

استدارت لتعود أدراجها، فاقرب منها ريس ليقول هامساً وهو يشدُّ على أسنانه غيظاً:

- كان الأمر من تخطيط الأخوين فقط.

ودون أن تلتفت ناحيته أجابته بصوتٍ منخفضٍ وبنظراتٍ حادة كالصقر:

- أعلم ذلك، كما يُمكنني معرفة أن ابن القمر هو الرأس المدبر بين الأخوين، لا تعلق يا ريس يُمكنني الرؤية من خلال كلماتهم فقد كذبوا جميعاً.

انفعل ريس وكاد صوته أن يُسمع من قبل بقية الحاشية:

- إذا لماذا قبلت بهم؟

توقفت الأميرة وقد وصلت إلى البوابة، استدارت بابتسامة وهي تُلوح بيدها كتحية أخيرة للجمهور، ثم أجابت هامسة وهي تنظر إلى الفرحة التي غمرت أعضاء الفريقين:

- أخبرني يا ريس، متى كانت آخر مرّة رأيت بها أبناء للشمس يسرون على خطةٍ وضعها أحد أبناء القمر؟

أحسَّ ريس بالضيق وهو يبحث عن الإجابة بين ثنايا دماغه، فقالت الأميرة:

- سأريحك من الإجابة، فهذا لم يحدث من قبل..

قالت جملتها الأخيرة وقد انعكس في عينيها الواسعتين منظر ليون وهو يتلقى المديح من بعض المتسابقين الذين أحاطوه وغلبرت والبهجة قد ارتسمت على وجوههم رغم التعب، أحاطته إينور بذراعيها وهي تقفز فرحاً بينما كان أخوها بيتر يحاول جرها بعيداً، فقالت الأميرة بوجه مطمئن:

- إنها المرة الأولى التي أرى بها مشهداً كهذا يا ريس.

في أعلى المنصة، نهض بول من مقعده ورافقه الوزير جراهام ليسأل:

- هل ستحضر إلى الاحتفال غدًا في القصر؟

وبنظر جانبية للمتسابقين الفرحين في وسط الساحة أجاب بول:

- أمر كهذا لا يدعو للاحتفال إطلاقًا.

كان جاسبر قد سبق جيرمي بالعودة إلى المتجر بهدف كسب الوقت من أجل الاستعداد لاستقبال الجماهير المنفضة من الميدان، ولج إلى المكان وقبل أن يمد يديه لفتح واجهة المحل ضيق جفني عينيه لتحرك يده على مهل وتخرج خنجره الصغير من بين طيات ملابسه، ثم خاطب الظلام خلفه مهددًا:

- من أنت؟ وما الذي تفعله هنا في متجرني يا هذا؟

من الظلمة الحالكة تحت عتبات الدرج الخشبي في زاوية المتجر تقدم أحدهم ليكشف عن نفسه، في الوقت ذاته استدار جاسبر لمواجهة ضيفه المجهول وقد التقط المصباح الزيتي بيده الأخرى قائلاً:

- أهو الطعام ما تريده؟ أم المال؟...

ألقى ضوء المصباح الخافت بنوره على الضيف، فبانت ملامحه القاسية التي خلفها الزمن، وبرز بجسده العملاق الذي ينافس به ضخامة دبية الجبال، وبين يدي ذلك الوحش العملاق تمام طفلة صغيرة بأمان، أرخى جاسبر من دفاعه بعد أن حطت أنظاره على الطفلة هناك، فأعاد خنجره إلى مكانه واقترب بحذر، عندها تحدث الرجل إليه:

- أعتذر إن أخفكتك، لكنني لم أجد أحدًا لألجأ إليه غيرك.

بنظرات حذرة سأل جاسبر وهو يشير إلى الصغيرة:

- أليست هذه الطفلة ميمي؟ هل أنت قريب ميا؟

نظر الرجل إلى ميمي وعلى وجهه طيف ابتسامة تشي بالكثير،

مسح على رأسها بخنان ليقول مؤكداً:

- نعم..

ثم رفع رأسه لينظر في عيني جاسبر:

- هل بإمكانني أن أطلب منك خدمةً ما؟.. سأدفع لك إن تطلب الأمر.

جرت ميا فرحةً بإنجازها، غادرت ميدان الاختبار وقصدت النزل من فورها، فتحت الباب باندفاع لتقول بصوتها الصاخب:

- هل رأيتني هناك في الساحة؟..

استقبلها الفراغ الصامت، فلم يكن الرجل حيث اعتقدت بأنها ستجده، زالت ابتسامتها البشوش تدريجياً وراحت تبحث عنه في الغرفة الأخرى، دفعت ميا الباب ومسحت تفاصيل المكان بقلق تبحث أن أي شيء من شأنه أن يفسر لها سبب هذا الفراغ، فاستقر نظرها على تلك الورقة فوق سرير الرجل، تقدمت ناحيتها لتلتقطها بيد مرتجفة وقلب مضطرب.

أطلقت ميا ساقها للريح، جرت الفتاة فرعةً باتجاه حانة جاسبر وهي تعصر الورقة بين يديها، وصلت منهكةً إلى هناك وهي تنادي على جيري:

- جيري أين أنت؟

وقفت الفتات عند أعتاب الباب تلتقط أنفاسها المتسارعة وهي تلوح بالورقة، فاقترب منها جيري بوجه كمد ليُسك بالورقة، بينما صرخت به ميا حتى يقرأ لها ما كُتب بها بسرعة، إلا أن الشاب وقف جامداً أمامها وكأنه قد عرف سلفاً ما تحويه تلك الرسالة:

- ميا!

نطق جيري باسمها وكأنه يبنى مواساتها، ثم انزاح من أمامها ليظهر من خلفه جاسبر يجلس هناك في موقعه وميمي الصغيرة

تلهو معه، فارتجفت شفتا ميا وهي تحاول كبح دموعها، خفضت رأسها وانسدل شعرها الفضي القصير ليُخفي عينيها من خلفه، تحدثت وهي تقاوم الغصة في حلقها، نفج سؤاها بنبرة مبسوطة مُختنقة:

- أين هو؟

لم يجبا أي أحد منهما فانفجرت بهما غاضبة:

- أين هو ذلك العجوز المحتال؟

ثم جرت إلى خارج المتجر، وقفت ميا في منتصف الشارع ووسط بهجة الجموع المحتفلة بوداع اليوم الأخير للمهرجان، نظرت حولها وهي تعلم بأنه قد رحل بالفعل، فعضت على شفتها السفلية وهي تنظر إلى نهاية الطريق بقلب مفطور، عندها شعرت بثقل راحة يد جاسبر الذي وضع يده على كتفها ليقول مواسياً:

- إن كان في الأمر عزاء لك، فلقد كان مُحطَّم القلب وهو يوصيني بكما.

ثم أمسك يدها ليعطيها دبوس الشعر المزين بالأجار الكريمة:

- لقد أعطاني هذا بالإضافة إلى بعض المال لأجلكما.

قبضت ميا بيدها على دبوس الشعر بالتزامن مع هروب دمعة يتيمة من عيناها، زحفت دمعتها على خدها المحمر بعد أن أدركت الفتاة واقع الأمر أخيراً، لقد استدرجها الرجل إلى العاصمة وحثها على المشاركة في هذه المنافسة حتى يضمن لها حياة آمنة وكريمة بعيداً عنه، فهمست لنفسها بوهن:

- لقد أخلف بوعده...

بعد تخطيه لأسوار العاصمة وقف الرجل على تلة مرتفعة وهو يحمل حقيته ومتاعه على ظهره، استدار ليأخذ نظرة أخيرة للعاصمة هيبيروس وكله أمل بصحة خياره مهما كان قاسياً على الفتاتين.

القوس المستعرض

سلاح رمي ميكانيكي

في منافسات الرماية تم إضافة نموذج متطور من سلاح القوس والسهم، وهو نموذج هجين ما بين سلاح القوس التقليدي والبندقية.



رغم شعبية هذا النموذج بين المستخدمين الشباب، إلا أن القوس التقليدي قد حافظ على مكانته بين الرماة من أصحاب الخبرة والمقاتلين، ولهذا السبب كان له ظهور طفيف أثناء اختبار الأكاديمية، و"ليون" كان أحد القلائل الذين استخدموا القوس التقليدي أثناء الاختبار.

الفصل 7 : حفلة دماء.

الفصل السابع: حفلة دماء

تعالَت أصوات الأجراس فوق الأسطح العالية، وتردَّد دويها بين شوارع هيسبيروس المُحتفلة، انتهى آخريوم للأيام المُشرقة على مملكة ديمونتريا، وحلَّ الليل الطويل بسحره الآسر بسماء صافية كصفاء لون الحبر الأسود، تزينها النجوم البراقة والتي بدت كالجواهر المنتثرة في فضاءها الواسع، وأسفلها برز القصر الملكي بكامل تألقه مُستقبلاً ضيوفاً من نوع مختلف، فالיום ستقام الحفلة الراقصة على شرف كل المقبولين في أكاديمية الفرسان.

بعيداً عن كل أجواء الاحتفال والصخب، وفي بناء كبير ومنعزل عن الأحياء المكتظة، حيث زحفت النباتات المُتسلقة على جدرانها الطويَّة والقذرة بفعل السخام المُتصاعد من المحرقة الملاصقة له، وقفت هناك العربة المحملة بالصناديق الكبيرة، فأنزلهما العمال بشق الأنفس وأدخلوها من الباب الخلفي الكبير، بعد لحظات وصلت مجموعة من الخيالة، يتقدمهم زعيمهم، تَرجل الرجل من حصانه وأزال غطاء رأسه فبان وجهه المُحتقن، أشار بيده لأحد الرجال المُشرفين على الصناديق، فاقترَب منه أحدهم وهو يفرك يديه معاً:

- أهلاً بعودتك يا سيد موردوك.

بصق الرجل الضخم موردوك عند موطئ قدمه وسأل:

- كيف هي البضاعة؟

وقبل أن يجيبه ابتسم الرجل المشرف بنخب وهو يلقي بنظرة جانبية على صرة المال الجلدية المعلقة بحزام موردوك:

- أترغب بأن تجرب عينة منها؟

ابتسم موردوك بدوره وشمَّ عن ساعديه فظهر وشم وجه الذئب جلياً ليقول:

- لا أعتقد بأن السادة سيمّانعون إن جربنا عينةً صغيرة.

داخل البناء وعلى عمق سردابين إلى الأسفل، كان بقية أعوان موردوك قد فتحوا الصناديق، فظهرت الوجوه الصغيرة الباكية لأطفال ما بين عمر السادسة حتى الخامسة عشر، تم دفعهم إلى إحدى الغرف المظلمة دون رحمة أو شفقة، في الزاوية البعيدة كانت إحداهم على وشك البكاء لشدة خوفها، انتفضت الطفلة كفرخ صغير فضمها الصبي الهزيل بجانبها وهو يقول هامساً:

- لا تبكي، سنخرج من هنا.

غطّت الطفلة فها يديها المتسختين وقاومت رغبتها في البكاء وهي تشعر بجسدها يُحسّر أكثر إلى زاوية المكان بسبب تدافع أجساد الأطفال في الغرفة الضيقة، استمعت إلى النحيب الصامت من حولها فتشبّثت أكثر بالصبي بجانبها، غما الخوف في جوفها ونشب جذوره المتفرّعة في روحها المُحتضرة، فانتظار المصير المجهول قد يكون أسوأ من مواجهته، مضت دقائق من الظلام الدامس لا يُسمع خلالها إلا حشرات مُتفرقة إلى أن أجفلهم صوت فتح الباب، سار أحد الرجال مُتخبّطاً بين أجساد الأطفال بحث بعينين ملوئهما الشر، حتى ابتسم فظهر صف أسنانه المُصفرة والمتآكلة، سحب الطفلة فصرخت بأعلى صوتها وهي تحاول التشبث بيدي الصبي الهزيل، أمسك الصغير بها بيأس وهو يسحبها ناحيته، زجر مقهوراً وهو يصوّب لكلماته الضعيفة ناحية يد الرجل حتى يُفلت الفتاة، تمكّن من المقاومة لما يُقارب الدقيقة قبل أن يتلقّى ركلةً من جزمة الرجل جعلته يُفلت الفتاة رغماً عنه، وقع مُتكوراً على نفسه أرضاً وبكى بقية الأطفال رعباً فصاح بهم الرجل غاضباً وهو يحمل الفتاة على كتفه:

- إذا سمعت صوت أحدكم فسيكون التالي.

خرج الرجل ليُغلق الباب من خلفه، ابتعد عن الغرفة وصوت صرخات الطفلة يبهت تدريجياً معه، حتى ثبت في مكان ليس يبعيد، فنهض الصبي مُتناسياً ألمه، ومسرّعاً من مكانه توجه

ناحية الباب الحديدي، رفع ساقيه الهزليتين ووقف على أطراف أصابع قدميه، بالكاد تمكن من أن يصل إلى النافذة الصغيرة في أعلى الباب، وتشبثت أصابعه النحيلة بالقضبان الحديدية المثبتة عليها حتى تمكن من رؤية المشهد، حطت عيناه على مجموعة من الرجال مجتمعين حول طاولة من الطوب، وضعوا الفتاة الصغيرة هناك، فأخرج كل واحد منهم سكيناً ووضعوه فوق جسدها ليبدووا بتلاوة ترانيم لم يفهم منها الصغير حرفاً واحداً، توقفوا فجأة فتسارعت أنفاس الصبي ذعراً، أفلت القضبان وتكور على نفسه، أغلق عينيه مُعْتَصِراً جفنيه، ووضع يديه على أذنيه، كان يعلم قسوة ما هو قادم، ومع تعالي صوت صرخات الفتاة المُستنجدة بدأ الأطفال في الغرفة بالبكاء مُجدداً، لم يعلم الصبي كم من الوقت مر حتى توقف صوت الصراخ واستبدل بضحكات الرجال المُحتفلين، ففتح عينيه الدامعتين قهراً على مهل وقد عانقت أنفه رائحة الدماء التي انتشرت في المكان بسرعة فائقة.

سرح جاسبر بمنظر شائبن يتساجران بالقرب من المتجر مُتجاهلاً حديث التاجر الذي يُحاول بيعه صندوقاً من زجاجات الشراب الراجح في الآونة الأخيرة، من ثمَّ شدَّه منظر سيدة فقيرة بأثثة تبحث باسماته عن أطفالها، هائمة على وجهها تسأل المارة حتى دفع بها أحدهم وسقطت في بركة من الوحل، فتوقف التاجر الذي سأل:

- ما رأيك؟ هذا عرض لا يمكن رفضه.

وبعينين ناعستين رمق جاسبر رؤوس الزجاجات البارزة من الصندوق بجانب التاجر ليقول بكسل:

- شكراً لك، لكنني لا أملك المال الكافي حتى لشراء أغطية الزجاجات.

عقد التاجر حاجبيه غاضباً، ثم غادر مع بضاعته مُتذمراً،

فاقترب جيرمي من جاسبر الذي لا يزال عند أعتاب باب المتجر:
- أيها البخيل، كان بمقدورك شراء بضع زجاجات على الأقل.
فرك جاسبر أذنه ليُجيب وهو في طريقه إلى مقعده بجانب صندوق المال:

- هذا المتجر ليس بحانة أيها الشاب.

- ومع هذا كان بإمكانك بيع تلك الزجاجات بسعر ممتاز، ألا تعلم لأي درجة هي رائجة بين أهالي العاصمة؟

أسند جاسبر ظهره إلى الكرسي وهو يتفحص وجه جيرمي بفضول:

- هل جربت بها بنفسك؟

- لا، ولكنني أتمنى لو أملك ما يكفي من المال لشراء القليل منها..

ثم تنهد وهو ينظر إلى القصر الملكي والذي يُشع بتألق من بعيد، ثم قال:

- ربما تحظى ميا بفرصة تجربة هذا المشروب في حفل اليوم.

فقال له جاسبر:

- لنأمل فقط بأن تستمتع الفتاة بهذا الاحتفال.

أضيئت كل مشاعل القاعة الملكية مع ثرياتها الذهبية العملاقة، لا تفتح تلك القاعة الضخمة بالعادة إلا للمناسبات المهمة، كزواج ملكي أو لتتويج ملك جديد، لهذا شعر الجميع بمدى أهمية هذا الحفل، وحرص الكثير من وجهاء العوائل المرموقة بالإضافة إلى السياسيين على الحضور، شملت قائمة المدعوين أيضاً الفرسان السابقين من الجيش الملكي ووفداً مهماً من مملكة إستانيا.

بدأ الضيوف بالتوافد وأولهم وصولاً كان المتدربين المقبولين مع

ذويهم، مُجتازًا البوابة الرئيسية رفع غيلبرت رأسه بذهول مُتبعًا
الأعمدة الرخامية الضخمة التي حملت من فوقها قُبب الأسقف
المزخرفة، كمية التفاصيل والرسومات المُطعمة بالذهب المحيطة
بالمكان شلّت عقل الشاب تمامًا فوكّره ليون قائلاً:

- ستُكسر رقبتك إن واصلت النظر للأعلى هكذا.

أنزل غيلبرت رأسه ليقول بذهول:

- هذا المكان يفوق قصرنا جمالاً بمئات المرات.

- بالتأكيد فهذا القصر الملكي أيها الأحمق.

قريباً من طاولات الطعام راحت ماغي تلتفت عن يمينها
ويسارها، غير مرتاحة من هذه الأجواء الفخمة، قدّم لها جاك
كأساً من الشراب فوضعتة جانباً بعد أن انتبهت إلى وصول ليون
وغيلبرت، أخذت الفتاة تراقب تحركات الشابين وهما يتوغلان
بين الحضور، فعلق جاك مُمازحاً:

- هل وقعت ماغي في غرام أحدهم؟

ركلت ماغي ساق جاك كردة فعل لا إرادية ثم صرخت به:

- توقف عن قول الحماقات.

انحنى جاك ليفرك ساقه مُتألماً بينما قالت ماغي وهي تنظر إلى
ليون على وجه التحديد:

- لم أجد الوقت المناسب لأخبرك أثناء الاختبار..

ثم أشارت بطرف عيناها إلى ليون مردفة:

- هل ينتابك يا جاك الشعور ذاته كلما نظرت إليه؟

رفع جاك رأسه ونظر إلى ليون، حدّق فيه مطولاً، مسح
تفاصيل وجهه، وبحث بها جيداً، راقبه وهو يتحدث ويتحرك في
الأرجاء، إلى أن توقف جاك بالنهاية وقال ل ماغي:

- أفهم شعورك جيداً يا ماغي، ومع هذا لا يمكنني أن أفهم

ذوق النساء جيء...

تلقي الشاب ضربةً على رأسه من ماغي حتى قبل أن يجد الفرصة لإكمال جملة، فشل جاك من فهم ما كانت ترمي إليه، وقبل أن تفسر له ما عنت اقتربت ناحيتهما روز لتلقي التحية:

- كيف الحال؟

على جانب القاعة بدأت الفرقة الموسيقية بالعزف على آلاتها المتنوعة، مُضيفةً بذلك أجواءً مبهجةً من الاحتفال على المكان، هزت إينور رأسها ببهجة مع الأنغام وهي تراقب المدعوين المتوافدين من حولها بأزيائهم الأنيقة وتسريحاتهم الملفتة، فتمكنت من رصد ميا التي برزت من بينهم بسبب فستانها البسيط، فذهبت إليها لتقول معلّقة:

- تبدين جميلة اليوم.

أمسكت ميا فستانها بنجل، وقد بهرت بجمال فستان إينور، بدت لها كالدمية الخرفية من جمالها ورعة فستانها الأبيض ذي الحواف المطرزة والمرصعة بحبات اللؤلؤ، فقالت وهي تهمس لنفسها:

- أي وضع غبي رميت نفسك به يا ميا؟

- ماذا قلت؟

سألها إينور بما أنها لم تسمعها جيداً، فضحكت ميا بطريقة مجاملة:

- لا تهمني، والآن أخبريني ماذا الذي يجب أن نفعله للاستمتاع بهذا الحفل؟

ابتسمت إينور لميا، وأمسكت بيدها، ثم غمزت وهي تقول:

- نبحث عن شريكٍ لرقص معه.

وسط القاعة سار جو مُتخبطاً بين الحضور بعد أن افترق عن إخوته وعمهم كيث في وقت سابق، لم يهتم الصبي للرقص أو

الطعام، وذهب بتفكيره لأبعد من ذلك وخاصة بعد رؤيته ل
كيث يجتمع مع بقية الأساتذة، أرثر، الجنرال يوجين، الأنسة
بيل، والبروفيسور داروين، شعر باختلاف شخصياتهم فتبادر إلى
ذهنه هذا السؤال، أي نوع من الأكاديميات هي تلك التي أنشأتها
الأميرة؟ وفجأة أجفله سماع أحدهم يُنادي باسمه فاستدار خلفه
فزعاً، لم يتمالك ليون نفسه وضحك من ردة فعل الصبي ليقول
مازحاً:

- اعتقدت بأننا قد تخطينا تلك المرحلة بالفعل أيها الصبي.

أجاب جو بوجه مُتجهّم وهو ينظر إلى ليون وغيلبرت:

- وكيف يتوقع أن أعتاد على وجودكم حولي وأنتم لا تتفكرون
تظهرون كالسراب من العدم؟

دفع ليون بـ غيلبرت ناحية جو ثم قال:

- قد يُفيدك بعض التدريب، هل لك أن تعني بصاحبي ريثما
أقضي حاجتي.

اعترض غيلبرت من فوره، فأسرّ له ليون:

- سأبدأ بالعمل، لهذا تحمل لبعض الوقت.

ثم وكز ليون صاحبه وهو يُشير بطرف عينيه إلى منتصف القاعة،
كانت الأميرة هناك مع بعض من حاشيتها، ففهم غيلبرت
واستجاب لصحابه الذي تركهما مبتعداً، وضع جو يديه في جيبي
بنطاله مُتجنباً الحديث قدر الإمكان، فقال له غيلبرت:

- نسيت أن أخبرك بأني استلمت عظام أختي من تحت
الشجرة...

رفع جو رأسه ونظر لوجه غيلبرت ليتفاجأ به وهو يقول:

- لهذا شكراً لك.

أزل جو رأسه مُحرّجاً وقد التمس مشاعر الصدق من حديث
غيلبرت، فقال الصبي وهو ينظر إلى جميع المتسابقين في وسط

- علي أن أشكر كما أيضاً، لولا كما لما اجتزت الاختبار.

ضحك غيلبرت وهو ينظر إلى صاحبه الذي لا يزال على مرئي من بصره:

- هه عليك أن تشكر ليون، تلك المجازفة كانت فكرته، أما أنا فقد قت بالتنفيذ فقط..

ثم رجع ذراعيه ليقول مضيفاً وهو يحول نظره إلى جو:

- أنت أيضاً قت بعمل جيد، خطتك سهلت العمل كثيراً على ليون.

بوجه قلق غير جو مجرى الحديث وقد تذكر يوم الاختبار الأخير:

- لا أعلم إن كان بمقدوري سؤالك عن هذا، لكن..

تردد الصبي قبل أن يلقي بسؤاله:

- هل يشكو ليون من شيء ما؟

وصل ليون إلى الطرف الآخر من القاعة، استوقفته بعض الرسومات الزيتية الضخمة المثبتة على طول الجدار للعائلة الحاكمة، بدايةً من الملك أركون الأول، ابن الشمس ومؤسس مملكة ديمونتريا حتى آخر أسلافه الملك ثيودور الرابع والذي صورته اللوحات بأبهى طلة مع عائلته، تأملها الشاب وسرح بتفاصيلها المبهره والتي تحاكي الواقع بإتقان يستحق الثناء على فرشاة رسامها، أدار ليون رأسه وقد انتبه إلى حضور أبطال تلك اللوحة في وسط القاعة مع الأميرة هيلينا، بالإضافة إلى بضع شخصيات إضافية كشقيق الملك الأمير برودريك والذي كان هناك برفقة زوجته وابنهما ريفن، كل شيء كان مثالياً باستثناء عضو واحد، الأميرة البكر إيفا كانت عنصراً ناقصاً بذلك المشهد المثالي، لقد تخلفت عن الحضور اليوم كما فعلت بالاختبار، ودون أن يهدر ليون الوقت لأكثر من ذلك ذهب ناحية إحدى الطاولات والتقط

كأسين من الشراب، وسار بالكأسين إلى حارسين كانا يقفان بجانب الشرفة، فقدّم لهما الشرابين قائلاً:

- شكراً على خدمتكما.

تبادل الحارسان نظرات حذرة في بادئ الأمر، إلا أنهما أرخيا دفاعيهما أخيراً، التقطا الكأسين من يد ليون، وتبادل الثلاثة حديثاً عادياً حتى قرر ليون أن يسأل وهو ينظر ناحية حاشية الأميرة:

- يهبرني ذلك الفارس، ما كان اسمه؟.. وإيتان؟

أجاب أحد الحارسين وهو يشير بكأسه ناحية:

- آه تعني الفارس ريس وإيتان.

انغرس اسم ريس كإبرة حادة في أذني ليون، بينما تابع الحارس الآخر مضيفاً:

- جميعنا نتمنى أن نكون في موضعه.

ابتلع ليون غصته وسأل:

- ولكن كيف نتمكن من أن يصل إلى هذه المكانة؟

ارتشف أحد الحارسين من الكأس ليُجيب مغتاضاً:

- هذا بفضل والده، بول وإيتان، إنه أحد أهم مُستشاري الملك.

وفي نفس اللحظة سمع ليون ترحيب الملك الفرح بقدوم أحد الضيوف ناحيته:

- ها هو مستشاري المفضل بول وإيتان.

ألقي بول بالتحية على الملك وانحنى مقبلاً ليد الملكة غلوريا بينما اصطكت أسنان ليون داخل فمه قرفاً من ذلك المشهد، بالكاد حافظ على ابتسامته الكاذبة أمام الحارسين، وخلال لحظات شعر بخط عرق بارد يسري على عاموده الفقري بالتزامن مع تصاعد

نبضات عينه اليسرى، وقد حطت عينه اليمنى على أحد الحارسين وهو يرتشف مُجدداً من كأسه، وجد ليون نفسه يتتبع لا إرادياً أثر جرعة الشراب وهي تنزل في مجرى المريء، كانتفاخ في مقدمة رقبة الحارس، شعر بتلك الرغبة الملحة تنهش عقله وقد فصل وعيه عن الواقع لثوانٍ قليلة، فأغمض عينه وفتحها على مشهد الحارسين وهما ينظران إليه بريية، لهذا تراجع لينسحب معتذراً منهما.

بدورها اعتذرت الأميرة هيلينا وابتعدت عن الملك والمملكة بعد أن أخذ الحديث مساراً سياسياً بقدم بقية المستشارين والوزراء، لهذه الليلة فقط أرادت الأميرة الشابة تجنب أي حديث سياسي من شأنه أن يُفسد عليها فرحتها بنجاح أول خطواتها.

من جانبه لم يُمانع الملك ثيودور من فتح ملف الوضع الاقتصادي بين مملكة ديمونتريا وإستاليا، كما استغل سفير مملكة إستاليا الفرصة بدوره قائلاً:

- لا أعلم إن كان قد بلغك هذا الأمر يا صاحب السمو، لكن سفتنا التجارية تشكو من عمليات نهبٍ من قبَل القراصنة مؤخراً.

- قراصنة!

تجهَّم وجه الملك لدى سماعه ما قاله السفير الذي تابع مُضيفاً بقلق:

- نعم، الخسائر ليست كبيرة في الوقت الحالي، لكننا نخشى من توسع عملياتهم في المستقبل القريب.

- إن كانت عملياتهم محدودة فبمقدورنا إيقافهم، لهذا لا تقلق سعادة السفير، إستاليا هي حليفنا الأكبر ولن ندع أي شيء يفسد أمنها أو أمن سفنها..

ثم رفع الملك كأسه ليقول وهو ينظر إلى ريفن - فارس إستاليا الأول :-

- والآن ألم يحن موعد الاستمتاع بهذا الاحتفال؟

كان الكونت رايموند قد وصل لتوه إلى قاعة الاحتفال، ترجل من العربة وعبر البوابة الضخمة، لمح أبناءه من بعيد وقد افرقوا ليمضي كل واحد منهم أمسيته مع رفاقهم الجدد.

مُحاطةً بحاشيتها ضحكت الأميرة بلطافة على نكتة قالها البروفيسور داروين، فأمسكت الآنسة بيل بذراعه وشدته لتقول:

- أيها العجوز المختل، تعال فقد تجاوزت موعد نومك.

قاومها البروفيسور وهو يُعلي حاجبيه:

- أترغبين بأن نرقص معاً؟

أفلته الآنسة بيل بتعايرٍ مشمئزّة لتقول:

- عجوزٌ قدر.

ثم انحنى الآنسة للأميرة مُعتذرةً منها:

- عن إذنك سمو الأميرة، سأعيد هذا العجوز إلى منزله قبل أن يفسد هذا الاحتفال.

ابتعدت الآنسة بيل ومعها البروفيسور داروين يصرخ مُعتزضاً على الرحيل ومُبرراً موقفه بأنه قد حضر مفاجأة لهذه الأمسية، بينما راقبتهم الأميرة وهي تضحك فرحة حتى اختفيا من مجال نظرها بين الحضور فظهر وجه ريفن بدلاً منهما، كان الشاب بكامل أناقته ينظر إلى هيلينا بود لاحظته معظم المتواجدين، فردّت له هيلينا الابتسامة مع انحناءة بسيطة، زادت وتيرة الألحان الموسيقية من قِبَل الفرقة الملكية، وسمعت بعض الهمسات حولهما والتي تحث ريفن على الاقتراب ودعوة الأميرة لرقصة تليق بالعائلة الحاكمة، لبي ريفن رغبة الجميع وياشر بالاقتراب من الأميرة، التقط يدها لينحني مُقبلاً ظهر كفها فذابت قلوب الفتيات وهن يراقبن هذا الثنائي، كل واحدة منهن تمنى لو كانت في موضع الأميرة الآن، ووحدها هيلينا من شعرت بالاشمئزاز من تصرفه، كم رغبت بأن تسحب يدها الآن وأمام الجميع، إلا

أنها تحاملت على نفسها وانتظرت حتى ترك ريفن يدها، استقام الشاب ليُقدم على خطوته التالية:

- أسمح لي سموها برقصةٍ معها؟

لم تتمكن هيلينا من الإجابة من فورها، نظرت إليه وترجته في أعماقها ألا يفعل بينما تعالت أصوات الهتافات من حولهما فوجدت نفسها تبسم مرغمة، مدت يدها دون أن تقوى على النطق بالإجابة، فأمسك ريفن بها وقادها إلى منتصف قاعة الرقص، وبحركة انسيابية تحرك فارس إستانيا ومعه هيلينا بكل رشاقة.

من بين الفتيات راقبت إلينور وميا رقصة الأميرة مع ريفن، فطفت ميا شفقتها لتسأل مُحترمة:

- ما الذي يفعلانه؟

أجابتها إلينور وهي تتابع الثنائي بشغف:

- إنهما يرقصان.

هزّت ميا رأسها، ثم ضيقت جفניה وهي تراقب الثنائي بحرص لتسأل:

- أهذا ما أردتما أن نفعله؟ لا يبدو الأمر مُسلياً إطلاقاً.

ثم أشارت إلى وجهها بينما كانت تعني الأميرة بحديثها:

- لا أرى السعادة بوجهها.

وبعدم اهتمام لرقصة الأميرة تحركت ميا مُبتعدة فنادت عليها إلينور:

- إلى أين؟

- سأذهب للتنزه في الحديقة الخارجية.

على الجهة المقابلة وبقرب طاولات الطعام راقب أوليفر رقصة الأميرة مع ريفن بينما يدفع بقطعة من اللحم في فمه، نفاطبه

لويس الواقف بجانبه:

- لا تبدو كشخص فرج بالنصر.

بصق أوليفر بقطعة اللحم على طبق فارغ بجانبه ثم مسح فمه
بالمنديل ليُجيب باشمئزاز:

- أَسْمِي ذلك نصرًا.

ابتسم لويس ليقول بشيء من التأيد:

- حسنًا معك حق، كان تعادلًا، لكنه في النهاية فوزٌ لكلا
الطرفين.

وبطريقة مريية رفع لويس كأسه نصف الممتلئة، ونظر من
خلالها إلى أخته روز مع جاك وماغي، ثم حرك كأسه حتى ثبت
على مشهد أخيه روي يتبادل أطراف الحديث مع بيتر، إلا أنه
استمر بحركة كأسه حتى وصل أخيرًا إلى غيلبرت وجو الواقفين
على الجانب الآخر من القاعة، فعلق قائلاً:

- إختوتما يقضون وقتًا مُمتعًا، لهذا حاول أن تستمتع أنت أيضًا.

ارتشف لويس من كأسه حتى أنهى ما بها ثم وضعها على
الطاولة خلفه ليصبح أكثر قربًا من أوليفر، فأسرَّ له بصوتٍ أشبه
لفحيج الأفعى:

- يُمكنني أن أرى مقدار الكره الذي تكنه لأخوتك، وإن
أردت نصيحتي..

اتسعت ابتسامة الشاب أكثر ليردف:

- لا تُظهر كرهك لأحد، لأنه في اللحظة التي ستحصل بها على
ما تريد ستوجه أصابع الاتهام إليك وحدك.

تراجع لويس وهو يربت على كتف أوليفر حتى انصرف مُبتعدًا،
تركة مع أفكار نشبت مخالبها عميقًا في روحه الفاسدة سلفًا، فابتسم
أوليفر وهو يراقب ظهر لويس الذي ابتعد واختلط مع الحضور،
فحدث الشاب نفسه بنشوة:

- بالتأكيد سأحاول الاستمتاع على طريقي.

في منتصف القاعة شعرت هيلينا بالدقائق القليلة وكأنها ساعات طوال، كان بمقدورها رؤية والدها الملك وعمها برودريك معهما سفير إستانيا يراقبونهما من أعلى الشرفة، لهذا وجدت نفسها تتردد بقرارها، أزاحت يدها على مهل وأوقفت رقصها لتقول برأس مطرقة لأسفل وأنفاس مضطربة:

- أشعر بدوار بسيط، ربما سيفيدني استنشاق بعض الهواء.

تخطت هيلينا الجميع وهربت ناحية الشرفة الخارجية، حاول رس اللحاق بها إلا أنها أوقفته مع بقية حاشيتها بحركة من يدها، ففهم بأنها ترغب بالاختلاء بنفسها، تحامل الشاب على نفسه وانتظرها بجانب الشرفة مُقاوماً رغبته باللحاق بها، أزاحت هيلينا الستائر وخطت إلى الخارج كغريقة تبحث عن سطح النجاة، لامس الهواء النقي وجهها فانتعشت روحها الذابلة، ثم أغمضت عينها وعبأت رتمها بالهواء قدر استطاعتها لعلها بأن لحظة حريتها لن تدوم طويلاً، استمعت إلى أصوات المحتفلين في الداخل وقد امتزجت مع صوت جريان ماء النافورة الحجرية العملاقة والتي تنتصف حديقة القصر، شعرت أخيراً بالاسترخاء إلا أن أجفلها أحدهم بسؤاله:

- ما الذي جعل الأميرة تهرب من حفلها؟

فتحت هيلينا عينها بفزع، اعتقدت بأنها لوحدها إلا أنها تفاجأت برؤية ليون يستند على الحافة البعيدة للشرفة.

في الداخل انحنى ريفن تحيةً للملك بعد أن تركته هيلينا في منتصف الرقصة، وسار مبتعداً عن القاعة، نفاطب الملك أخاه برودريك بعد أن شعر بالقلق من تصرف ابنته:

- لا تزال تلك الفتاة جاهلة.

هز برودريك رأسه متفهماً:

- لا تقلق يا أخي، ف هيلينا فتاة واعية، وأنا أثق بأنها ستتعلم القرار الأنسب في النهاية.

تحت سماء الليل بنسماته العليلة اقتربت الأميرة من حافة الشرفة، أمسكت بحافة السياج ونظرت إلى امتداد حديقة القصر بينما قالت:

- تبدو الليلة الأولى كثيبة بعض الشيء..

حاولت هيلينا إخفاء الاضطراب في صوتها قدر استطاعتها، بينما كان ليون يسند ظهره إلى الحائط الحجري خلفه، استمع إليها بصمت فأدار رأسه ونظر إلى المشهد ذاته، تمايلت أغصان أشجار الحديقة الغارقة في عتمة الليل، كانت ليلةً بلا قر يُنيرها، فابتسم الشاب بتعاسة وهو يتذكر حديث والدته، ففي الوقت الذي كان أهالي قرية إيستود يعتبرون بداية الليلة الأولى دون قر كصدرٍ للشؤم، كانت نتاليا تنظر إليه وتقول له بابتسامة متفائلة:

- من سيحتاج لقمر السماء عندما يكون لديه قره الخاص.

ترك ليون موقعه واقترب من الأميرة، وقف بجانبها وأسند ساعديه لحاجز الشرفة:

- هل تؤمنين بالشؤم المصاحب لغياب قر الليلة الأولى؟

- لا.

أجابته الأميرة بثقة ثم أردفت:

- لستُ من النوع الذي يميل لتصديق الأقاويل والخرافات دون أي دليل.

ما كان من ليون إلا أن يبتسم رغماً عنه، فأدار رأسه ناحية الأميرة، تأمل ملامحها الجادة وقال مُمازحاً:

- من المريح معرفة أن أميرتنا ليست مجرد طفلة مدللة تتسلى بلعبة العروش.

بُهرت هيلينا من طريقته في الحديث معها، فلم يجرؤ أحد من

قبل على مخاطبتها من دون استخدام الألقاب الرسمية، فكيف بهذا الشاب وهو يتجاوز حدوده دون اكتراث لعواقب فعلته، جزء منها شعر بإهانة بسيطة، بينما الجزء الأكبر كان أكثر ارتياحاً مما جعلها تسترخي أكثر لتجيبه بمزاحة:

- لا تختبر حظك معي لأكثر من ذلك أيها التنين الأعور.

لم يتمالك ليون نفسه، ضحك على هذا اللقب الذي التصق به في الآونة الأخيرة، فأردفت الأميرة بنبرة مأكرة:

- كوني تغاضيت عن خدعتك في الاختبار لا يعني بأنني سأفعل الشيء ذاته مجدداً.

بهتت ابتسامة ليون وهو يدير رأسه ناحية الحديقة، رمى بمزاحه جانباً ليسأل بجديّة:

- إذا هل تسمعين لي بأن أسأل؟

انتابها الفضول لهذا لم تمنعه من طرح سؤاله، فقال ليون:

- ما هو هدفك الحقيقي من إنشاء مثل هذه الأكاديمية؟

منذ بدايتها بهذا المشروع وهيلينا ترى سخرية الناس منها، عامة الشعب اعتبرها مجرد أميرة مدللة ترغب باللهو فقط، ووحدهم كبار المسؤولين من رأّت في أعينهم بوادر هذا السؤال وهي تنمو مع الأيام، إلا أنه لم يجرؤ أي منهم على طرحه عليها بشكل صريح، لقد باغتها ليون على حين غرة، فبحثت عميقاً ونقبت بين أفكارها إن كانت على استعداد لكشف أوراقها أمام من راهنت عليه، ثم قالت:

- غريب أن تكون أنت من يطرح هذا السؤال.

شدّت هيلينا من قبضتها على حافة سور الشرفة وتابعت وهي تتأمل بعض الضيوف الذين يتمشّون في الحديقة:

- لدي أسباب كثيرة، أولها هو القضاء على تلك الأفكار التي نشبت جذورها عميقاً في معتقداتنا، الرجال دائماً في المقدمة، بينما

النساء في المؤخرة، النبلاء هم وجه المملكة، بينما لا مانع من الدوس على عامة الشعب، السيد هو المسيطر، والعبد يعيش لخدمة سيده فقط..

أدارت هيلينا رأسها تأملت وجه ليون ثم تابعت:

- أبناء الشمس هم كل شيء، في المقابل أبناء القمر..

توقفت عندما وصلت لذكر أبناء القمر وكأنها تستحضر في ذهنها صوراً معينة، خفضت رأسها وقالت:

- هل تعلم بأننا قد وجدنا بعض المقابر الجماعية لأطفال من أبناء القمر.

ضيق ليون جفن عينه الظاهرة وتابع حديثها باهتمام، فقالت هيلينا:

- بسبب تلك الأفكار العقيمة، أصبح من السهل على الناس التخلي عن أبنائهم لتجنب العار والحظ العاثر الذي قد يلحق بهم، لهذا ازدادت ظاهرة الاتجار بأبناء القمر كعبيد دوناً عن غيرهم، أصبحوا سلعة تباع وتشتري دون اكتراث..

أخذت هيلينا نفساً عميقاً وهي تُحاول طرد صور آخر موقع للمقابر الجماعية من مخيلتها، منظر بقايا أجزاء من أجساد مُتفحمة في تلك الحفرة الكبيرة بات يطاردها كالكابوس في صحتها، ووجوه أطفال التهمت النيران جزءاً من ملامحهم البريئة، وما تبقى منها يشي بكية الرعب والألم الذي عانوه في لحظاتهم الأخيرة، أرغمت هيلينا نفسها على الابتسام لتقول بعزيمة:

- أرغب يا ليون بأن أثبت للجميع بأنه لا فرق بين أبناء القمر وأبناء الشمس، فبالنهاية جميعنا أبناء هذه المملكة، علينا أن نوحّد صفوفنا لمحاربة أعدائنا الحقيقيين.. وما أنجزته أنت في الاختبار ما هو إلا بداية لحلم أرغب بتحقيقه.

لم يقلها ليون بصريح العبارة، إلا أنه وافقها بقرارة نفسه، كان بإمكانه الانسحاب الآن وهو يعلم يقيناً أن مستقبل مملكة ديمونتريا

بين أيدٍ أمينة، غير أن الأميرة لم تُفصح عن كل ما لديها حتى الآن، فسأل:

- وماذا عن الهدف الآخر؟

أجابته باقتضاب وهي تتحرى ردة فعله:

- مخلوقات الليل.

وكأنها طعنته بكلماتها، وقف ليون مشدوها غير مُدرك ما تعنيه، فاندفع سيل الأسئلة في عقله، ولم يخرج منه إلا بهذا الاستفهام البسيط:

- مخلوقات الليل!

كانت ميا قد وصلت برفقة إلينور إلى موقع نافورة حديقة القصر بعد أن أضاعتا طريقهما في متاهة الشجيرات، فاندفعت إلينور ناحية المخرج الذي قادهما إلى النافورة العملاقة لتقول ببهجة:

- هذا ممتع لنفعلها مرةً أخرى.

اقتربت منها ميا لتقول:

- إنها متاهة للأطفال، ولا تُقارن بالغابات الحقيقية... ذات مرة ضعت لمدة خمسة أيام في الغابة السوداء.

شبهت إلينور بحماسة لتسألها:

- وكيف تمكنتِ من الصمود؟ بل كيف وجدتِ طريق الخروج؟

جلست ميا على حافة النافورة وراحت تُجيبها بتفاخر وهي تمكّ أرنبة أنفها:

- إنها غريزة البقاء..

ثم ضحكت بسداجة لتُضيف:

- كُنت مجرد طفلة حمقاء، الحقيقة أن عمي هو الذي وجدني، ولو أنه تأخر لأكثر من ذلك لكنت أصبحت طعاماً للوحوش.

رفعت ميا رأسها ونظرت إلى إلينور، فوجدتها وقد سرق انتباهها شيء ما في الأعلى، فنهضت ميا من موقعها واستدارت لتنظر بنفس الناحية، عندها قالت إلينور:

- ليون، إنه هناك مع..

ثم قبضت على فستانها بشكل مفاجئ، ووثبت على حافة النافورة حتى تتمكن من الرؤية بشكل أوضح.

من موقعهما في أعلى الشرفة أكدت هيلينا الكلمتين اللتين نطقت بهما بإيماءة بسيطة، ثم قالت بعد أن رأت نفسها عاجزة عن تفسير نظرات ليون:

- إما أنك تفترض أنني مجنونة لكونك لا تُصدق بخرافة مخلوقات الليل، أو تعتقد بأنني حمقاء بإفصاحي عن حقيقة خطيرة.

خرج ليون من صمته بعد أن اطمأن بأنها لا تعنيه بحديثها:

- وما الذي تعرفينه عنها؟

استدارت هيلينا وأسندت راسها إلى حافة سور الشرفة، نظرت إلى السماء المظلمة:

- ليس الكثير، كل ما لدي هو بعض التقارير لتحقيقات سرية كانت تجري على مدى العشرين عاماً الماضية، أعلم بأن تلك المخلوقات تشبهنا إلى حد كبير إلا أنها تمتلك زوجاً من الأعين الحمراء، وهي تأكل ما نأكله نحن إلا أنها تحتاج لشرب الدماء كحاجتنا لشرب الماء.. وهذا يقودنا إلى ما أخبرتك عنه من عمليات تجارة لأبناء القمر..

صمت هيلينا قليلاً ثم تابعت بشيء من القرف:

- جميع الجثث التي عثرنا عليها كانت جافةً تفتقر للدماء، وكان أحدهم حرص على سحبها بالكامل حتى آخر قطرة.

ومن بعيد ارتفعت كرة ملتهبة إلى السماء، كنجمة سيّارة،

انطلقت بخط مستقيم مع صوت صغيرٍ حادٍ مرتفعٍ حاز على انتباه الجميع، وعند وصولها إلى نقطةٍ مُحددةٍ من السماء انفجرت الكرة لتُنثر شظاياها البراقة بألوانٍ زاهية، تناثرت ذرات اللهب الصغيرة كالجواهر المُضيئة بخطوطٍ مُتناظرةٍ لتُنير السماء فوق القصر الملكي، لمعت عينا هيلينا واتَّسعت ابتسامتها الزاهية وهي تُراقب هذا المنظر لتقول ببهجة:

- إنها المفاجأة التي تحدّث عنها البروفيسور داروين.

بالمقابل رمق ليون الأميرة وقد بات يخشى الأسوأ الآن، ما الذي سيحل بهم إن بدأت الأميرة بحملتها تلك؟

عند النافورة ومع بدئ الألعاب النارية في السماء، تمكنت إلينور من أن ترى وجه الأميرة يُضيئ مع ألوان الانفجارات، فأشارت إليها بدهشة:

- إنها الأميرة.

- انتبهي يا إيلي.

حذرتها ميا بعد أن رأتها تتمايل كغصن شجرة رقيق فوق حافة النافورة، فحدث ما توقعته ميا، اختل توازن إلينور وانزلق حذاءها لتسقط من على الحافة داخل بركة النافورة، بعد أن ابتلت بالكامل ضحكت الفتاة ببلاهة على سذاجتها، فدت لها ميا يدها لتُساعدتها على الخروج، غير أن الأخيرة تصلبت في موضعها، أصوات انفجارات الألعاب النارية من خلفها، وإضاءاتها المبهجة انعكست على إلينور أمامها لتكشف صورةً شنيعة، اهتزت مقلتا ميا فزعاً وهي ترى السائل الأحمر الذي ابتلت به إلينور، فرفعت ميا نظرها ورأت السائل الداكن ينساب مُختلطاً مع مياه النافورة، تبعت أثره صعوداً ببصرها حتى وصلت إلى القمة فأطلقت صرخةً مدوية وصل مداها إلى الجميع.

توقفت الفرقة الموسيقية عن العزف، وخيم جوٌ من التوتر على المكان، تهامس الناس مُتسائلين عن مصدر تلك الصرخة، من

الجميع تلفت غيلبرت قلقاً وقد التقط أنفه رائحة الدماء قبل قليل،
فسأل جو:

- أين هم إخوتك؟

توتر الصبي وهو يبحث عن إخوته في القاعة، بإمكانه رؤية
روز مع ماغي وجاك، وعمه كيث مع والده انطلقا إلى الخارج
برفقهما بعض من الحرس الملكي، إلا أنه لا أثر لـ لويس أو روي
بأي مكان:

- لا يمكنني رؤية لويس أو روي.

أحكم غيلبرت قبضته فهو الآخر لا يمكنه تحديد موقع ليون أو
أوليفر، فانطلق يجري ناحية الحديقة وتبعه جو.

على الشرفة، قبضت هيلينا بيديها على حافة السور وقد اتسعت
عينها لرؤية جسد ما يستقر على قمة النافورة، شهقت فرحاً، وقبل
أن تتمكن من تحديد هويته، أدار ليون رأسها ناحيته حتى لا تنظر
إلى المشهد الفظيع، على الجهة المقابلة للستائر اندفع ريس إلى نجدة
سيدته بعد سماعه الذعر في نبرة صوته، أزاح الستائر ليتفاجأ برؤية
ليون وهو يمسك بوجه الأميرة الفرعة، فاستل الفارس سيفه من
غمده ووجهه إلى رقبة ليون ليصيح به منفعلًا:

- أبعد يديك القدرتين عنها.

رفع ليون يديه في الهواء وابتعد خطوتين إلى الوراء، تلاقت عينه
مع نظرات ريس المشتعل غضباً، فأشارت الأميرة ناحية الحديقة
لتخاطب ريس بمزيج من الصرامة والهلع:

- ليس هو، بل هناك في الأسفل.

أنزل ريس سيفه وجرى ناحية سياج الشرفة، انحنى بجسده
إلى الأمام ليُلقي نظرة على الجهة التي أشارت إليها الأميرة، كان
عرض الألعاب النارية قد انتهى بالتالي عاد الظلام ليغزو المكان،
اختفت تفاصيل الفاجعة بين طيات سواد الليل، إلا أن ريس
تمكن من أن يرى جسداً مُعلقاً فوق قمة النافورة، فاستدعى بقية

رجاله واندفعوا من فورهم إلى الموقع وتبعهم ليون.

تجمهر الضيوف عند النافورة، مُشكلين حلقةً حول الموقع، فاقرب آرثر ووضع سترته على كتفي أخته إلينور، ما تمكنت قديمي الفتاة من أن تحملها لأكثر من ذلك، فجلست على الأرض الباردة وضمت نفسها بذراعيها مُرتجفةً، لم تتمكن من أن تحيد بصرها عن الجسد في الأعلى فحاول آرثر أن يُبعدها، بينما كانت ميا على استعداد لم يد المساعدة، فدفعها ريس جانباً بخشونة وأمر رجاله بالتحرك سريعاً، لبي اثنان من الحراس أوامره وتسلفا تمثال النافورة، كان رح التمثال الموجه لأعلى يخترق جذع جسد الضحية من الوسط، فدفع الحارسان به لأعلى إلا أن قَدَم أحدهما تعثرت بسبب السطح الزلق والمبلل للتمثال، تزلزل الحارس قليلاً لأسفل فانزلق معه جسد الضحية وانغرس أكثر في الرمح ليتعرق إلى نصفين انفصلا عن بعضهما، تدرج الجزء السفلي للجهة المقابلة مع القليل من أحشائها، وهوى الجزء الأعلى من الجسد ليستقر في بركة المياه مُقابلاً إلينور والبقية، برقة مُحطمة إلى الخلف ظهر الرأس وكأنه ينظر إلى الجميع بعينين داميتين ملوَّهما الرعب.

- روي.

صرخت روز باسم أخيها وهي تراه جثةً ممزقة، فاندفعت إليه باكية تُحاول التفلّت من بين أيدي الحراس الذين أوقفوها، من خلف الحشود حشر جو جسده بينهم بعد سماع صراخ وصياح روز، فأوقفه ليون وشده من ذراعه إلى خارج حلقة الفوج المتجمع، رمى به أرضاً فانهمرت دموع الفتى وقد أيقن بأن روي قد مات فعلاً، غيلبرت الذي كان يتفقد الجثة من بعيد استدار وشقّ طريقه خارج الحشود مُتبعاً ليون وجو، فشاهد أوليفر يقف بعيداً، يتأمل المشهد بالكامل بينما تعلو وجهه ابتسامة فاسدة، فحَوّل غيلبرت نظره ما بين جو وليون ثم قال مخاطباً صاحبه وأوليفر:

- علينا أن نتحدّث.

اجتمع كبار المسؤولين مع الأميرة والأساتذة بعد أن تمَّ نقل أسلاء جثة روي إلى غرفة في أحد أجنحة القصر، كما تمَّ استدعاء الحكيم الملكي ليلقي نظرة ويحدد أسباب الوفاة، انتظره الجميع، ومن بينهم كيث، ربع الرجل ذراعيه كاتمًا غيظه وقد لاحظ الجرح على كتف جثة ابن أخيه، ثقبان غائران لا يمكنه تجاوزهما.

بينما اجتمع معظم الحضور في القاعة الرئيسية بانتظار تفسير يشفي فضولهم، عثر الثلاثي ليون، غيلبرت وأوليفر على جناح مُنزلٍ وبعيدٍ عن القاعة، دخلوا إلى إحدى الغرف، فأغلق غيلبرت الباب ليسأل حتى قبل أن يستدير لمواجهة الاثنين الآخرين بنبرة حادة:

- اقترض بأنكما قد لاحظتما أثر العضة على كتف الفتى.

ثم استدار بوجه غاضب ناحية أوليفر، فأطلق الأخير ضحكة ساخرة ليقول مُستهزئًا:

- وأنت تفترض بأنني من فعلها!

- وهل فعلتها يا أوليفر؟

سأله غيلبرت وهو يُشدد على كلماته، فأمال أوليفر رأسه واتسعت ابتسامته الخبيثة مُجيبًا:

- لستُ المتهم الوحيد هنا يا أخي.

ثم حوّل نظره ناحية ليون مُضيفًا:

- لم لا يكون هو من فعلها؟

أدار غيلبرت رأسه ناحية ليون، هو يعلم بأن صاحبه قد فقد الكثير من الدماء مؤخرًا لهذا بدا لهم أكثر شحوبًا من المعتاد، اهتزت شفتا غيلبرت وقد عادت إليه كلمات جو في بداية الحفل

والتي وصف بها ليون لتطفوا على السطح مُجدداً:

- ليونا هل..

سأل غيلبرت وهو يخشى الإجابة التي قد يتفوه بها ليون، لم يُجب الأخير من فوره، وبهدوء هز رأسه نائفاً:

- أنا لم أفعّلها.

انفجر أوليفر ضاحكاً بطريقة درامية:

- هذا مُمتعٌ أكثر مما تصورت.

نهر غيلبرت أوليفر ليقول بعد أن نفذ صبره من تصرفاته الصبيانية:

- هل تجد الأمر مُضحكاً؟ أفق يا أوليفر، فبغضِ النظر عن خلافاتنا إلا أننا في مركبٍ واحد، إن أخطأ أحدنا فسنغرق جميعاً.

توقف أوليفر عن الضحك، واختفت ابتسامته الساخرة مع ما قاله غيلبرت، فاقترب منه ووكز صدره غاضباً:

- قل عني ما شئت يا غيلبرت، لكن لا تضعني بنفس المركب مع ذلك الحيوان.

وربّ فعلٍ سريع سحب غيلبرت ياقة أوليفر بانفعال، كان مُستعداً لافتعال شجار معه بسبب ما قاله، فضمّ أوليفر قبضته ورفعها بنيةٍ لكم غيلبرت في المقابل، زجر الاثنان باستعداد واضح للشجار، إلا أن ليون تدخل ليوقفهما:

- توقفا، فلدينا مشاكلك أكبر مما تعتقدان.

أدار الاثنان رأسيهما ناحيته، فقال ليون بشكل صريح:

- نحن هدف الأميرة.

وبشكل غير متوقع أفلت كل واحدٍ منهما الآخر وقد زال غضبهما بعد أن نزل عليهما الخبر كالصاعقة غير المتوقعة.

في هذه الأثناء كان الحكيم قد أكّد شكوك الجميع حين قال بعد فحصٍ دقيقٍ مطوّل:

- لا توجد آثار للمقاومة، مما يعني بأن الفتى قد تعرض لهجوم مفاجئ أفقده الوعي سريعاً، أو..

ويبرود تدخل البروفيسور داروين ليُكمل جملة الحكيم:

- أو أنه تعرض إلى هجوم من شخص يألفه.

تنخّج الحكيم وهو ينظر إلى الوجوه الصامتة حوله بعد سماعهم لما قاله البروفيسور، فتخطى هذه النقطة سريعاً وعاد ليكمل:

- سبب الوفاة الرئيسي هو النزيف الحاد..

ثم أشار الحكيم إلى الجرح الذي فصل الجثة إلى نصفين مُفسراً:

- هذا الجرح ليس سبب النزيف، فدخل الرمح إلى جسده منع النزيف الخارجيّ، هذا يعني...

ودون أن يُعطيه المجال لإكمال تفسيره، اندفع كيث ناحية الجثة وقام بتغطيتها:

- هذا يكفي أيها الحكيم.

اقتربت الأميرة من كيث في محاولةٍ منها لجمع بعض الكلمات المناسبة بهدف تعزيته:

- يؤسفني ما جرى لابن أخيك، وكن على ثقة بأنني سأجد الفاعل، سأجعل منه عبرةً للجميع.

انحنى كيث احتراماً للأميرة دون أن يقول شيئاً في المقابل، ثم همّ بالمغادرة وقد لاحظ الجميع الحزن المختلط بنار الانتقام في عينيه ومقلتيه المحمرتين.

بعيداً عن الحفل وفي قلب سراديب البناء المغطى بالسخام،

حدّق الصبي المزبل بعيني صقر إلى الباب الموصد، تراكم الحقد في قلبه وهو يستمع بقهير إلى ضحكات الرجال المحتفلين بعد حفلة سفك الدماء، تشكّلت دمة يتيمة عند طرف عينه فسحها فوراً بكم ملابسه المتسخة، وللمرة الثانية فُتح الباب وبدأ نحيب الأطفال مجدداً وهم يتدافعون إلى الخلف، وحده الصبي من كان ثابتاً في موضعه، لم يحد ببصره عن الباب ولا عن الرجل البشع الذي سد المدخل بفعل ضخامة جسده، فظهر من خلفه الرجل الذي أخذ الفتاة سابقاً ليقول:

- ما رأيك أيها الزعيم موردوك؟

جال زعيم عصابة الذئاب بين وجوه الأطفال تباعاً ثم قال:

- أحسنت صنعا، يدون واعدن أكثر من العام المنصرم، يبدو بأننا سنحظى بموسم جيد.

ثم توجه إلى خارج الغرفة ليقول:

- قم بتجهيزهم، وسأخبرك بموعد انطلاقنا بوقت لاحق.

داخل غرفته الرمادية، خلع ليون معطفه وقيصه، رمى بهما على السرير وذهب ناحية المرأة، لقد عاد هو مع غيلبرت وأوليفر بعد أن تم إبلاغ الجميع بتأجيل افتتاح الأكاديمية لأسبوع بسبب الحادثة المأساوية التي ألمّت بعائلة الكونت رايموند، أعطى ليون تقريره لـ كورفينا والكونت رومان الذي لم يعبر عن رأيه بشكل صريح، وأمره فقط بالعودة إلى غرفته، أخذ ليون نفساً عميقاً وهو ينظر إلى وجهه في المرأة، فاقرب أكثر وفتح فمه، بان صف أسنانه الأمامية، وبثقة مهروزة تحسّس حوافها بلسانه، لا أثر لأي شيء خارج عن المألوف، فأغلق فمه ونزع رقعة العين لتكشف عن وجم عينه اليسرى، رفع غرّته السوداء ونظر إلى نفسه جيداً، لم يختلف اللون الأحمر لعينه اليسرى عما اعتاد عليه، إلا أن نبضاتها التي تشبه قرع الطبول قد تضاغت، ولجزء من

الثانية خُيِّلَ إليه أن الأمر انتقل إلى عينه اليمنى، فراجع بفزع إلى الخلف، ثم أمسك بقميصه المرمي على السرير، فردّه بين يديه وتفحصه جيّداً، ما لبث أن رمى به جانباً بعد أن وجده نظيفاً، ليجلس على حافة السرير وهو يرى انعكاس جزء من وجهه بالمرآة، فهمس مخاطباً هيئته المنعكسة هناك:

- أنت لم تفعلها.. أنت لم تفعلها.

بين جدران قصر عائلة رايموند كانت الخادمة القلقة قد ضربت عدة مرات على باب مكتب سيدها الكونت، إلا أنها لم تحصل على أي إجابة منه، رفض رايموند أن يُقابل أو يتحدث لأي أحد، حتى شقيقه كيث عجز عن تلك المهمة، فقال الأخ للخادمة بأن تترك أخاه للوقت الحالي، سيحتاج رايموند إلى بعض الوقت حتى يتجاوز ما حدث لابنه.

على الجانب الآخر من ذلك الباب جلس الكونت على ألواح الأرض الخشبية مُحدّقاً بالقبة الزجاجية التي تنتصف مكتبته الكبيرة، كانت دموعه قد جفت منذ فترة بعد أن تركت آثارها على خديه، وفي لحظة نهض من موقعه وقد تمكن من الدفع بحزنه جانباً، توجه إلى مكتبه وأخرج بعض الأوراق بيد بينما التقط قلبه بيده الأخرى ليبدأ بخط كلماته على تلك الأوراق بسرعة بالغة، استمر قلبه بضخ حبره بشغف على تلك الأوراق ولم يتوقف إلا بعد أن كَفَّت يد سيده عن الكتابة مع آخر سطرٍ من تلك الرسالة التي ختمها بـ "خادمك المخلص، رايموند وينشستر".

نافورة تمثال النصر:

كانت إحدى نوافير حديقة
القصر العميرة والتي بُنيت
عليها تمثال يُشاع بأنه
يحاكي وقفة النصر الشهيرة
للملك أركون المؤسس.



الفصل 8 : الفارس أم المفترس؟

الفصل الثامن: الفارس أم المفترس؟

بعينها المتوجهتين في الظلام حدقت كورفينا من خلف القضبان الصدئة إلى خادمتهما المتكومة على نفسها في زاوية الززانة، تضم ركبتيها إليها وهي تهتز بموضعها للأمام وإلى الخلف بحركة آليّة، تنظر إلى الفراغ أمامها وهي تردد لنفسها هامة:

- سينقضي الأمر، لا تجزعي، كل شيء سيكون على خير ما برام، ستعود الأمور لنصابها...

في إحدى غرف بناء الأكاديمية رمت ماغي بالكيس الجلدي المهترئ والذي يحوي ممتلكاتها على سريرها في زاوية الغرفة، ثم استدارت لتأمل المكان، ورق جدران مزخرف، وسجاد فاخر، حتى أن هنالك موقداً للنار بأحد أركان المكان، سيكون هذا مناسباً لمقاومة الليالي الطويلة والباردة، ابتسم طرف فك الفتاة وهي ترى كمية الجهد الذي وضعته الأميرة لإعداد هذه الأكاديمية حتى وقع نظرها على الزي الموحد والذي تم تجهيزه لها، ملابس سوداء مطرزة بخيوط ذهبية، تشبه بتصميمها ما يرتديه صفوة الفرسان، تفحصته بغير اكتراث ثم قصدت النافذة الطويلة والتي تفصل بين سريرها وسرير شريكها في السكن، لا فكرة لديها عن هوية شريكها فهي لم تحضر بعد، لهذا تجاهلت الأمر وراحت تنظر عبر النافذة، راقبت توافد المزيد من المتدربين وهم يعبرون الباحة الفاصلة بين البوابة وبناء السكن.

وقفت عربتان أمام البوابة الرئيسية لبناء الأكاديمية، فنزل والتر ويتر من العربتين الأولى دون تأخير، بينما أطلت إلينور من نافذة العربتين الثانية لتأمل المكان بشغف، رأت أخويها وهما يسبقانها إلى داخل البناء مع بقية المنتسبين، ولجأة انطفأت فرحتها بعد أن تذكرت بأنها ستكون بعيدة عن أحبائها، فأدارت رأسها ونظرت إلى ليندا وصوفي اللتين حضرتا معها لوداعها، فضحكت ليندا بعد

رؤية تعبير وجه أختها لتمازحها قائلة:

- ما الأمر، هل غيرت رأيك؟

وبوجه طفلة بريئة على وشك البكاء، نظرت إلينور إليهما لتجيب
بكلمات مهروزة:

- لا، لكنني سأشتاق لكما.

ثم خصت ليندا بكلامها:

- أرجوك يا أختي، اهتمي جيداً بصوفي، ولا تدعي والدتما
ترهقها بالعمل.

أمسكت صوفي بيدي إلينور، لتقول لها بابتسامة مُشرقة:

- سأكون بأفضل حال، لهذا لا تقلقي عليّ واهتمي بنفسك
جيداً، أمامك عمل كثير، يجب أن تثقي نفسك بين الجميع.

تجمعت الدموع في مقلتي إلينور الخضراوين، فقامت بفرد ذراعيها
واحتضنت أختها وصوفي في الوقت ذاته وهي تقول باندفاع:

- أعدكما، سأعمل بجهد.

نزلت إلينور بعد ذلك وقد عادت الفرحة إلى وجهها، أنزل
السائق حقائبها عند البوابة بما أنه لم يُسمح لأحد غير المقبولين
بالدخول، لهذا وقفت مع حقائبها تلوح لأختها وصوفي وهي
ترى العربة تتحرك مبتعدة، ومن خلف العربة ظهر لها وجه تألفه،
فانسعت ابتسامتها أكثر لتنادي عليه:

- التنين الأعور.. أعني ليون.

على الجانب الآخر زفر غيلبرت بانزعاج ليقول لليون:

- إنها تلك الفتاة مُجدداً.

لوح لها ليون من بعيد وهو يُجيب صاحبه:

- توقف عن التكشير بوجهها وتصرف بشكل طبيعي، لا تُثر

شكوكها ولا تنسَ بأنها ابنة الكونت الذي قابلته والدتك..

ثم أدار رأسه ناحية العربية المغادرة ليُكمل:

- كما أنني أستمُ رائحة الفتاة التي تماركت معها داخل تلك العربية.

- كم هذا مُزعج.

قال غيلبرت جملته الأخيرة وهو يدفع بابتسامة زائفة إلى شفثيه، تقابل الثلاثة بعد ذلك عند مدخل البوابة، فخياً ليون إلينور:

- تبدين بكامل نشاطك اليوم.

أومأت له فرحة بينما تشبك أصابع يديها معاً خلف ظهرها حتى انتهت لحضور غيلبرت، فنظرت إليه بطريقة غريبة، لهذا أشار إليه ليون:

- هذا أخي غيلبرت، لقد تمافسنا ضده في الاختبار الأخير، ألا تذكرينه؟

- نعم هذا صحيح، لقد تذكرته..

ضحكت الفتاة بسذاجة وأردفت:

- لوهلة اعتقدت بأنني قد رأيته في مكانٍ آخر.

متجاهلاً تعليقها حمل ليون إحدى حقائبها بالإضافة لحقييته:

- دعينا نساعدك بحملها.

ودون أي اعتراض سارت إلينور مُتقدمةً على الشابين اللذين تكفلا بحمل كل الحقائب، فتحدث غيلبرت هامساً:

- تبدو فتاةً مُغفلة، إنها حتى لم تذكرني من المنافسة.

أجابه ليون بصوت خافت بينما ينظر إلى ظهر إلينور التي سبقتهم في المسير:

- لا تُقل من شأنها يا غيلبرت، فقد كانت السبب في خسارتي ومبرر فوزنا أيضاً.

أوصل الشaban حقائب إلينور إلى باب غرفتها في السكن، وقبل

أن تلج إلى غرفتها لاحظت منشوراً مُعلقاً على الباب، فانتزعت من مكانه لتقول وقد قرأت العنوان:

- هذا إعلانٌ للاجتماع.

فقال ليون مخاطباً غيلبرت:

- علينا الذهاب للاستعداد.

وبحماسة قالت لهما إلينور:

- إذا لالتقي هناك.

ثم شكرتهما ودخلت إلى غرفتها، فتحت الباب لتجد شريكها في السكن تلهو بالقفز فوق السرير الطري، ثم رمت بنفسها في النهاية عليه واستلقت على ظهرها لتسأل فرحة:

- أيعني هذا بأننا سنعيش معاً؟

أومأت لها إلينور بسعادة:

- يسعدني أن أشاركك السكن يا ميا.

بعد التأكد من وصول جميع المنتسبين للأكاديمية، تم إبلاغهم بالتوجه إلى قاعة الاجتماعات الرئيسية، بزيمهم الرسمي الموحد، قصد الجميع القاعة المطلوبة والتي كانت بطراز بناء كلاسيكي فريد مُحاطة بنوافذ عملاقة على الجانبين، ارتفعت جدران القاعة عالياً لتحمل الشعلات المتقدة والتي رغم إضاءتها الخافتة تمكّنت من إبراز تفاصيل المكان بطريقة درامية مضيئةً بذلك جواً من الخيال الساحر، اتخذ كل واحد من المتدربين موقعه على المدرجات الخشبية استعداداً للمقابلة الأساتذة والمسؤولين، بعد بحث قصير تمكنت ماغي من العثور على جاك فجلست بجانبه لتقول مثنية عليه:

- عليّ أن أعترف بأنك تبدو جيداً بهذا اللباس..

ثم غيَّرتِ الموضوع لتسأل:

- هل عثرت على غرفتك؟

- نعم.

أجابها جاك ثم أشار لها إلى الجالس بجانبه على الطرف الآخر:

- ودونالد هو شريكى فى السكن، ماذا عنك؟

هزَّت الفتاة كتفها لتُجيبه:

- لا أدري فهي لم تحضر بعد، لا يهمنى من تكون طالما أنها

ليست شخصاً مزعجاً.. اسمع..

ثم اقتربت منه لتهمس:

- من اليوم سنتناوب فى الخروج والبحث عن صوفي، لهذا انتبه

حتى لا تُثير فضول هذا السمين.

وبشكل مُفاجئ وضع جاك ذراعه حول كتف دونالد ليُشرِّكه

فى الحديث قائلاً:

- لا تقلقى يا ماغى، لقد أخبرت دونالد بكل شيء، وقال بأنه

سيُقدِّم يد العون لنا.

مبتسماً بوَدٍ رفع دونالد إبهامه لـ ماغى وغمز لها:

- سأُساعدكما فى البحث، فوالدي يملك مطعمًا شعبيًا يقصده

معظم المسافرين، وفيه يتبادلون الكثير من المعلومات التى قد تُفيدكما.

أمام ماغى، جاك ودونالد بصفين كان الأخوة، والتر، بيتر

والينور وبجانبها ميا ينتظرون بترقب، وعلى نفس الصف جلس

ريفن مُسنداً ظهره إلى المقعد وهو يضع ساقاً فوق الأخرى،

دخل أوليفر القاعة ووجد لنفسه مكاناً بقرب ريفن الذى لم يعره

أى اهتمام يُذكر، وآخر الواصلين كانا ليون وغيلبرت اللذين اختارا

الصف الأخير من الأعلى، مع جلوسهما دخلت هيلينا معها

المساعدة دوناً يتبعهما ريس وبقية الفرسان، هذا بالإضافة إلى الأساتذة، القائد يوجين، اللورد آرثر، البروفيسور داروين، الآنسة بيل وأخيراً اللورد كيث الذي فاجأ الجميع بحضوره غير المتوقع، لقد مضى أسبوع على مقتل ابن أخيه إلا أنه ظهر أمام الجميع بعزيمة صلبة كالفلوذاذ، بعد أن تأكدت من وصول الجميع رحبت الأميرة هيلينا بالجميع وأخبرتهم:

- سأشرف بنفسي على كل التدريبات والدروس، لهذا آمل بأن نألف بعضنا وألا نشعروا بالانزعاج من وجودي... إنها ستة أشهر طويلة، لهذا دعونا نعمل بجهد حتى انقضاءها.
ثم تغير وجه الأميرة ليغدو أكثر جدية:

- الأمر الآخر الذي أردت أن أطلعكم عليه يتعلق بالمأساة التي حدثت أثناء الحفل، فكما تعلمون قد تعرض أحد المنتسبين إلى عملية اغتيال وحشية، وهذا أمرٌ لن أغض البصر عنه، وسينال الفاعل عقابه، أنا لا أشير بأصابع الاتهام إلى أحدكم، إلا أنني وبكل تواضع أطلب العون منكم، فإن كان أحدكم قد شاهد شيئاً يومها فبإبي مفتوحٌ على الدوام، ليأت إلي ويطلعني بما يعرفه لأتمكن من اتخاذ الإجراءات المناسبة حتى أضمن عدم تكرار هذا الفعل الشنيع مجدداً.. والآن أترك الكلمة للورد كيث.

نهض كيث من موضعه ليخاطب الجميع بصوتٍ عميق:

- في البداية باسمي وباسم أخني وأبنائه، أرغب بأن أعبر عن مدى امتناننا لكل من وقف إلى جانب عائلتنا في الأيام القليلة الماضية، فشكراً لكم..

انحنى كيث بشكل بسيط كتحية للجميع ثم استقام ليكمل:

- بالانتقال إلى الموضوع الأهم ألا وهو سبب إنشاء مثل هذه الأكاديمية.. عندما أرسلت لي الأميرة خطابها تدعوني للمشاركة كأستاذ هنا تفاجأت، لأنني لم أفهم هدفها، ووافقت على طلبها لأنني وبكل بساطة أثق بسموها، وبعد اجتماعها معنا قبل ثلاثة

أيام يُمكنني القول بأنني بدأت أفهم توجهها.. النهج القديم لم يعد فعالاً، فالعالم في تطور مستمر، هذا يعني بأن وقت التغيير قد حان، وأنتم أيها الفرسان تُمثلون هذا المُستقبل، الاختبار كان طريقة الأميرة في اختياركم، واجتيازكم له يعني بأنكم تملكون المعايير المطلوبة لتحقيق هدفها، ولكن قبل اثباتكم على هذا الهدف، لا بد من التدريب وزيادة معرفتكم، لهذا لا يسعنا إضاعة المزيد من الوقت..

نزل كيث من على المنصة ليدعو الجميع:

- الدرس الأول سيبدأ الآن، لهذا اتبعوني من فضلكم.

من دون أي تفاصيل إضافية نهض الجميع بحماسة من مواقعهم وساروا خلف كيث وهيلينا بينما بقي بقية الأساتذة في القاعة، اندفع الطلبة بكل نشاط وحيوية وهم يتجادلون في نوع الدرس الأول:

- هل تعتقدون بأنه سيرينا سلاحاً جديداً؟

- لا بل أعتقد بأنه سيعلمنا تقنية جديدة بالقتال.

- سيكون الأمر مثيراً لو تعلمنا بعض الخدع السحرية.

توقف كيث بعد أن وصل إلى نهاية الرواق المُطلّ على حديقة الأكاديمية الداخلية، ثم انعطف لأحد الممرات الجانبية ونزل عدداً من الدرجات، أصبح المكان أكثر ظلمةً كلما تعمقوا لأسفل وخف معه صوت النقاشات الحماسية، إلى أن توقّف كيث في قاعة مُظلمة بلا نوافذ أو أي مصدر للإضاءة، لم يسمح لأحد بأن يتقدّم أكثر وأشار لريس حتى يُساعده بإشعال الفوانيس، وبينما كانا يهتمان بفعل ذلك تراجع غيلبرت بتوترٍ ليهمس قريباً من أذن ليون:

- لست مُرتاحاً لهذا أبداً، ماذا عنك؟

كانت عين ليون قد رصدت كتلة ما تحوم في وسط الظلمة، فشمّت غاضباً بصوت خافت:

- تَبَا.

أضاء ريس وكيث فانوسيهما في الوقت ذاته، فتفاعلت معهما تلك الكتلة الهائلة وقفزت ناحية الطلاب بشكل مفاجئ، سقط دونالد أرضاً من شدة المفاجأة بما أنه يتقدم الجميع، بينما ابتعد البقية خلفه بهلع من منظر ذلك الوحش الثائر، زجر المخلوق البشع في وجه دونالد الذي جمد في موقعه فزعاً وقد تقابلت عيناه الهلعتان بعيني المخلوق الجراوين، حاول ذلك الشيء أن يمدَّ مخالبه الحادة ناحية الشاب المرتعب، غير أن السلسلة الحديدية المثبتة حول رقبتة منعتة من الاقتراب أكثر، فأسرع كلٌّ من ماغي وجاك ليسجبا دونالد إلى الخلف، اقترب كيث من ذلك المخلوق بقدرٍ كافٍ وتحدث إلى طلابه الواجمين من شدة الخوف:

- أعذر إن كُنت قد أفزعتم، لكنني لم أجد غير هذه الطريقة لإيصال الصورة الحقيقية لكم جميعاً.

ثم مدَّ إصبعه مُشيراً:

- هذا المسخ الذي أمامكم الآن هو أحد تلك الوحوش التي نطلق عليها اسم مخلوقات الليل.

ارتجفت شفتا بيتر ليقول معترضاً:

- مخلوقات الليل، أي جنونٍ هذا؟

ارتفعت أصوات الطلاب بطريقة فوضوية ما بين معترضٍ ومُصدِّقٍ لما يروونه أمامهم، أهو سحرٌ قد أُلقي عليهم؟ أم أنها مجرد خدعة ما؟ بشيء من السخرية راقب ريس وجوه المتدربين من حوله، من بين الفوضى وقفت ميا تُحدِّق إلى ذلك المخلوق بحقدٍ يتنامى مع كل ثانية تمضي، بجانبها إلينور التي نزلت على ركبتيها وأخذت تراقب بصمت، في الخلف حاول ليون وغيلبرت المحافظة على هدوء أعصابهما قدر الإمكان، أما أوليفر فلم يتمكّن من إخفاء سعادته لرؤية الخوف يتفشّى من حوله بينما يستنشق الجميع كما لو كان الهواء بحد ذاته، غير أن لحظة سعادته قد بُترت بعد

أن أعاد كيث النظام بإسكات الجميع، ثم وبحركة خاطفة سحب سيف ريس من غمده وضرب به عنق المخلوق ليفصل رأسه عن جسده، تلتطخ الجدار من خلفه بالدماء الحمراء وانساب ما تبقى من تحت جثته مُتغلغلاً بين شقوق الأرض الحجرية وسط صمت الجميع، فأعاد كيث السيف المُلطَّخ بالدماء إلى ريس وقال مخاطباً الجميع:

- ليس في الأمر أي خدعة، يُمكنكم التأكد بأنفسكم قبل أن تتحول جثته إلى رماد..

اقرب بعض الطلاب بحذر بينما تابع كيث بنبرة دلت على مدى غضبه:

- ابن أخي قُتل على يد أحدها، إلا أن قاتله برتبة أعلى من هذا الشيء هنا.

- ما الذي تعنيه؟

ألقى والتر بالسؤال الذي فكر به معظمهم، فأجابه كيث:

- تلك المخلوقات مقسمة إلى ثلاث رتب متدرّجة القوى، أعلاها هم أصحاب الدماء النقيّة، إنهم الأكثر خطورة من بين الجميع، يلي ذلك أصحاب الدماء المختلطة وهم في الغالب نتاج زواج النوع الأول مع البشر، لهذا يمتلكون الكثير من الصفات البشرية ويصعب تمييزهم في الكثير من الأحيان، من ثمّ لدينا المُتحوّلون، كانوا بشراً فيما مضى وتحوّلوا بسبب نقل العدوى بعد تعرضهم لعضة من تلك المخلوقات، زمن ظهور الأعراض عليهم قد يختلف بناءً على رتبة ناقل العدوى إلا أن مصيرهم في النهاية واحد بعد أن تُسيطر عليهم الغريزة بالكامل، يمكن القول بأنهم أقرب إلى تكوين الحيوانات المفترسة منه لأي شيء آخر..

في سراديب قصر ستوك لم يتوقف الخادمة البائسة حتى مع ظهور سيدتها أمامها، وواظبت على ترديد ترانيمها مُتجاهلةً أي مؤثر

خارجي، ومع الوقت سأمت كورفينا شعور التجاهل لحضورها،
فدَّت يدها لقمها وعَضَّت إصبعها، انغرس نابها الحاد مُحترقاً
جلدها الباهت وانساب الدم الأحمر زاحفاً على بشرتها البيضاء
نَخط مُستقيم حتى وصل لنهاية فكها، تدلت أول قطرة هناك قبل
أن تُسقط وتعانق الأرض الحجرية الرطبة، فوصل صوت تلك
القطرة لأذني الخادمة التي توقفت فقط لتدير رأسها ناحية سيدتها،
وكيوان تحكمه الغريزة انقضت الخادمة على القضبان بوحشية،
مدَّت ذراعها للخارج بجنون وهي تُزجر كوحشٍ بلا وعيٍ أو
إدراك.

ابتسم أوليفر بجاجةٍ ونظر إلى ليون بطرف عينه بعد تفسير
كيث، فما يسمعه الآن هو كالموسيقى التي تطرب لها أذناه، تابع
كيث وهو يُشير إلى جثة المخلوق التي بدأت بالتحوُّل إلى رماد
بشكلٍ بطيء:

- ما أمامكم الآن هو مخلوقٌ قد تحوَّل بالكامل، ولا مجال
للسيطرة عليه.

توقف كيث عن الكلام ونقل بصره إلى الوجوه الواجمة أمامه،
إنه يرى التساؤلات وهي تتضاعف بسرعة قياسية في أعينهم
الحائرة، لهذا قال:

- أعلم بأنني قد أثقلت عليكم، لهذا سنأخذ استراحةً لما تبقى من
هذا اليوم، وسنتابع بشيء من التفصيل في الأيام القادمة.

تحرك الطلاب خلف كيث وهيلينا مُغادرين المكان الواحد تلو
الآخر حتى لم يتبقَّ إلا إلينور التي نهضت من مكانها دون أن
تحيد بنظرها عن جثة المخلوق التي استحالت إلى رمادٍ وعظام،
انتبه ليون لها فعاد وسحبها من يدها قائلاً:

- هيا بنا، لقد غادر الجميع.

أدارت إلينور رأسها ناحيته ليتفاجأ برؤية عينها الدامعتين،

مسحتهما الفتاة سريعاً لتخطاه ناحية المخرج دون أن تقول شيئاً، تركته هناك حائراً في أمرها، لا يجد تفسيراً لدموعها قبل قليل، فأدار رأسه ليُلقي نظرةً أخيرةً على بقايا جثة مخلوق الليل، ما الذي أثار إليّ نور تحديداً؟ وقبل أن يفكر بأي شيء خاطبه أحدٌ ما من خلفه:

- لا يبدو بأنها المرة الأولى التي ترى بها شيئاً كهذا.

التفت ليون سريعاً، فإذا به ريس وقد عاد ليتفقد المكان، سار الفارس الشاب ناحية الرماذ والعظام، انحنى ليلتقط جمجمة المخلوق والتي فصلها كيث عن بقية الجسد، أدارها ريس بين يديه وهو يتأمل تجويف العينين ليقول:

- أنت لم تُجبنِ.

تصاعدت أنفاس ليون وهو ينظر إلى ظهر ريس كفريسة سهلة أمامه، نبضت عينه اليسرى تحت الرقعة الجلدية فاهتزت الصورة أمام عينه اليمنى وهو يتخيل مشهد تمزيقه لجسد ريس، لن يقتله في اللحظة، بل سيستلذ بتقطيعه، وسيضع لحمه الفاسد ليصقه على الأرض الرطبة، بإمكانه تخيل نحيب ريس وهو يترجأ حتى يبقى على حياته، كما بإمكانه اشتماذ دمائه الكريهة وهي تفوح بالمكان، شعر ليون بطعم الحديد الصدي بين أسنانه، فاستفاق من خيالاته وعادت الصورة لتثبت على وجه ريس وهو ينظر إليه بريية، ثم أشار الفارس إلى جانب شفته ليخاطب ليون:

- أنت تنزف.

غطى ليون فمه بيده بسرعة، وابتلع ريقه مع الدماء التي انسابت في فمه، لقد عضَّ على طرف لسانه دون أن يشعر عندما انفصل عقله عن الواقع لتوه، كان سينسحب إلا أن ريس أوقفه برفع سيفه وهو لا يزال داخل غمده أمام ليون ليقول بنبرة ملؤها الشك:

- لا تُعجبني النظرة التي اعتلت وجهك لحظة رؤيتك لذلك

المسخ...

ثم ضيق ريس جفنيه وهو يشدُّ على كلماته أكثر:

- منذ متى وأنت تعلم بأمرهم؟

ودون أن ينتظر الإجابة، رفع ريس يده الأخرى، استلَّ سيفه من داخل غمده وهو يتحرك ببطء حتى أصبح أمام ليون، عقد الفارس حاجبيه وهو يتحرَّى الإجابة في قسَمات وجه الواقف أمامه حتى شدته زرقة عينه اليمنى، إنه يتذكَّر هذا الإحساس والشعور المرير المقرون بها، نظرة التحدي ذكَّرتَه بابن القمر من قرية إيستود، وكأنَّ لهما الهالة ذاتها، كاد اسم كولين أن يهرب من بين شفتيه لولا أن أوقفته هيلينا:

- ما الذي تفعله يا وايتمان؟ أنزل سيفك في الحال.

كانت هيلينا قد عادت أدراجها بعد أن لاحظت غياب ريس من بين بقية الفرسان، ومن خلف الأميرة ظهر غيلبرت الذي اشتم رائحة دماء ليون، فتجاوزها وريس وأمسك بذراع ليون ليسحبه معه إلى خارج القاعة تاركين الأميرة وريس هناك وحدهما، بجو مضطرب أعاد الفارس سيفه إلى غمده غاضباً، فسأله هيلينا بقلق:

- ما الأمر يا ريس؟ لم أعهدك هكذا ترفع سيفك في وجه الآخرين بكل بساطة.

- بل ما خطبك أنتِ يا هيلينا؟..

انفجر ريس بوجهها غاضباً وهو يُشير بإصبعه على كومة الرماد والعظام فأضاف:

- ألم تري وجه ابن القمر؟ إنه يعلم بأمر مخلوقات الليه.

وقبل أن يكمل أخرسته هيلينا بنبرة حازمة:

- لأنني أخبرته عنها بنفسِي.

وكانه قد تلقى صفعَةً منها، نظر إليها بإحباط، فأطلق تنهيدةً

ياثسة تشي بمقدار الصدع في قلبه، أراد أن يصلح الوضع، فدَّ يده ناحيتها، إلا أنها ابتعدت عنه لتقول بخيبة أمل:

- سأذهب لأستريح في غرفتي.. لا تتبعني من فضلك.

تركته هيلينا بعد أن سكبت من غير قصد الوقود على شعلة الكراهية المتقدة في قلبه المحطَّم سلفاً.

سبق ليون غيلبرت في السير ناحية السكن، كان سيقصد غرفته إلا أن غيلبرت وبخطوات سريعة تمكن من إيقافه، شدَّه من ذراعه لينهره غاضباً:

- توقف يا ليون.

أداره غيلبرت ناحيته فخطي برؤية أفضل لتعايره الساخطة، أدرك الشاب وزن وكية الحقد المُجمَع في مُقَلَّة ليون المُلتَهبة، كما يُمكنه الشعور به وهو على حافة الانهيار، فأمسك به من كتفيه وخاطبه بصوت أكثر هدوءاً:

- إنه بين يديك الآن، ويمكنك أن تقتله متى شئت.. ولكن لا أريدك أن تخسر كل شيء بسببه... بل..

توقف غيلبرت وهو يتخيل تبعات فعلته كَلْك، فأكل بشيء من الغصة في حلقه:

- بل أنا لا أريد أن أخسرك يا صاحبي، لهذا دعنا نضع خطة مدروسة نخرج بها بأقل الخسائر.

أوماً ليون موافقاً دون أن ينطق بحرفٍ واحد، ثم ترك صاحبه لينسحب إلى غرفته، دخل إليها وأغلق الباب من خلفه ثم استند عليه ليسرح بمنظر النجوم البارزة من خلف زجاج النافذة الكبيرة أمامه، بأنفاسٍ تتسابق مع ضربات قلبه المتسارعة وجسدٍ ملتهبٍ كالجر راح ليون يتخيل بفزع المجزرة التي كاد يفتعلها لو لم تندخل الأميرة في اللحظة الأخيرة.

بعينين خاويتين وفكر يسبح في فضاء بعيد لعقت كورفينا الدماء من على إصبعها يبرود بينما لا تزال الخادمة تصرخ بهستيرية من خلف القضبان، ووسط هذا الازعاج ظهر رومان من خلف كورفينا، تقدم الكونت حتى أصبح بجانبها ثم قال:
- إن استمر الوضع على هذا الحال فلن يبقى أحدٌ لخدمتنا حتى نهاية هذه السنة.

تجاهلته كورفينا بكل بساطة، فتابع الكونت ليسأل:
- ألم تكن لهذه الخادمة طفلةً صغيرة؟

توقفت كورفينا عن لعق إصبعها فقال الكونت:
- من هو والد الطفلة؟ أهو هايدن؟ أم أنه..
أزلت كورفينا يدها ثم أجابت:

- وما الفرق الذي قد يحدثه معرفتك؟
- أوليفر؟

استدارت كورفينا لتواجه الكونت:
- بدأت أعتقد بأن إرسال أوليفر إلى تلك الأكاديمية فكرة خاطئة يا رومان.

- أخبرني أوليفر بأنه يتبع دليلاً مهماً، وإن تجاوز حدوده فسيردعه ليون بكل بساطة.

نظرت كورفينا بطرف عينيها إلى الخادمة التي أنهكها الصراخ حتى خارت قواها، تأملت منظرها البائس ثم قالت هامسة:
- ومن سيردع ليون إن فقد السيطرة؟
- ماذا قلت؟

أخذت كورفينا شهيقاً عميقاً ثم تراجعت مُبتعدةً وهي تقول:

- لا شيء مهم، كُنْتُ أحدث نفسي فقط.

مع بداية أول يوم فعليّ للدروس، وفي منتصف الحديقة الزجاجية مُحاطين بالنباتات المتنوعة من كل مكان كانت الآنسة بيل تشرح بشغفٍ بعد أن وضعت أمامها العديد من القوارير مختلفة الأشكال والأحجام بالإضافة إلى الكثير من أكوام الأعشاب المجففة، استدارت لتكتب بعض الرموز غير المفهومة على اللوح المتحرك من خلفها عندما سمعت بعض الهمسات المزعجة والتي تنتقد فستانها الرمادي وقبعتها ذات الطرف المدبب، فاستدارت لتصفق بيديها فشَدَّت انتباه الجميع:

- يبدو بأنكم تملكون موضوعاً أكثر أهمية مما لدي.

صمت الجميع فوَكَّرَ والتر أخاه بيتر ليدفعه على الحديث، وبتردد رفع بيتر يده ليقول:

- يا آنسة..

تلقت الفتى عن يمينه وشماله حيث كان رفاقه يحثونه بدورهم على طرح سؤاله، فتشجع ليقول:

- هل أنتِ ساحرةٌ فعلاً؟

رَبَّعت الآنسة ذراعيها ورفعت أحد حاجبيها، فأشار بيتر إلى القوارير الزجاجية على الطاولة وإلى الرموز التي كُتبت على اللوح من خلفها:

- هل أنتِ على وشك إلقاء تعويذةٍ ما؟

تركت الآنسة موقعها بعد أن قبضت بيدها على كومة من مسحوق النباتات الجافة من فوق طاولتها، ثم اقتربت من بيتر لتسأله:

- أي نوع من السحر ترغب بأن أنفذه لك يا فتى؟

تمسح بيتر وشاركه بعض من رفاقه، فقال باندفاع:

- أريد رؤية شيء مُبهر.

وافقته بعضُ من الأفواه من حوله، فابتسم طرف ثغر الآنسة وهي تلقي بفتات النباتات الجافة في الهواء، اشتعل الفتات بلهب أرجواني ثم اختفى بلمح البصر بعد أن أجفل بيتر الذي وقع مع على كرسيه إلى الخلف، ومن حوله تعالت أصوات ضحكات رفاقه، فقالت الآنسة:

- هل أبهرتك بما يكفي أيها الفتى؟

أعانت إلينور أخاها لينهض من على الأرض، بينما قالت الآنسة مخاطبة الجميع وهي تتحرك من بينهم:

- أرى من بينكم بعض الوجوه التي لم تُبهر كصاحبنا هنا.

توقفت الآنسة أمام ريفن الذي أظهر عدم اهتمامٍ بحديثها منذ البداية وأشارت له حتى يبدي رأيه، فقال الشاب:

- لا أملك فكرة عما فعلته لتوك، إلا أنني واثق بأنه ليس بتعويدة سحرية.

ثم استدارت الآنسة نحو ليون لتقول:

- ماذا عنك أيها الشاب، هل أشعرتك بالملل؟

مال ليون بنظره ناحية الفانوس الموضوع على الطاولة أمام بيتر، ثم رفع إصبعه ليكرأ رنبه أنفه مجيباً:

- إنها رائحة أحد المعادن المستخدمة لصنع طلقات الأسلحة، وعلى الأرجح أنها اشتعلت لأنك قُتِ بنثرها قريباً من لمب الفانوس.

وباندهاش أجابت الآنسة:

- تملك حاسة شمٌ مُبهرة أيها الشاب.

ثم أدارت الآنسة رأسها ناحية ميا لتحثها على المشاركة بعد أن قرأت عينيها:

- يبدو بأنك تملكين الكثير لقوله أيتها الشابة.

ترددت ميا بقل أي شيء بعد أن وجدت الأنظار وقد وجهت إليها، إلا أن إصرار الآنسة بيل دفعها للحديث، فأجابت:

- إنها النبتة الكاوية، والتي تستخدم لكي الجروح وإيقاف النزيف.

- أحسنتِ يا فتاة.

بعد أن مدحتها أمام الجميع عادت الآنسة بيل إلى موقعها، أخذت كمشة أخرى من مسحوق تلك النبتة لترفعها أمام الجميع وتقول مُفسرة:

- ما حدث لم يكن سحراً كما أشار ريفن، والمعدن المستخلص من هذه النبتة يدخل في صناعة ذخائر الأسلحة كما قال ليون، إلا أن هذه النبتة اشتهرت بشكل أكبر بين الحكماء للأغراض الطبية، إنها فعالة في كَيّ الجروح وإيقاف النزيف بأصعب الظروف..

حوّلت الآنسة نظرها ناحية بيتر ثم تابعت بنبرة مُعاتبة:

- لا مجال للمزاح فيما أنتم ماضون عليه أيها المتدربون، فلا أعتقد بأنكم قد نسيتم الوحش الذي رأيتموه البارحة، ففي الوقت الذي يبحث به بعض منكم عن خدعة سحرية للتسلية سيكون بعضكم الآخر قد صنع الفرق بإنقاذ روح شخصٍ ما بعلبه ومعرفة..

ثم حوّلت نظرها إلى جميع المتدربين لتضيف:

- إن زمن الخوارق قد ولى، ومن تبقى من السحرة الآن هم من المشعوذين الذين يتعاملون بالسحر الأسود فقط، إنهم ليسوا بالروعة التي يصورونها، فهؤلاء بشرٌ باعوا روحهم لكيانات لا علم لنا بها، حتى باتوا مجرد دُمى قدرة تُستخدم لأغراضهم الشخصية، لهذا آمل ألا يهينني أي منكم بوصفي بالساحرة بعد اليوم..

اتّسعت ابتسامة الآنسة بيل وهي تُشير إلى نفسها:

- ربما نسيت أن أعرّف بنفسي، أنا بيل والارسون، خبيرة بالأعشاب وحكيمة سابقة في البلاط الملكي، كما كان لي شرف المشاركة كقائدٍ للطاقم الطبي في معركة الخليج الدامي.

رَنَ صدى اسم معركة الخليج الدامي عاليًا في آذان المتدربين، معظمهم لم يشهد حرب توحيد مملكة ديمونتريا والتي بدأت شرارتها الأولى قبل أكثر من خمسين عامًا واستمرت لسنوات حتى انتهت مع معركة الخليج الدامي قبل ثمانية عشر عامًا حيث كان النصر حليفهم آنذاك، استمرت بعدها الحكايات تروي أجداد وبطولات المشاركين في تلك المعركة بالذات، وانتشرت الأغاني التي تتفاخر كلماتها بالنصر الساحق الذي أتى بعد خسارة مؤكدة، لقد لمع نجم الملك ثيودور الذي تولى قيادة الجيش من بعد والده ليُطلق عليه فيما بعد لقب موحد المملكة.

من موقعه في الخلف تذكّر ليون حديث والديه عن تلك الفترة، كانت هذه معركة والده الأخيرة، إلا أن ألكساندر ونتاليا لم يأتيا على ذكر البطولات والأجداد كغيرهما، لم يلبّعا الحقيقة بالألوان الزاهية والمفردات البراقة، بل تحدّثا عن كمية الدمار والمآسي التي خلفتها هذه الحرب، وكيف ساهمت بتفشي مفهوم النظام الطبقي كما لو كان وباءًا مُعديًا استمرّ بالنمو والانتشار دون تريقٍ يوقف زحفه المتواصل.

- أعتقد بأن وقتنا قد انتهى لهذا اليوم.

تحدثت الآنسة بيل وهي تنظر إلى عقارب ساعة جيبيها، فصرفت الجميع مع وعد اللقاء غدًا، وبذلك كان أمام المتدربين ساعة للاستراحة قبل بدء التدريب الخاص مع اللورد كيث في الساحة.

في هذا الوقت كانت ليندا تمضي وقتها في التسوق برفقة أختها الكبرى نانسي، حفل زفاف ليندا من خطيبها لن يحل إلا بعد ستة أشهر من الآن ومع هذا أرادت الفتاة أن تصرف تفكيرها

بالتجهيز له فقط من أجل الابتعاد عن جنون والدتها، كانت إينور محور اهتمام والدتهم، والآن بعد غياب بيتر ووالتر أيضاً بدأت الكونتيسة تشعر بالفراغ لهذا وجهت كل طاقتها على ليندا الابنة الوحيدة التي ظلت برفقتها:

- آه ألا يُمكنني المبيت معكم لبعض الوقت؟

سألت ليندا أختها بإحباط، لكنها ما لبثت أن تذكرت صوفي بعد أن مرّت بجانب إحدى الحانات، لقد وعدت إينور بأنها ستهم بها لهذا تراجعت عن طلبها سريعاً، فضحكت نانسي لتقول مُمازحةً أختها:

- كُنْتُ سأوافق طالما أنك ستهمين بالأولاد.

تنهدت ليندا لتُجيب فوراً:

- أَفْضِلُ تَحُلُّ إزعاج والدتي على الاعتناء بأبنائك.

ضحكت نانسي من ردّة فعل أختها لكنها توقفت بعد أن انتهت إلى صراخ أحدهم من بعيد، وقفت الأختان مشدوهتان وهما تشاهدان أحد الفتية يجري فرحاً وهو يصرخ بعباراتٍ غير مفهومة، مر الفتى من بينهما وهو يقول بأعلى صوتٍ لديه:

- مخلوقات الليل، لقد كذبوا علينا مخلوقات الليل حقيقةً، مخلوقات الليل حقيقةً..

اصطفَ المُتدَرِّبون بترقُب، كانوا بانتظار كيث مُنذ البارحة، مُتلهِّفين لمعرفة المزيد من التفاصيل عن مخلوقات الليل كما وعدهم، وبعد تأخير نصف ساعة ظهر يوجين عوضاً عنه ليخاطبهم قائلاً:

- أعتذر عن التأخير، حدث تغييرٌ بسيط في المواعيد، لهذا ستدربون على استراتيجيات المعارك معي عوضاً عن التدريب الخاص مع اللورد كيث فقد ذهب برفقة الأميرة لمقابلة الملك.

تهامس المتدربون فيما بينهم وهم يستمعون إلى يوجين، فركز غيلبرت صاحبة ليقول هامساً:

- إنها فرصتنا، سنتسلل مع قرع أجراس اليوم الجديد.

أوما ليون له موافقاً دون أن يقول شيئاً، وعلى الجانب الآخر تبادل جاك وماغي النظرات ذاتها، إنها فرصة ليخرج كلاهما بما أن الحراسة ستكون شبه معدومة مع غياب الأميرة وفرسانها.

من نافذة الرواق العلوي راقبت الآنسة بيل يوجين مع المتدربين في الساحة فسألت آرثر الذي كان ماراً بجانبها:

- أين هو اللورد كيث؟

وقف آرثر بجانبها مراقباً الوضع في الأسفل ثم أجاب:

- ألم يصلك الخبر؟ الملك أرسل بطلب الأميرة وكيث.

بأعصابٍ مشدودةٍ نقر الملك بأصابعه على مقبض كرسى العرش وهو يرمق ابنته هيلينا ومعها كيث بنظراتٍ معاتبة، من حوله لم يجرؤ أي أحد من الحاشية الملكية أو مستشاري الملك علي التفوه بحرف واحد، كما أن الملكة غلوريا اختارت الوقوف جانباً وتجنب إبداء رأيها حتى لا تزيد من فورة غضب زوجها، كانت هيلينا على وشك أن تفتح فيها فانفجر بها الملك غاضباً:

- أي خطوة جنونية هذه التي أقدمت عليها يا هيلينا؟ أتعلمين ما الذي سيترتب على كشف سر مخلوقات الليل إلى العامة؟.. من الذي سيوقف الفوضى التي ستحل بأرجاء المملكة؟..

- ولكن يا أبي...

ضرب الملك بقوة على مقبض كرسيه واستقام من موضعه:

- هذا يكفي يا هيلينا.. أتعصيني كأختك؟..

صرخ بها الملك إلا أنه أمسك برأسه من الصداع الذي أحدثه

وقع هذا الخبر، فأسعفته الملكة غلوريا لتجلسه على عرشه من جديد ولتخرج عن صمتها:

- اهدأ يا عزيزي، فالصراخ لن يحلَّ أي شيء..

ثم أشارت لابنتهما مضيئة:

- هيلينا فتاة واعية، إنها ليست كأختها إيفا، عليك فقط أن تتقن بأنها لم تُقدم على هذه الخطوة إلا بعد دراسة تبعاتها.

نظرت الملكة لابنتها وهي تترجأها حتى تقول شيئاً، وقبل أن تفعل تقدم كيث من خلفها يطلب الإذن بالحديث:

- هل يسمح لي جلالته بالحديث؟

أشار له الملك ملوحاً بيده ولا يزال غاضباً، فانحنى كيث شاكراً ليقول بعد ذلك:

- أعتقد بأن الجميع هنا بات يعلم الآن بأن عائلة وينشستر تولت أمر مخلوقات الليل لعقود طويلة، ضحينا بالكثير وعانينا مع القليل ممن تبقى من عوائل الصيادين الأخرى في سبيل إبقاء الشعب آمناً من تلك الوحوش، إلا أنه وكما أشرت لكم، لم يبقَ منا إلا القليل.. في المقابل..

أخرج كيث بعض الأوراق المطوية من جيب سترته، سلّمها إلى معاون الملك الذي جرى بالأوراق وسلّمها لثيودور، بينما تابع كيث:

- إنها آخر إحصائية رسمية لعمليات الصيد من رابطة الصيادين...

تحركت عينا الملك مع ما كُتِبَ في الأوراق نزولاً حيث كانت الأرقام تكبر وتتضاعف، فقال كيث:

- إن استمر الوضع على هذا الحال فسيخرج الأمر عن سيطرتنا خلال عام واحد...

ثم رمق كيث ريس الذي يقف بقرب الأميرة بنظرة جانبية

ليضيف على قوله:

- أعتقد بأن جلالكم لم ينسَ أمر مجزرة إيستود.. بعض ضحايا تلك الواقعة يقفون معنا هنا اليوم ويشهدون على مدى قوة وحشية تلك المخلوقات.

تعالَت أصوات همسات المستشارين فيما بينهم بعد أن عاد موضوع إيستود ليطفح على السطح مجدداً، فقال كيث:

- بعد محاولة سيادتكم لإخفاء الكارثة، ثم تكلفني وأخي رايموند من قَبْلِ رابطة الصيادين لمعرفة أسباب حصول تلك المجزرة، ذهبنا إلى هناك من دون تأخير وتبعنا ما تبقى من الآثار، والنتيجة المُرعبة التي وصلنا إليها في النهاية ستجدها في التقرير الأخير بين يدي جلالكم.

قَلَبَ الملك الأوراق حتى وصل إلى التقرير الأخير، قرأه بعجالة وسط صمت لف قاعة العرش، توجَّهت الأنظار ناحية الملك الذي أوقع الأوراق على الأرض بعد أن وصل إلى نهاية ما كُتِبَ:

- يا إلهي... هل أنت واثق من هذا الكلام؟.. لَمْ لَمْ يُبْلَغْنِي أَيُّ منكم؟

أطرق كيث برأسه آسفاً ثم قال:

- أعتذر عن عدم ذكر هذا، كان جلالته مشغولاً بإنحمار نيران الثورة بذلك الوقت..

أخذ كيث نفساً عميقاً ليتابع مُشيراً إلى التقرير الذي استقرت أوراقه إلى جانب قدم الملك:

- كل الأدلة تُشير إلى أن مُرتكب مجزرة إيستود فردٌ واحد، ومع إضافة شهادة المُستشار وايمان وابنه يمكننا القول بأنها أنثى واحدة..

ضغط كيث على أسنانه وهو يعيد غاضباً ما قاله بشيء من التفصيل:

- إنها أنثى نقيّة من مخلوقات الليل.

تلفتت الملكة غلوريا بقلق بعد أن رأت وجوه من فهم كلام
كيث، فسألت وقد بدى عليها الضياع:

- ما الذي يعنيه هذا؟

صمت الجميع وكأن الإفصاح عن تلك الحقيقة بصوت عالٍ يعدُّ
اعترافاً بالخسارة، فأجابت الأميرة هيلينا:

- مخلوقات الليل ذات الدماء النقية لها القدرة على تحويل البشر
إلى شاكلتهم، كما أنهم يملكون بعض القوى العقلية التي لا يمكننا
تفسيرها حتى الآن، والإناث من بينهم هم الأخطر لأنها تملك
المقدرة على الإنجاب والتكاثر، بالتالي ضمان استمرار نسلها النقي.
أدارت هيلينا رأسها ناحية والدها بعد أن تيقّنت بأنه أصبح مُلبّاً
بالوضع، فسألته وهي تتحرى ردّة فعله:

- ألم يحن الوقت حتى نصحوا من غفوتنا يا أبتاه ونخبر الجميع
بهذه الحقيقة؟ أم أنك ترغب بأن يُقاتل رجالك غافلين عن
حقيقة عدوهم كما حدث في معركة الخليج الدامي؟...

تلاطمت أمواج البحر العاتية على صخور جرف الساحل الأبيض
لقرية فيشرمان حيث وقفت تلك الفتاة التي اكتسبت بشرتها سمرةً
فريدة من أشعة شمس أيام الشروق المنصرمة، انتصبت هناك
حافية القدمين تراقب أضواء السفن التجارية المُبحرة غرباً باتجاه
قناة التجار البحرية، هبّ نسيم البحر ليحرك خصلات شعرها
الذهبي المموج جانباً بينما اقترب من خلفها أحد الرجال الذي
انحنى انحناءً بسيطة احتراماً لها، استقام بعدها ليلمح بدوره سفن
إيستاليا التجارية وهي تبحر بسلام وسط ظلمة الليل، عندها قال
وهو يعلم بمدى الغضب المتنامي في جوف سيدته في هذه اللحظة:

- لا تقلقي يا إيفاء، تراجعنا الآن لا يعني خسارتنا.

أدارت الفتاة رأسها ناحية الشاب لتقول له:

- سنتناقش بهذا الأمر في وقتٍ لاحقٍ، أما الآن فأخبرني، هل من أخبارٍ جديدةٍ عن العاصمة؟

وقبل أن يجيبها، أخرج الشاب مُغلفًا مَخْتومًا وسلّمه لها ليقول:

- لقد وصلتكَ هذه من كونت وينشستر.

التقطت الفتاة المغلف وفتحته على عَجالة، راحت تقرأ ما خطه الكونت رايموند على أوراقه لها، وما إن فرغت حتى مزقت الرسالة إلى قطع صغيرة قبضت عليها بيدها مُعصرةً إياها، لتقول مخاطبةً الشاب بحزم:

- اجمع الرجال يا لوكاس، علينا تغيير خططنا... فقد غيرت الرياح من اتّجاهها بالفعل.

فتفتحت إيّفا قبضتها وأفلتت قصاصات رسالة رايموند، طارت الأوراق الصغيرة مع هبات رياح الشمال الباردة لتستقرّ على سطح البحر، اختلطت مع مياهه المالحة وزَبَدِهِ الأبيض فذاب الحبر من على الأوراق التي ابتلعها الأمواج العالية.

تأرجح جرس البرج الرئيسي في بناء الأكاديمية وتلاه قرع بقية أجراس العاصمة عند تمام الساعة الرابعة والعشرين، فتسلّل غيلبرت على مهلٍ من غرفته، ألقي بنظرةٍ أخيرةٍ إلى بيتر شريكه في الحجرة وهو يغط بنوم عميق قبل أن يغلق درفة الباب بحذرٍ، وما إن التفت حتى رأى ليون يقف مُستندًا إلى حائط الرواق بانتظاره، فسأله غيلبرت:

- ألم ينتبه إليك أحد؟

- لا أملك شريكًا في الغرفة لهذا خرجت دون مشاكل.

تحرك الاثنان مُغادرين بذلك سكن المُتدرّبين ليَتجها إلى مهجع الأميرة وحاشيتها، كان هدف ليون هو غرفة ريس على وجه

التحديد، مع غياب الحراسة تم قفل جميع الأبواب لهذا اضطر الاثنان إلى التسلل عن طريق الشرفة، تسلق الاثنان الجدران الخارجية حتى بلغا الشرفة، وثب ليون أولاً ومن بعده غيلبرت الذي سأل بأنفاسٍ منقطعة:

- ما الذي يجعلك تعتقد بأنه لم يتم قفل شبابيك الشرفة أيضاً؟

- ومن الذي سيهتمُ بقفلها؟

ثم دفع بها ليون إلى الداخل بكل بساطة ليقول بابتسامة المنتصر:
- أرايت.

دلف غيلبرت إلى الداخل متجاهلاً سخريه صاحبه، وقف الشاب في منتصف المكان ليضع يديه على خصره وهو يقول:

- حسناً، ما الذي نبحث عنه تحديداً؟

كان ليون قد بدأ في البحث بين أرفف مكتب ريس ليقول:

- عندما تحدثت في الاحتفال مع بعض الحراس أخبروني بأن

والد ريس "بول وايتمان" هو أحد مستشاري الملك، لهذا لا يمكنني الوصول إليه بسهولة طالما أنه محمي خلف مركزه العالي.

أطلق غيلبرت تصفيراً يدل على مقدار انبهاره:

- من الواضح بأنه رجلٌ شغوفٌ بعمله، وإلا كيف تمكّن من

الوصول إلى منصب كهذا.

قلب ليون صفحات أحد الكتب بين يديه على عجلة ليغلقه مجبياً:

- لا يمكنني أن أنكر هذا، فهو شخصٌ لا يدخرُ جهداً عندما

يتعلق الأمر بالعمل..

ثم التفت ليون ناحية غيلبرت مضيفاً:

- ومع هذا، فقد كان رجلاً قديراً بكلّ ما تعنيه الكلمة.. وأحد

الأمر القذرة التي عشقها هو المال.

أطلق غيلبرت نخرة ساخرة وهو يبحث في دولاب الملابس:

- هه ألا يجعل هذا من جميع البشر يقعون تحت التصنيف ذاته، فلا أعرف بشرياً لا يحب المال.

قال غيلبرت جملته الساخرة وهو يسحب أحد معاطف ريس من الدولاب، فرمى ليون عليه الكتاب الذي بين يديه غاضباً:

- أنا لا أعنيها بالطريقة التي فهمتها أيها المغفل.

كان غيلبرت قد تفادى رمية ليون بانحنائه إلى الخلف، حافظ الشاب على توازنه غير أنه أوقع معطف ريس أرضاً، فانحنى لالتقاطه مع الكتاب المرقي، عندها قال ليون مفسراً:

- ما أحاول قوله أن العمدة كان يحب المال لدرجة لا يكثرث معها بالوسيلة التي يستخدمها لجمعه، فهو يقبل بالرشاوي بكل أنواعها، كما اعتاد على النهب من أموال ضرائب أهل القرية كما لو كانت ماله الخاص.

كان غيلبرت قد استقام وأعاد معطف ريس إلى موضعه وهو يستمع إلى حديث ليون، وقبل أن يخطو إلى الأمام ليُعيد الكتاب انتبه إلى أوراقٍ كانت قد وقعت أرضاً، فالتقطها وهمَّ بقراءة محتواها ليقول بعد ذلك:

- هنالك شيء عن حركة سير البضائع بهذه الأوراق.

ترك ليون ما بين يديه بعد أن شدّه ذكر البضائع، فأخذ الأوراق من بين يدي غيلبرت ليقراً ما بها، فسأله الأخير:

- هل يمكننا أن نستفيد من هذه المعلومات؟

طوى ليون الأوراق ثم سأل:

- أين عثرت عليها؟

رفع غيلبرت الكتاب بين يديه مجيباً:

- لا أدري.. أعتقد بأنها وقعت من هذا الكتاب... بالمناسبة يملك هذا ال ريس ذوقاً رديئاً... هه شعر الأحباء.

مُتجاهلاً تعليق صاحبه أخذ ليون الكتاب من بين يديه ليحشر الأوراق بين صفحاته ويُعيده إلى مكانه على رف المكتب، ثم تأكد من أن كل شيء في مكانه الصحيح قبل أن يسير ناحية الشرفة:

- هذا خيطُ كافٍ يا غيلبرت، سنتبع خطَّ سير تلك البضائع ولنأمل بأن توصلنا إلى دليلٍ أكبر.

في هذا الوقت تمكَّن كل من ماغي، جاك، ودونالد من التسلُّل بنجاح إلى خارج بناء سكن المُدرِّبين، سار الثلاثة كاللصوص في الساحة الخلفية حتى انتهت ماغي إلى حركة مُريية من البناء الجانبي، فدفعت بالشابين ليختبئوا خلف أعمدة الرواق الخارجي، فسأل دونالد هامساً والذي بالكاد تمكَّن من أن يحشر جسده خلف العمود:

- ما الأمر، هل عاد حرس الأميرة؟

أطلت ماغي برأسها من خلف عامودها لتنبه إلى جسمين مُتشيئين بجدار البناء الخارجي في الجهة المُقابلة للساحة، انتظرتهما حتى وصلا إلى الأرض حتى بان لهما وجهاهما مع إضاءة الشعلات في ذلك الرواق، فقالت باستغراب:

- إنهما الأخوين ستوكرا

أطلَّ الشابين برأسيهما، فقال جاك مؤكداً ما رأيته ماغي:

- أنتِ مُحققة إنهما ليون وغيلبرت.

انتظر الثلاثة ذهاب ليون وغيلبرت، وعندها خرجوا من مخبأهم وأكملوا طريقهم ناحية السور الخلفي، عند أقلِّ ارتفاع للسور شبك دونالد يديه أمام ماغي ليعاونها على التسلُّق، فوضعت الفتاة قدمها وارتفعت إلى الأعلى بمساعدته، تشبَّثت ماغي بحافة السور وتفقدت المكان خارجاً ثم أشارت للشابين بأن الطريق سالك قبل أن تقفز إلى الجانب الآخر، انتظرت هناك بينما كان جاك

يتسلق الجدار وهو لا يزال مُحْتَاراً من رؤية ليون وغيلبرت قبل قليل:

- يبدو بأن ارتيابك فيما يتعلق بليون في محله يا ماغي.

تخَصَّرت ماغي بثقة على الجانب الآخر لتردَّ على ما قاله جاك:

- هل صدَّقني الآن؟

فقال دونالد الذي كان ينتظر دوره لتسلق الجدار:

- المهم ألا يكونا قد انتبهوا لنا.

بعد أن تمكَّن الثلاثة من اجتياز السور قصدوا السوق القديمة، حيث أخبرهما دونالد عن مطعم والده والذي يقع في موقع يقصده معظم الزائرين للعاصمة.

في بناء الأكاديمية أوصل ليون صاحبه إلى غرفته، من ثمَّ عاد هو إلى غرفته، مدَّ ليون يده ناحية مقبض الباب فشعر بوجود شخصٍ ما في الداخل، ابتلع الشاب ريقه الجاف ودفع بدرجة الباب ليتفاجأ بالصبي جو الذي استدار بذهول هو الآخر، لم تأخذ اللحظة منهما الكثير حتى أدركا بأنهما شريكان في الغرفة، فقصد ليون جانبه من المكان، جلس على سريره بينما تابع جو إخراج ملابسه من حقيته، دام الصمت بينهما لفترة قصيرة قبل أن يكسره ليون مُعزياً:

- يؤسفني ما حصل لأخيك روي.

تجمَّدت يدا جو للحظة في الهواء إلا أنه عاد لمتابعة عمله، أخذ ملابسه وبدأ يصفها في دولابه دون أن يلتفت ناحية ليون، ففهم الأخير بأن الصبي لم يتجاوز ما حصل حتى الآن، نهض ليون من موقعه وراح ناحية دولابه من أجل تغيير ملابسه، أزال رقعة عينه وخلع قميصه وهو يولي جو ظهره، لم يعرف ما عليه قوله لمواساة الصبي، بل لا يعرف إن كان هو السبب فيما حصل أم

لا، وقبل أن تبتلع أفكاره السوداء لأكثر من ذلك، تحدث جو:

- هل تعرف من هو قاتل أخي؟

جمد ليون في موضعه على إثر تلك الكلمات، فتابع جو مُلقياً
بسؤالٍ أثقل من الذي سبقه:

- هل هو أحدكم؟

استدار ليون ناحية جو، وهو يدعو بقرارة نفسه أن تكون لديه
الشجاعة الكافية على مواجهة الصبي الآن، وكأن الأدوار قد
قُلبت بينهما، نظر ليون ناحية الصبي بكلتا عينيه، إلا أن وهج عينه
اليسرى هي كل ما كان ينظر إليه جو في المقابل، فقال ليون:

- سألت غيلبرت وأوليفر، وأؤكد لي بأنهما ليسا الفاعلان.

- وماذا عنك؟

عُقد لسان ليون من وقع السؤال الأخير، لم تكن المفاجأة من
نبرة جو وحدها، بل أيضاً بسبب الجراءة التي نحتت معالم وجه
الصبي فبدا وكأنه كَبُرَ عاماً كاملاً منذ لقائهما الأخير، وقبل أن
يجد ليون الطاقة الكافية على الإجابة تفاجأ الاثنان بباب الغرفة
وهو يُفتح عليهما، أدار الاثنان رأسيهما في الوقت ذاته فظهرت
لهما إلينور التي بدت نصف نائمة، ضحكت الفتاة بسداجة وهي
تقول معتذرة:

- آسفة، اعتقدت بأنه الحمام.

ثم تراجعت إلى الخلف وغطت وجهها حرجاً بعد رؤية ليون
دون قيصه، لتنسحب وتغلق الباب وهي لا تزال تعتذر على الجهة
الأخرى، فقال جو مع بحّة في صوته وكأنه على مشارف نوبة
هلع:

- لقد رأت عينك.

ثم عاد ليُشير إلى عين ليون اليسرى وهو يُكرّر ما قاله:

- لقد رأتها يا ليون.

نظر ليون إلى رقعة عينه التي خلعها مع قيصه وهي تستقر فوق سريره قبل أن يندفع سريعاً ناحية الباب، كان على وشك فتحه والمحاق بالينور إلا أن جو استوقفه:

- انتظر، سأذهب أنا للتحدث إليها، خروجك خلفها الآن قد يزيد الأمر سوءاً.

ابتعد ليون عن الباب ففتحته جو وتفقد الرواق، استطاع أن يلحظ إالينور وهي تسير مُبتعدةً جُرى ناحيتها قائلاً:

- انتظريني يا إالينور، أنا أيضاً أريد الذهاب إلى الحمام.
توقفت إالينور وهي لا تزال تُمسك خديها المحمرَّين، فسألها جو باسمًا:

- ما بال وجهك؟ هل أنتِ بخير؟

وبخجلٍ مُفرط أجابته:

- إنها المرة الأولى التي أرى بها شاباً من دون قيصه، يا إلهي كم هذا مُحرج.

ضحك جو من مقدرا براءة إالينور، ثم أشار إليها ناحية اليمين قائلاً، دورة مياه الفتيات بتلك الناحية.

في الغرفة جلس ليون مُنتظراً عودة جو، مضى ما يُقارب العشرين دقيقة قبل أن يُفتح الباب ويدلف جو إلى الداخل، فهض ليون من فوره، عندها قال له جو:

- لا تتلقى، هي لم تنتبه لعينك اليسرى، كانت مُحرجةً لأنها رأتك من دون قيصك فقط.

ارتقى ليون على السرير بأريحية كون سره لم يكشف ل إالينور، وبخرج قال جو وهو مُطرقُ الرأس:

- أنا أعتذر... ما كان عليّ أن أشكَّك بك قبل قليل.

ودون أن يتمكن من النظر ناحية الصبي أجاب ليون:

- لا تلم نفسك أيها الفتى، فالحذر واجب عندما تتعامل مع الوحوش مهما بدت مسالمة.

أوت ميا إلى سريرها في اللحظة التي عادت بها إلينور إلى الغرفة، فسألتها وهي تضم وسادتها:

- هل ضللت طريقك إلى الحمام؟

ضحكت إلينور بمرح و هي تؤكد لزميلتها ما جرى لها، ثم أوت إلى سريرها هي الأخرى، تدثرت الفتاة تحت غطاءها الدافئ بعد أن تمت ل ميا أحلاماً سعيدة وأغلقت عينيها، غير أنها لم تتمكن من إغلاق الصوت العالق في رأسها، ففتحت عينيها وسألت:

- ميا.. هل نمت؟

وهي لا تزال تعانق وسادتها أجابت ميا بصوت ناعس:

- لا.

فاستدارت إلينور ناحية ميا، أنزلت الفتاة غطاء سريرها فلم يظهر منها إلا عيناها الخضراوان عندما قالت:

- أيمكنك أن تعيدي علي قصة الغابة؟

ثابتت ميا وهي تصارع مارد النوم بكسل، فاستنفذت ما تبقى لديها من وعيها لتجيب:

- حسناً، عندما كنا في الطريق..

غير أن إلينور أوقفتها لتقول مقاطعة:

- يمكنك البدء من الجزء الذي قصدت به الغرفة العلوية.

فركت ميا جفن عيناها الثقيل لتتذمر بصوت ناعس:

- كم هذا مزعج.. ما الذي حدث بعد ذلك؟.. أه نعم ظهر لنا

ذلك المخلوق على إطار النافذة، فتوهجت عينه في الظلام..

قاطعتها إلينور مجدداً وهي تقبض بقوة على طرف غطاء سريرها:

- أي عين كانت؟

كانت ميا قد نامت عند تلك النقطة، سمعت إينور صوت
شخيرها ومع هذا ألفت بسؤالها وهي سارحة بظلام الغرفة:

- هل كانت عينه اليسرى؟

مع الساعات الأولى لبداية تدريبات اليوم التالي كانت الأميرة
قد عادت مع كيث إلى الأكاديمية، هذه المرة عادت بمباركة
من والدها الملك الذي وافق على مخطّطها، كما طلب منها تولّي
أمر الرأي العام أيضاً، لهذا قرّرت هيلينا أنه من الأفضل خروج
المتدربين في دوريات أسبوعية حتى تتباهى بقوّتها أمام الجميع
وتُظهر مدى سيطرتها على الأمن العام.

في الحانة القريبة من متجر جاسبر كان جيرمي يتسكّع هناك
بكسل، يشعر بالنعاس بعد أن أضاع ساعات النوم بسبب رعايته
للطفلة ميمي التي فضّلت السهر، مرّ النادل من أمامه وهو يحمل
المشروب لطاولة يجلس عليها مجموعة من الرجال المُلثمين، وضع
لهم النادل شرايبهم ثم عاد إلى موقعه وقد شدّه الضجيج خارجاً،
من خلال باب الحانة المفتوح على الساحة انتبه الجميع بمن فيهم
جيرمي إلى لوحة الإعلانات والتي بدأ الناس بالتجمهر حولها،
وخلال دقائق قليلة ازداد الصخب خارجاً ممّا دفع صاحب الحانة
إلى الخروج والوقوف عند أعتاب الباب، استوقف الرجل صبيّاً
كان يجري من أمام الحانة فسأله:

- ما الذي يحصل هناك؟

فأجابه الصبي الذي بدا مُستعجلاً في مسعاه:

- إنهم مخلوقات الليل، لقد نمت رؤيتهم.

مُستغلاً دهشة الرجل تمكن الصبي من الإفلات وإكمال طريقه،

ابتعد عن الحانة بعد أن بلغ ما قاله مسامع كل من كان فيها،
طار أثر النعاس من جفون جيرمي، فنهض الشاب وخرج من
الحانة ليقصد التجمع عند لوحة الإعلانات، بين الكثير من
الأوراق المثبتة هناك برز من بينها إعلان جديد علّق في الساعات
الأولى من هذا اليوم، يحمل ختم القصر الملكي بالإضافة إلى ختم
أكاديمية الفرسان، بيان عام يشير إلى اعتراف القصر الملكي بوجود
مخلوقات الليل، كما يطلب من الجميع التوجه إلى الساحة العامة
لسماع خطاب الملك:

- هل هذه مزحة ما؟

هذا ما قاله جيرمي قبل أن ينتزع الإعلان من مكانه متجاهلاً
الصيحات والجدالات من حوله، قرأ ما كُتب به مجدداً بغير
تصديق ولم يلبث الإعلان بين يديه طويلاً حتى انتزعه شخص آخر،
فعاد جيرمي جرياً إلى متجر جاسبر، اقتحم المكان ليصيح بفزع:

- هل قرأت بيان القصر الملكي؟

كان جاسبر يجلس في مكانه المعتاد، يدخن غليونه الطويل بغير
اكتراب للفوضى الحاصلة خارجاً، فابتسم الرجل وهو يهز رأسه:

- وأخيراً قرروا الاعتراف بوجودها.

- مهلاً.. هل كنت تعلم بحقيقة وجودها مسبقاً؟ لم لم تخبرني

بهذا؟

أخرج جاسبر الغليون من فمه نافثاً الدخان من حوله كما لو كان
مدخنة صغيرة ليقول مجيباً:

- وهل كنت لتصدّقني أيها الشاب؟

ثم صمت لتسرح عيناه بخيوط الدخان وكأنه يسترجع ذكرى
محددة، ثم قال:

- أنا لا أعلم بحقيقتها فقط، بل حظيت بشرف لقاءها أيضاً.

تهد جاسبر لينهض من موضعه، تحرك على مهل حتى بلغ باب

المتجر، راح يتأمل الفزغ المُرْتَسَم على وجوه الناس خارجاً فقال مُضِيفاً:

- أَسْأَلُ الْآنَ مَا الَّذِي سَيَفْعَلُونَهُ هُمْ فِي الْمَقَابِلِ بَعْدَ أَنْ كُشِفَتْ تِلْكَ الْوَرَقَةُ لِلْعَامَّةِ.

فِي الْحَانَةِ أَنْزَلَ مُورَدُوكَ زَعِيمَ عَصَابَةِ الذُّبِّ لثَامَهُ وَدَفَعَ بِمَشْرُوبِهِ جَانِباً، ثُمَّ اسْتَقَامَ لِيُخَاطَبَ رِجَالَهُ الَّذِينَ أَصَابَهُمُ الْفَزْغُ مِنَ الْخَبْرِ الْمُنْتَشِرِ خَارِجاً:

- لَا تَقْلِقُوا، سَمَضِي بِمَجْدُولِنَا الْمُعْتَادِ دُونَ تَغْيِيرِ.

دَخَلَ رِيسٌ إِلَى مَهْجَعِهِ فِي بِنَاءِ الْأَكَدِيمِيَّةِ، كَانَ أَمَامَهُ بَضْعٌ دَقَائِقٌ لِلِاسْتِرَاحَةِ قَبْلَ الْعُودَةِ وَالِانْضِمَامِ مُجَدِّداً إِلَى الْأَمِيرَةِ لِحَضُورِ تَدْرِيبَاتِ الْيَوْمِ، ارْتَمَى الْفَارِسُ عَلَى سَرِيرِهِ مِنْهَا، يُقَلِّبُ مَشَاهِدَ الْبَارِحَةِ فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ، لَقَدْ اعْتَرَفَ ذَلِكَ الْعَجُوزُ بِالْحَقِيقَةِ أَخيراً، وَلَنْ يَدُومَ الْأَمْرُ طَوِيلًا حَتَّى يَلُومَهُ الشَّعْبُ عَلَى إِخْفَاءِ الْأَمْرِ، عِنْدَهَا سَتَبْرِزُ ابْنَتُهُ لِتَحُلَّ مَحَلَّهُ، وَعِنْدَهَا فَقَطْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مَنْ يَقِفُ إِلَى جَانِبِهَا وَلَا مَجَالَ لِظِلِّ أَيِّ رَجُلٍ آخَرَ، فَانْتَصَبَ رِيسٌ مِنْ مَوْضِعِهِ، عَلَيْهِ أَنْ يَعِيدَ الْمِيَاهَ إِلَى مَجَارِيهَا مَعَ أَمِيرَتِهِ بِمَا أَنَّهَا لَا تَزَالُ غَاضِبَةً مِنْهُ، فَقَصَدَ مَكْتَبَةً وَالتَقَطَ بَعْضَ الْأَوْرَاقِ، أَرَادَ أَنْ يَعْتَذِرَ بِطَرِيقَةٍ أُنِيقَةٍ تُنَاسِبُ رَقَّةَ فَتَاتِهِ، احْتَارَ قَلِيلاً فِيمَا عَلَيْهِ كِتَابَتُهُ، وَسَرَحَ الشَّابُّ بِخَيَالَاتِهِ الْوَرْدِيَّةِ مُتَأَمِّلاً تَرَاقِصَ لَهَيْبِ الشَّمْعَةِ الصَّغِيرَةِ عَلَى مَكْتَبِهِ، إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّتْ عَيْنَاهُ عَلَى كِتَابٍ لَمْ يَكُنْ فِي مَوْضِعِهِ الْمُعْتَادِ، كِتَابٌ شَعْرٌ قَدِيمٌ، اعْتَقَدَ بِتَفْكِيرِهِ الْبَسِيطِ أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَهِيَّةٌ تُرْشِدُهُ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، فَسَحَبَ الْكِتَابَ وَقَلَّبَ صَفَحَاتِهِ بِشَغْفٍ، حَتَّى تَوَقَّفَ شَغْفُهُ لِحِظَةِ رُؤْيَيْهِ لِأَوْرَاقِ وَالِدِهِ تَسْتَقِرُّ هُنَاكَ بَيْنَ صَفَحَاتِ شَعْرِ الْأَحْيَاءِ، التَقَطَ رِيسُ الْأَوْرَاقِ الْمَطْوِيَّةِ وَفَرَدَهَا بِغَيْرِ فَهْمٍ، مَتَى وَضَعَ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ هُنَا؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِ الْأَمْرَ الْكَثِيرَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَعَادَ يُكْمِلُ مَشْرُوعَهُ الصَّغِيرَ قَبْلَ بَدْءِ التَّدْرِيبَاتِ.

خلال ساعات قليلة كان تدريب كيث قد بدأ بحضور الأميرة، ولاحظ بقية المُتدربين عودة أبناء الكونت رايموند أيضاً، ومن دون أي مُقدمات دخل كيث في صلب الموضوع، وضع نسخته الخاصة من كتاب القواعد أمامه وراح يُلقي بالقوانين على المتدربين بسرعة فائقة، ثم شرح لهم عن نوعية الأسلحة الجديدة والتي عملت رابطة الصيادين على تطويرها في السنوات الماضية، وبعد أن تأكد من ذكر الأساسيات ترك موقعه وتوجّه ناحية الباب قائلاً:

- آمل أن تكون ذاكرتكم قوية، فهذه القوانين قد تُنقذ حياتكم اليوم، والآن إلى الإسطبلات أيها المُتدربون وليُسرّج كل واحدٍ منكم حصاناً مناسباً، فتدريب اليوم حقيقي.

ودون أي تأخير تبعه الجميع لتنفيذ أوامره، سرج ليون وغيلبرت جواديهما وقد استوقفهما منظر بعض العربات التي تحمل على ظهرها مجموعة من الأقفاص الحديدية، فاقترب جو من الشابين ليقول مُعلقاً بقلق:

- يرغب عمي بأن نصطاد بعضها اليوم، نحن لا نفعل هذا بالعادة إلا إذا كان لغرض الحصول عينات بهدف دراستها.. ثم أدار الصبي رأسه ناحية عمه ليقول مُضيفاً:

- غير أنني أشك بأن يكون هذا هدفه من تدريب اليوم.

ريثما كان المُتدربون يستعدّون اقترب كيث ناحية هيلينا التي كانت تُداعب فرسها، مسح اللورد بدوره على رقبة الفرس البيضاء ليقول:

- من الأفضل ألا تأتي معنا اليوم.

رمقته هيلينا بنظرة تحدّ ثم صعدت على ظهر فرسها لتردّ عليه:

- أنا من بدأت كل هذا يا كيث، لهذا لا تسلبني ما عملت جاهدةً على تحقيقه.

ودون أن يملك حتى الاعتراض ابتعد كيث عن طريقها:

- حسنًا، ولكن ابقِ مع الفرسان الأربعة في وسط التشكيل، سيكون هذا أكثر أمانًا لك.

اقرب رِس بعد أن شعر بأنها فرصته، وضع يده في جيب معطفه ليلتقط ورقته التي دون بها اعتذاره، إلا أن الأميرة صدته وسارت بفرسها ناحية البقية.

بمعنويات قتالية مُرتفعة تحرَّك الجميع بتشكيل يشبه جسم القارب، مُدبِّ من الأمام والخلف بينما يرتكز معظم المُقاتلين في الوسط حيث ستكون هيلينا برفقة فرسانها، فتحت البوابات وخرج الجميع ناحية هدفهم مُرتدين لباسهم المُوحد الذي يحمل شعار أكاديمية الفرسان، مدبِّجين بالسلاح وكأنهم ماضون إلى حرب حقيقية، ساروا في شوارع العاصمة ووسط أنظار الشعب الذي اجتمع في الساحة العامة لسماع خطاب الملك، كان جاسبر وجيرمي هناك ينتظرون بترقب شأنهم شأن كل شخص وصله هذا النبأ، من موقعه راقب ثيودور موكب ابنته يمر بجانب نصب أركون المؤسس، وقفوا هناك للحظة من أجل إلقاء التحية قبل المُضي في طريقهم، خفى الملك رأسه لهم قبل أن يتحدث مُخاطبًا شعبه:

- أظن أنه من واجبي الاعتذار قبل كل شيء، لقد أخطأت كما أخطأ أسلافي بإخفاء الحقيقة من قبلي...

تحرَّك موكب هيلينا على مهلٍ مع خطاب والدها الذي تابع قائلًا:

- لهذا أطلب منكم وبكل تواضع إعطائي الفرصة لتصحيح هذا الذنب حتى نعود إلى المسار الصحيح...

نقل ثيودور نظره من النصب التذكاري إلى منصة خشبية كانت قد أقيمت خلال الساعات الأولى من هذا اليوم، بُنيت في مُنتصف الساحة العامة ففهم الجميع هدف اللورد كيث الذي

كان قد غادر مع الموكب خلال لحظات، قطب جاسبر حاجبيه وهو يستمع بصمتٍ إلى تعالي همسات الناس من حوله، وقد برزت الأعين الغائرة من بين الجموع مُنتظرةً كلمات الملك الذي قال:

- بعد البحث والتحقيق اكتشفنا بأن حوادث الاختفاء في الآونة الأخيرة كانت بسبب تلك المخلوقات، لهذا لن نسمح لهم بالتمرد لأكثر من ذلك...

من بين الجموع الغفيرة أزاح هايدن الابن الأكبر للكونت رايموند غطاء رأسه ونظر إلى الملك بعينين ساخرتين، اتسعت ابتسامته الصفراء بعد أن أفلت نخرة مُستهزئةً لتهديد الملك الصارخ لهم، فقال ثيودور بوجهٍ محتقنٍ غاضبٍ وقد وصل خطابه إلى ذروته:

- سأنزل القصاص بهم اليوم وأرىكم مدى ضعفهم أمام قوتنا...

- لنقتلهم..

- سنسترجع أبناءنا منهم...

صرخ الناس تفاعلاً مع خطاب الملك، بينما هَلَل بعضهم الآخر مؤيدين القرار ومُطالبين بأقصى العقوبات المُمكنة، من بين الناس خرجت تلك السيدة التي كانت تبحث عن أبنائها، ارتمت باكية أمام حاشية الملك لتقول ودموعها تحكي قصتها:

- أرجوك أيها الملك، أعد لي أبنائي... أعدهم لي..

بينما في هذا الوقت كان موكب الأميرة في طريقه شرقاً، تحدث اللورد كيث بمجرد بلوغهم أطراف الغابة:

- هذا هو الموقع الذي تُشير إليه التقارير الأخيرة..

ثم توقف ليلتفت ناحية المتدربين مُضيفاً:

- انظروا إلى جذوع الأشجار..

لاحظ الجميع انخدوش المفتعلة والتي أشار إليها كيث على بعض جذوع الأشجار من حولهم، فتابع مُفسراً:

- إنها دليل على دخولنا إلى منطقتهم، من الأمور التي يجب أن تعرفوها أن تلك الوحوش تعيش ضمن تجمعات صغيرة في أماكن لا تتخللونها، كأن تكون أسفل شجرة عجوز وسط غابة كثيفة، أو في جوف كهفٍ عَفِنٍ بأعلى الجبال الشاهقة، أو ربما داخل كوخٍ خشبي عتيق حيث تعجز خيوط الشمس الذهبية عن بلوغها، نحن الصيادون نسمي تلك الأماكن بالأوكار، لأنهم يستخدمونها بأيام الشروق للاختباء حيث يقل نشاطهم طوال تلك الشهور، ويقتاتون فقط على طرائدهم التي جمعوها قبل شروق الشمس، لذلك ما إن يبدأ الليل الطويل تعود مخلوقات الليل إلى نشاطها وتبدأ حملات صيدها وبعض طرائدها تكون من بني جنسنا.

قاطعته دونالد الذي سأل وهو يراقب مُحيطه بحذر:

- أهذا هو حقاً سبب حوادث الاختفاء في الآونة الأخيرة؟

- نعم...

أكد كيث ما قاله دونالد ثم أضافه:

- المشكلة أن حوادث الاختفاء بزيادة مستمر خلال السنوات الماضية، وهذا يعني بأن أعداد تلك المخلوقات يتضاعف.

توقف كيث فجأة عن الكلام، فترجل لويس عن جواده وهو يصوب وتده الخشبي أمامه ليحمي بذلك التشكل من جهة اليمين، كما فعلت روز الشيء ذاته من جهة اليسار، في الوسط اقترب ريس بجواده من الأميرة مستعداً لأي هجوم، تمايلت ظلال الأشجار المعتمة من حولهم وازداد حفيفها مع هيجان رياح الشمال الباردة، شعر كيث ببركة بعض المتدربين فقال بصوت عالي:

- إننا في منطقتهم الآن، لهذا لا ترخوا دفاعاتكم، وكونوا على

استعداد لهجومهم بأي لحظة.

ما كاد كيث يُنهي جملة حتى ظهر أول مخلوق من جهة اليسار، لمعت عيناه الجراوان وسط الظلمة قبل أن يباغت إلينور بهجومٍ سريع، ومن شدة فزعها سقطت الفتاة من على ظهر جوادها أرضاً فاندفعت روز برشاقة لتطعن المخلوق في موضع قلبه باستخدام وتدها فأطلق الوحش صرخةً مدويةً كأني حيوان مُحْتَضَرٌ قبل أن يقع ملتوياً على الأرض، تحرّك بطريقة مُفزعَةٍ أمام الجميع قبل أن يسكن جسده ويبدأ بالتحلل إلى غبار بشكلٍ تدريجي وسط رعب المُتدربين، فصرخ بهم كيث:

- لا تتفوا مُتفرجين كالحق، ابقوا متأهبين فلم يبدأ الأمر بعد.

وبفأة خرج اثنان آخران من بين الشجيرات على يمين التشكيل، صدّ لوس أحدهما بينما تمس والتر واندفع يشق طريقه من بين المُتدربين ليقطع رأس المخلوق الآخر، وخلال لحظات سمع الجميع صوت زجرة مخلوقات الليل الهائجة من بين الأشجار الكثيفة من كل مكان، وهنا فقط علم الجميع بأن الهجوم الحقيقي على وشك أن يبدأ الآن، قفزت ميا من فوق جوادها واندفعت إلى جانب إلينور، ساعدتها على الوقوف بعد أن شاهدت النقاط الحمراء تضيء بين فروع أغصان الشجيرات تباعاً، من الطرف الآخر نزلت ماغي من على حصانها مع جاك ودونالد ليمدوا يد العون ل لوس حيث اندفع ناحيته سبعة وحوش دفعة واحدة، أشار كيث إلى المُتدربين لحماية مؤخرة التشكيل فأدار ريفن جواده ناحية الجهة الخلفية واستل سيفه، عن يمينه تقدّم أوليفر وهو يحمل على وجهه ابتسامة ساخرة وكأنه في نزهة ما، ليسأل مازحاً:

- أليس من الأفضل أن تكون إلى جانب فتاتك؟

ثم أشار له بطرف عينيه ناحية الأميرة، غير أن ريفن لم يعره اهتماماً وظل متأهباً لأي هجوم من الخلف.

من موقعه في المقدمة كان جو سيذهب ليحمي رأس التشكيل

بجانب كيث لكنه تردد بعد أن شاهد ليون وغيلبرت وهما لا يزالان فوق جواديهما، يقفان هناك بصمت وكأن الأمر لا يعنهما، فاقترب جو منهما ليقول بصوت خافت:

- ألن تفعل شيئاً؟

ارتبك الصبي وهو يخشى أن يلاحظ البقية تصرفهما المشبوه، فعاد ليحثهما قائلاً:

- حاولا أن تُمثّلا ولو قليلاً.

تبادل غيلبرت وليون النظرات فيما بينهما قبل أن يقول ليون وكأنه يبحث عن شيء ما في نهاية الطريق أمامهم:

- من الغريب أن تنشط هذه المنطقة مجدداً.

ودون أن يفهم شيئاً سأل جو وقد بلغ قلقه أعلى درجاته:

- لا تقولوا لي بأن هذه المنطقة تخصكم.

هز ليون رأسه نافياً ثم قال مُصححاً:

- لا، ولكنها كانت منقطة صيد السيدة..

ثم أدار رأسه ناحية صاحبة مُضيفاً:

- أعني والدّة غيلبرت.

اعتصر غيلبرت لجام حصانه بكلتا يديه ليسأل ليون:

- هل تعتقد بأن والدتي قد عادت لتسيطر على هذه المنطقة مجدداً؟

- لا، فلا يمكنني الشعور بها...

ثم أدار رأسه ونظر إلى الاشتباكات من حوله ليُضيف قائلاً:

- أنا أعرف كل وجوه التّابعين لوالدتك، ويمكنني أن أوكد لك بأن كل الوجوه هنا جديدة.

- تبا.

شتم غيلبرت بغضب بعد أن أدرك ما الذي يعنيه هذا، فسأل
جو وقد ضاع وسط هذا الحوار:

- وما معنى هذا الأمر؟

أدار ليون حصانه وراح يمسح المكان من حوله مُجيباً:

- هذا يعني بأن هذه المنطقة قد أصبحت تحت سيطرة سيدٍ
آخر..

توقف ليون بعد أن دار بجواده دورةً كاملة ليقول:

- سيدٌ آخر ذو دمٍ نقي.

- هل يعني هذا بأننا في ورطة؟

سأله جو، فابتسم ليون ساخراً من هذا الحظ العاثر ومُجيباً:

- آخر ما أتمناه هو أن نعلق بصراع ما بين أصحاب الدماء
النقية.. لكن لا مجال للهرب يا فتى فأنا وأنت عالقان مع أحدها
بالفعل.

- ماذا!

شهِق جو قبل أن يضع يديه على فمه وقد فهم بأن ليون يُشير إلى
غيلبرت كأحد أصحاب الدماء النقية، أما غيلبرت الذي لم يرق له
الوضع برُمته استلَّ سيفه من غمده ليقول مخاطباً ليون:

- لئن هذه المهزلة سريعة، فأخر ما نريده الآن هو أن ينتبه الجميع
بأنك أكثر المستهدفين بهذا الهجوم.

- وهو كذلك.

انتهى الحوار بين الاثنين فانطلق غيلبرت ناحية اليمين معاوناً
من كان هناك، بينما توجه ليون إلى يسار التشكيل، ضرب بسيفه
عن يمينه وشماله مُبعداً بعض الوحوش التي حاولت بلوغه وهو
فوق جواده، ثم أخرج قوسه وسهامه وبدأ يطلق على البعيدة منها
ليوقعهم الواحد تلو الآخر، حتى أنه تمكن من إسقاط بعض

الوحوش التي كانت تحاصر إلينور وميا، ثم قفز من على ظهره جواده ليتعلق بأحد الأغصان العريضة من فوقه، وبعد أن أصبح في موقع أفضل لمسح المكان عاد ليون ليُمطر ساحة المعركة بسهامه من الأعلى، كان حريصاً على أن تقتل سهامه كل مخلوقات الليل، فلم يرغب الشاب بأن يرى المشهد الذي يسعى كيث إلى تنفيذه بالتعاون مع هيلينا والملك.

بجانب لويس تمكّنت ماغي من ردع عدد لا بأس به، أبلت الفتاة بلاءً حسناً حتى الآن لكنها لم تنتبه إلى أحد الوحوش الذي تسلّل من خلفها خلسةً، اقتطع مخلوق الليل بمخالبه الطويلة الهواء مُستهدفاً ظهرها، لكن سيف جاك كان له بالمرصاد، صده بقوة كسرت معها مخالب الوحش الحادة، ثم ركله جاك بعيداً ليُلصق الشاب ظهره بظهر ماغي ويقول وهو يرفع سيفه:

- هل أنتِ بخير؟

- مم

أجابته الفتاة بإيماءة من رأسها، وعيناهما الحادتان ترصدان المزيد من الوحوش أمامها، فرفعت هي الأخرى سيفها أمامها لتقول مُتذمّرةً كعادتها:

- كم هذا مزعج.

مُستغلاً انشغال الجميع تسلق أحد المخلوقات والذي كان ضخم البنية جذع شجرة عالية في الجهة الأخرى ثم قفز مُنقضاً على اثنين من المُتدربين في الوسط، كان أحدهما بيتر والذي حاول أن يوقف مخلوق الليل بمعاونه زميله، إلا أن الأخير ارتعب من منظر وجه الوحش الهائج الذي كان يطبق بأسنانه كالكماشة مُحذّثاً صوتاً يقشعر له البدن، فهرب المُتدرب تاركاً بيتر يُصارع لوحده، ارتجف الأخير بموضعه ودفع برأس رمح الخشبي ناحية قلب المخلوق، إلا أنه أخطأه فانقضّ عليه مخلوق الليل وعَضَّ كتفه مُقتطعاً بذلك جلده وجزءاً من لحمه، صرخ بيتر ألماً بينما

كانت دماؤه تندفع بغزارة، سقط على ظهره مُمسكاً بجرحه وهو يحاول الهرب بحياته زاحفاً إلى الخلف عندها التقت عيناه بعيني مخلوق الليل المُستعلتين كالبحر فشاهد فيهما بيتراً مشهد نهايته وهو يرتسم بلون دماؤه الحمراء، أغلق الشاب عينيه مُنتظراً مصيره، إلا أن اللحظة قد طالت فعاد ليفتح جفنيه ويجد بأن مخلوق الليل تجاوزته مُكماً طريقه ناحية الأميرة، استدار بيتراً وهو لا يزال على الأرض ليصرخ مُحذراً:

- احموا سمو الأميرة.

ارتبك ريس فقد كان مشغولاً بصدد أحد المخلوقات من جهته كما كان بقية الفرسان يملكون بوضع مماثل، فوجدت هيلينا نفسها بمواجهة حتمية مع هذا الوحش الضخم وحدها، رفعت سيفها وهي تتخيل منظر وجوه الأطفال الذين قُتلوا على أيدي هذه المخلوقات، فغلى الدم في أوردتها رغماً عنها بينما زجر مخلوق الليل في وجهها، انساب لعابه المزوج ببقايا دماء بيتراً من بين أنياب فكه ليتساقط ككلٍ لزجة على الأرض الموحلة، من موقعه في الخلف دفع ريفن أحد الوحوش عنه واستدار يجري لنجدة الأميرة وهو يصرخ بها:

- ابتعدي عنه يا هيلينا.

أطلق مخلوق الليل الضخم صرخةً مدوية وهو يقترب ناحية هيلينا، غير أنه توقف بعد أن أصبح وجهه البشع أمام وجهها بشبر واحد، نفث بأنفاسه العفنة في وجهها قبل أن يهوي على ركبته لافظاً الدماء من فمه وليقع صريعاً بعدها، فأوقعت هيلينا سيفها من هول اللحظة، لم تعرف الفتاة لم سقط هذا الشيء صريعاً وهي لم تمسسه بنصل سيفها، كان ريفن قد وصل إليها وراح يتفقد إن كانت قد تعرضت لأي أذى، ودون أن تأبه له أنزلت رأسها ونظرت إلى جثة الوحش الصريع لتجد إجابتها تستقر في ظهره، كان قد تلقى سهماً برأسٍ خشبي اخترق قلبه من الخلف، فأزاحت هيلينا ريفن من مجال بصرها لترى بأن ليون هو من

أنقذها في اللحظة المناسبة.

خلال نصف ساعة كانت المعركة قد انتهت مع هزيمة آخر مخلوق ليل على يد كيث الذي سحب وتده الخشي من رقبة المخلوق وركله برجله إلى داخل أحد الأقفاص، ثم استدار وألقى نظرة إلى المتدربين من خلفه، كانت هنالك بعض الإصابات الطفيفة هنا وهناك إلا أنه لم يفقد أي أحد منهم، فاستقبلهم بابتسامة عريضة ليقول بفخر:

- أبلتكم بلاءً حسناً أيها الفرسان.

مسح دونالد العرق من على جبينه ثم ألقى بجسده إلى الأرض مُنهكاً، استلقى هناك على الأرض ليقول وهو ينظر إلى سماء الليل البهيم من فوقه:

- كانت هذه معركةً جنونية.

- معك حق.

أيده جاك الذي كان يتفقد المتدربين من حوله، سار بين وجوههم المنهكة حتى استقر نظره على ماغي وهي تقف في منتصف المكان، سرحت الفتاة بمنظر ما تبقى من رماد مخلوقات الليل في ساحة المعركة تتأمل المشهد من حولها بتعاسة، فعلق دونالد الذي لاحظ نظرات جاك إليها:

- مهما كانت الفتاة قويةً ومُستقلةً بذاتها فهي تظل كائنًا رقيق المشاعر في النهاية...

ثم اعتدل دونالد بجلسته مُضيفاً:

- لهذا لا تجعلها تقف وحدها لمدة طويلة.

على أحد الجوانب جمعت ميا بمساعدة إلينور المصابين ومن بينهم بيتر، ضمت ميا جرح كتفه ثم وكرته لتقول مازحة:

- هل علينا أن نضعه بأحد تلك الأقفاص تحسباً للأسوأ؟

ودون أن تكون لديه أدنى فكرة بدأ بيتر يتلّس وجهه فرعاً وقد

نسي آلامه، راح يسأل أخته مذعوراً:

- ماذا.. هل سأتحول يا إيلي؟

عاينت إلينور عيني بيتر، دققت النظر بهما ثم أجابت بيروء قاتل:

- لا أدري لكن عيناك مُحترتان بالفعل..

ثم ربتت على كتف أخيها لتقول بابتسامة ساذجة:

- لا بأس يا أخي قد لا يكون الأمر بهذا السوء.

احتاج بيتر فزعاً بينما كانت أخته قد سرحت بمنظر ليون الذي أصبح في مجال بصرها، كانت ستذهب للتحديث معه إلا أنها توقفت بعد أن قال جو الذي وصل لتوه يحمل جراب الماء للمصابين:

- لا تتلق يا بيتر، فمخلوقات الليل التي واجهناها ليست من أصحاب الدماء النقية.

على الجهة الأخرى التقط ليون خرق الملابس من بين الرماد المتبقي ليسأل غيلبرت:

- هل لاحظت طريقة هجومها؟

في المقابل ربع غيلبرت ذراعيه وهو يتأمل مشهد أكوام الرماد والعظام، ثم رفع رأسه لينظر ناحية الأميرة وفرسانها جُجياً:

- نعم.. لقد اعتقدت بأنها ستستهدفك بما أنه لا يمكن تجنب رائحة دمائك، لكنها كانت تستهدف الأميرة بشكلٍ واضح.

أفلت ليون الملابس ونفض كفيه من الرماد وهو يراقب هيلينا:

- كُنْتُ مُتَيْقِناً من أنها ستصبح هدفاً لمخلوقات الليل، إلا أن الردَّ جاء سريعاً.

وبمنتصف حوارهما قاطعهما جو الذي اقترب ناحيتهما قائلاً:

- نحتاج إلى المساعدة في حمل بعض المصابين.

أوماً له الشابان بالموافقة ولحقا به ناحية الجرحى والمصابين،

ولكن ما إن أصبح ليون قريباً من الدماء حتى نبضت عينه اليسرى بعنف، أصبح منظر الدماء مغرياً أكثر من المعتاد، فتوقف الشاب ولم يتابع التقدم لأكثر من ذلك، وضع كفه فوق الرقعة الجلدية وضغط عليها كما لو كان يرغب بسحق عينه من تحتها حتى تتوقف، غير أن الأمر لا يتوقف عندها، فالرائحة باتت أكثر حلاوة أيضاً، لهذا تراجع ليتعذر:

- اسبقاني إلى هناك، سأذهب أنا لإحضار الخيول.

بعد أن صدته هيلينا قبل قليل ابتعد ريفن عن المجموعة وراح ينظف سيفه، لم تدم خلوته طويلاً حتى قاطعها حضور أوليفر الذي قال وهو يرفع أصابعه الخمس:

- كُنت ستصبح منقذها لو أنك كُنت أسرع بخمس ثوانٍ فقط...

استمر ريفن بمسح نصل سيفه متجاهلاً أوليفر الذي كان يتابع تحرك الأميرة ناحية ليون عند موقع تجمع الخيول، فقال الأخير بنبرته المستفزة:

- أنا أشفق عليك يا ريفن، وكأنه لا يكفيك أن تكون الأميرة مُعجبةً بأحد فرسانها، فها هي الآن تنظر إلى أخي الأصغر بمودة. وفجأة استل ريفن سيفه ليقف نصله الحاد عند رقبة أوليفر:

- ما الذي تُريده يا ستوكر؟

اتسعت ابتسامة أوليفر الشيطانية ليقول بشغف:

- لقد أخبرتك يا ريفن منذ لقائنا الأول.

تمالك ريفن أعصابه وسحب سيفه لابتعد عن أوليفر قائلاً:

- توقف عن تجاوز حدودك معي يا ستوكر، فأنت لا تعرف من أكون.

على الجهة الأخرى أراد ليون المأطلة قدر استطاعته بجمع الخيول فاستغلت هيلينا الموقف ودنت ناحيته، أرادت شكره على

إنقاذها، ومن بعيد وقف رَس بلا حولٍ أو قوة يُتابع المشهد وهو يسحق رسالة اعتذاره بقبضته حتى رمى بها أرضاً وداس عليها بجزمته غاضباً.

بعد أن تمَّ التعامل مع كل المُصابين طلب كيث من المُتدربين جمع كل بقايا العظام لإعادتها معهم بالإضافة إلى الطرائد الحيَّة التي أمسكوا بها، خلال ساعات قليلة عاد موكب الأميرة إلى العاصمة بنصرٍ ساحقٍ، بعد وصولهم إلى الساحة العامة وعلى مَرأى من جميع سكان العاصمة تكفل كيث بوضع الأقفاص في منتصف المنصة الخشبية، بأعينها الحمراء زججت مخلوقات الليل من خلف القضبان كوحوش نائرة فبرزت أنيابها وأدرك الجميع حجم الكذبة التي عاشوا بها طوال تلك السنوات، وقبل أن يشتعل غضبهم ألقت هيلينا بالشعلة في المنصة فالتهمت النار الخشب وزحفت حتى بلغت أجساد الوحوش الحبيسة في أقفاصها، احترقت جلودها وانسلخت عن أجسادها بينما كانت تصرخ ألماً، تعالت صرخاتها المرعبة مُقابل تهليل الحشود المُحتفلة الذين ملؤوا الساحة، من موقعه تابع ليون المشهد بشيء من المرارة في حلقه، فلم يكن هذا منظرًا يستحق الاحتفال، ووسط غمِّه اقترب منه أوليفر ليقف بجانبه، راقب الشاب المنظر ذاته ثم خاطب ليون هامساً:

- أنت آخر شخصٍ يحق له إظهار مثل هذا الوجه الحزين..

ثم قبض أوليفر على يد ليون لِيُتابع وهو يضغط على أسنانه غيضاً:

- لا تنسَ بأن يديك ملطَّختان بالدماء أيضاً أيها الحيوان القذر.

وجأة قطع حديثه منظر انطلاق بعض السهام الخشبية ناحية المخلوقات المتفحمة لتخترق صدورها وتريحها من عذابها، فاستدار الجميع ليجدوا بأن كيث هو من فعلها، أنزل اللورد قوسه ليقول:

- دائماً تأكّدوا من قتلها بالطريقة الصحيحة.

سقطت مخلوقات الليل لتتحول إلى رماد، وأتت النيران على

بقايا عظامها، تصاعدت ألسنتها عاليًا وبدت العظام المتفحمة
بوسطها كمشهد من الجحيم نفسه، هل الشعب إشادةً بالأميرة
وفرسان الأكاديمية وأطلقوا صيحات النصر من كل حدب
وصوب احتفالاً بهذا النصر الساحق، فقال كيث مخاطباً
المتدربين:

- سأعود أنا مع المصابين إلى الأكاديمية، أما البقية فيمكنكم
الذهاب والاحتفال بإنجازكم اليوم بشرط أن تعودوا قبل الساعة
العاشرة.

سعداء بحصولهم على وقتٍ للتسوية أخيراً، تفرق المتدربون خلال
ثوانٍ قليلة، كانت إلينور ستذهب برفقة ميا إلا أنها طلبت منها
الانتظار قليلاً:

- انتظريني هنا، سأذهب لأسأل اللورد كيث عن أمي مهم.
ثم انطلقت ناحيته، وجدته يتناقش ببعض الأمور المهمة مع
الأميرة وما إن فرغ حتى اقتربت منه لتسأل بتردد:
- أيها المعلم، هنالك سؤال يُحيرني.
- ما أمر يا إلينور؟

بنبرة مرتبكة سألت وهي تضع يديها على عينيها اليسرى:
- ما الذي يعنيه أن يكون المخلوق الليل عين حمراء واحدة؟

أزعج بكاء ميمي المتواصل بعض الزبائن في متجر جاسبر، فأشار
الأخير لجيرمي بأن يفعل شيئاً لإسكاتهما، غير أن الشاب كان
قد فعل كل ما بطاقته، استخدم كل الحيل التي يعرفها حتى
استنفذها كلها، لهذا قرر الخروج بالصغيرة من المتجر لعل وعسى
أن يفيدها الهواء النقي خارجاً، توقف الشاب ولم يتجاوز الباب
بعد أن ظهرت ميا أمامه ترفقها إلينور:
- توقيتُ جيد يا ميا.

هذا ما قاله جيريمي وهو يدفع بالطفلة الباكية ناحية ميا،
فأمسكت بها وراحت تداعبها برفقة إلينور.

في هذا الوقت كان ليون بطريقه إلى منتصف السوق القديمة
لتسليم تقريره اليومي إلى أحد خدم قصر ستوك، التقى بفتى
الإسطنبول بأحد الأزقة وسلّمه تفاصيل التقرير حتى يوصله بدوره
إلى كورفينا والكونت رومان، كان ليون سيعود إلى غيلبرت إلا
أن فتى الإسطنبول استوقفه بنبرة مُتردّدة:

- كولين..

استدار ليون ناحية الفتى ليقراً في تعابير وجهه ما لا يسره، فقال
فتى الإسطنبول آسفاً:

- أعتذر، ربما لا ينبغي أن أخبرك بهذا، لكن..

وبعنين دامتَين أكمل الفتى:

- لقد ماتت روز ماري، قتلها السيدة بعد أن فقدت السيطرة
على نفسها بالكامل.. كل خدم القصر يعلمون بأنك كنت تحاول
مُساعدتها وابنتها لهذا شعرت بمسؤولية إخبارك...

استمر الفتى بالتحدث إلى ليون دون أن ينتبه إلى أنه كان قد
فقد التواصل معه بعد عبارة "قتلتها السيدة" ليغرق الشاب مُخْتَنَقاً
بتلك الكلمات تحديداً، مُفتقراً للرد المناسب ابتعد ليون ليترك
الفتى خلفه، سار كالحمور دون وجهة مُحدّدة بعد أن ترك
القرار لقدميه حتى تواملا السير لوحدهما، وقبل أن يدرك كان
قد انتهى به الحال أمام متجر جاسبر، استوقفه بكاء الصغيرة
ولفت انتباهه مشهد ميا وإلينور وهما تُحاولان صنع بعض التعابير
المضحكة بوجهيهما لإسعادها بينما كان جيريمي يجلسها بصعوبة في
حجره، راقب ليون المحاولات العقيمة لإيقاف بكاء ميمي، وهنا
سمع صوت غيلبرت وهو ينادي عليه:

- ليون!.. ها أنت ذا..

جرى غيلبرت ناحية صاحبه:

- ما الذي تفعله هنا؟ ألم يتفق على الذهاب إلى..

إلا أن غيلبرت توقف بعد أن لاحظ سرحان صاحبه ليسأله:

- هل من خطيِّ ما؟ لقد أوصلتَ التقرير، أليس كذلك؟

أوماً ليون برأسه أنه قد فعل، ثم سار ناحية متجر جاسبر مُتجاهلاً غيلبرت، عبر الباب فانتبه الثلاثة له لتتوقَّف إلي نور عما كانت تفعله وتساءل:

- ليون! ما الذي أتى بك إلى هنا؟

كان ينظر إلى الصغيرة دوناً عن الجميع عندما قال:

- أيمكنني المحاولة؟

نهض جيريمي الذي اكتفى من بكاء الصغيرة من فوره، حملها بين يديه وسلمها إلى ليون:

- أرجوك إن كُنت تملك طريقة لإيقافها فلا تتردّد.

أمسك ليون بالصغيرة بكلتا يديه، حملها أمامه وراح يتأمل عينيها الباكتين قبل أن يضمّها إليه، لف ذراعيه حولها واحتضنها بحنان فاستجابت له بدورها، خَفَّتْ صوت بكائها الذي تحول إلى شهقات خفيفة مع نطقها كلمة:

- ماما..

كالرماح الحارقة اخترقت تلك الكلمة صدره المثقل، مُخْفِياً ألمه عن الجميع خفض ليون رأسه ووضع كفه على رأس الطفلة، ربت عليها بخفة، ثم قربها إليه أكثر ليُخاطبها هامساً والبعة في صوته تشي بمقدار الحسرة التي اعتصرت قلبه آنذاك:

- اعتذر لأنني لم أبذل جهدي لحمايةكما.

يعلم ليون بأن كلماته أكبر من استيعاب وإدراك الصغيرة، ومع هذا أراد اخراجها لأنها كانت أثقل ممّا كان يعتقد، غير مدركة

للوضع قبضت ميمي بيديها الصغيرتين على ملابس ليون، التحمت أصابعها الصغيرة بقماش سترته لتجدها وكأنها لا ترغب بفراقه، كان بالنسبة لها أكثر وجه تألفه من بعد والدتها، لهذا كانت تنفجر باكية مُستجدةً به كلما لمحت، شعرت وهي بين أحضانه بالأمان فأغلقت عينيها واستسلمت للنوم على كتفه بعد أن أرهقت من كثرة البكاء..

- أحسنت أيها الشاب.

صفق جاسبر من موقعه مُمتدحاً ما قام به ليون، فقد توقف بكاء ميمي أخيراً، ثم أشار بذراعيه إلى المتجر:

- ستحصل على خصمٍ خاصٍ بما أنك قد أنقذت المتجر من هذا الوحش الصغير.

أعاد ليون الصغيرة إلى ميا ليتراجع ناحية المخرج وهو يتأمل المتجر، فقال مخاطباً جاسبر:

- أقدر لك هذا، ربما آتي إلى هنا بين فترة وأخرى لأستفيد من هذا العرض.

غادر ليون ولا يزال الجميع مُندهشين من قدرته على إيقاف بكاء ميمي، فقال جبريمي:

- كان هذا غريباً، وكأنه ألقى تعريذة ما عليها.

حملت ميا الصغيرة بين ذراعيها فرأت السلام مُرسماً على تعابير وجهها، بجانبها كانت إلينور تسترجع ما قاله لها كيث كإجابة على سؤالها:

- ذلك وصفٌ مُحدد للغاية أيتها الشابة... حتى أنا كصياد لم أقابل إلا مخلوقاً واحداً بهذه الصفة النادرة.

نظر إليها كيث بتمعن وأدرك بأنها تعرف أكثر مما تُفصح، فقال لها ناصحاً:

- لا فرق إن كانت عيناً واحدة أم اثنتين يا صغيرتي، بالنهاية

نحن نتعامل مع وحوش فقدت إنسانيتها.. لهذا اقضي عليه قبل فوات الأوان.

قريباً من شاطئ قرية فيشرمان حيث كان الصيادون يُفرغون قواربهم من حصيلة أسماك اليوم، وفي كوخٍ يعجُّ بأدوات الصيد البحرية البدائية توسطت الأميرة إيفاً المجلس الذي يضم لوкас وبقيّة رجالها الأوفياء، اجتمعوا هناك بهدف إعادة صياغة مخططاتهم، أشار أحد الرجال إلى الخريطة بخطافه الذي ينوب عن يده المبتورة:

- اقترح أن نُعيد ترتيب سفُننا هنا..

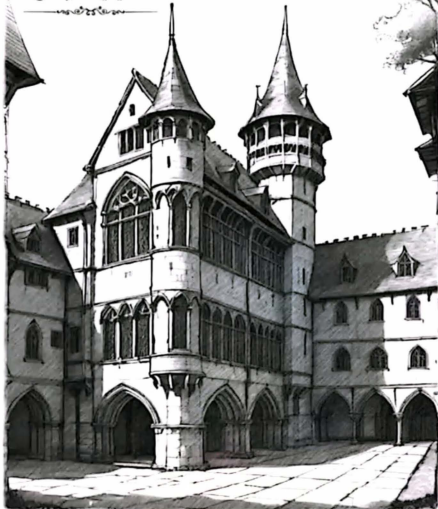
وقبل أن يسهب أكثر في شرحه، دخل عليهم أحد الرجال الذي قال باندفاع:

- أخباراً من العاصمة، لقد اعترف القصر الملكي بوجود مخلوقات الليل لعامة الشعب.

راودت ليون كوايبس مُتعددة في تلك الليلة، أحلامٌ ثقيلة بتفاصيل مُزعجة، وجد نفسه في أحدها يقف وسط بركة دماء شعر بدفئها، ومن بينها طفت جثثٌ مُمزقة صرخت من حوله دون أن تصدر أي صوت مسموع، فدفّ ذراعه لها، أراد تقديم يد العون إلا أنه توقّف بعد أن أدرك بأنها لم تكن تستجيب له، بل كانت تهرب منه فرعاً، ومع هذا حاول اللحاق بها، أراد مساعدتها لكنه وجد نفسه عاجزاً عن الحركة فانتبه إلى كيانٍ يقف على الضفة المقابلة للبحيرة، كان بعيداً لدرجة ما تمكن معه من تحديد ماهيته، استمر ذلك الشيء بترديد بعض العبارات بلغة غير مفهومة إلا أن انتباه ليون تشتت بعيداً عنه بسبب تلاطم أغصان الشجرة الكبيرة جانباً، فرفع رأسه ليجد بأن أغصانها السوداء الجافة امتدّت لتُغطي السماء من فوقه، وعلى فروع أحدها تأرجحت تفاحةٌ

حمراء يتيمة، سقطت التفاحة بفعل اهتزاز الشجرة فدّ ليون يده
 لالتقاطها وسحب رِجله مُتقدماً عندها طفت على السطح الجثة التي
 كانت تُقيد حركته لتصرخ بأعلى صوتٍ ممكن، ففتح ليون عينيه
 على وسعهما وهو يشق من شدة الفزع، كان الشعور الدافئ لا
 يزال حاضراً من كابوسه لهذا أنزل رأسه ونظر إلى نفسه ليتفاجأ
 بالدماء التي كانت على يديه وجزء من ملابسه، إلا أن المفاجأة
 لم تتوقف هنا، ما الذي يفعله في منتصف الرواق في مثل هذا
 الوقت؟ وقبل أن يجد الفرصة لإدراك ما حصل سمع صراخ
 إحدى الفتيات في نهاية الرواق المظلم ذاته.

أكاديمية الفرسان



الفصل 9 : مُذنب.

الفصل التاسع: مُذنب

طارَت أُسْرَابٌ من الخفافيش مُجتازَةً البناء الحجري القديم والقائم على حافة صخرية بين سلسلة جبال كارفينو، ابتعدت تلك الكائنات السوداء المُجنحة مُحلقةً بعد أن أفزعها صدى أصوات الجدال الصادرة من قلب ذلك البناء المهجور، بينما في الداخل كان النقاش قد احتدم بين كل الجالسِين على الطاولة المُستديرة في القاعة الرئيسية، من موقعها على الطاولة استمعت كورفينا إلى الجدال بملاحق تشي بمدى ضجرها، لقد استمر اللقاء مع وجهاء العوائل الخمسة (ستوكر، رايز، ميير، هاريس، مائيسون) لساعتين حتى الآن، ضمَّ هذا الانعقاد آخر خمس عوائل لأصحاب الدماء النقية والمُتَبَقِّية من مخلوقات الليل في مملكة ديمونتريا، توجَّب عليهم الاجتماع بشكلٍ طارئٍ لتقرير رَدِّهم المناسب على آخر تطوُّر للأحداث في العاصمة والذي قد يمتد ليُطال بقية المناطق، مُقابلاً لـ كورفينا والكونت رومان على الطاولة المُستديرة جلس رأس عائلة رايز والتي تسيطر على الشمال الغربي للمملكة حيث تفرض سيطرتها على خليج العبيد على وجه التحديد، كان الكونت رايز غاضباً لدرجة اشتعلت معها عيناه واحتقنت الدماء في وجهه حتى كادت عروقه لتنفجر، ألقى بكل الشتائم التي يعرفها ثم وجه حديثه إلى كورفينا والكونت رومان:

- كل هذا بسبب عائلة ستوكر، لو أننا التزمنا بالمعاهدات القديمة لما خرجت الأمور عن السيطرة.

قبض الكونت رومان على رأس عصاه كاجأً رغبته بالرد الهمجي، ثم قال ببرود مُصطنع:

- نحن لم ننقض أي معاهدة مع البشر.

إلا أن الرد جائه سريعاً من كونت عائلة مائيسون:

- لا تدعني أبداً بالحديث عن إيستود يا ستوكر.

وجه كونت عائلة مائيسون نظراته الجليدية ناحية كورفينا ثم

تابع قائلًا:

- ما هو تبريركم لما حدث هناك؟

كان رومان على وشك أن يُجيبه إلا أن كورفينا قاطعت حديثه لتقول بنبرة باردة استفزت الجميع:

- كانت مجرد نزوة... ما حدث في إيستود كان مجرد نزوة عابرة.

وسط استهجان الجميع ضرب كونت عائلة ميير على الطاولة الحجرية المستديرة بكلمات يديه، ليقف بعد ذلك ويقول بنفاذ صبر:

- لتذهب كل معاهداتنا مع البشر إلى الجحيم، دعونا ننطلق للقضاء عليهم.

وبسخرية واضحة سأل الكونت رومان:

- أنت وأي جيش تحديدًا؟

- يمكننا تحويل الكثير من بني جنسهم...

- وتصنع جيشًا من رتبة متدنية؟

تدخل كونت عائلة مائيسون في جدال ميير وستوكر ليقول وهو برمق كورفينا بنظراتٍ لاذعة متجاهلاً وجود زوجته الصامتة بجانبه:

- ستوكر محق يا ميير... لن يفيدنا جيش برتبة متدنية، لو أننا فقط كنا حريصين على إنجاب الكثير من أصحاب الدماء النقية لما كان هذا حالنا اليوم.

كان كونت مائيسون يُشير إلى كورفينا كأحد الإناث القلائل من أصحاب الدماء النقية، فهي خلال الخمسة عام السابقة لم تُنجب غير غيلبرت، خمسة عام كانت كفيلة بأن تُشكل كورفينا خلالها جيشًا من أصحاب الدماء النقية، إلا أنها ولأسباب يجهلها الجميع توقفت عن أداء مهمتها.

- لا فائدة من إلقاء اللوم على بعضنا البعض...

كان هذا تعليق كونت عائلة هاريس، والذي كان صامتاً منذ بداية الاجتماع، إلا أنه قرر التدخل أخيراً ليقول مضيفاً:

- لتنظر إلى الوضع من زاوية أخرى، فخلُ الرد السريع لن يكون في صالحنا، صحيح أنه يمكننا اتباع خيار كونت مير الأسهل وهو تحويل الكثير من البشر إلى مخلوقات من بني جنسنا، لكن صنع جيش من مخلوقات مُتدنية الرتبة له عواقبه أيضاً، فبالنهاية مقدار تحكمنا بهم محدود وقد يخرج الجيش عن سيطرتنا بلحظة ضعف، كما أن التقارير الأخيرة تشير إلى أن الصيادين قد طُوروا من أسلحتهم، يمكنهم الآن الوقوف ضدنا وجهاً لوجه دون مشاكل...

وقد تبدد غضبه في الهواء عاد كونت عائلة مير ليجلس على كرسيه، شبك أصابع يديه معاً فوق الطاولة ليسأل بنبهة أكثر اتزاناً:

- إذا ما هو اقتراحك يا هاريس؟

تبادل كونت هاريس النظرات مع الكونت رومان الذي أعطاه الموافقة بإيماءة من رأسه فقال:

- عائلة ستوكر أقدمت على خطوة جريئة بإدخال ثلاثة أعضاء منها إلى صفوف فرسان الأميرة، ودعونا لا ننسى بأننا نملك بعض الحلفاء من صفوفهم، وإن استخدمنا تلك البطاقات الراجعة بصورة صحيحة فسنقلب الطاولة على رأس الملك...

أُتسعت ابتسامة كونت عائلة هاريس ليقول مضيفاً:

- إن سقط الملك سقط شعبه معه.

انتهى الاجتماع بعد موافقة العوائل الخمسة على اقتراح عائلة هاريس، فغادر الجميع البناء الحجري كل إلى منطقته استعداداً للخطوة التالية، انصرفت كورفينا أولاً لتسير مُتقدمة على رومان وهي تنزل سفح الجبل بمزاج مُتَعَكِّر، فقال لها رومان الذي حاول مجازاة سرعتها:

- تمهلي يا امرأة!

توقفت كورفينا وأدارت رأسها ناحية رومان، ليس لأنه طلب منها التمهّل، بل لأنها كانت غير مُوافقة على ما جرى في الاجتماع:
- لا أصدق بأنك أخبرت عائلة هاريس بخطة إشراك أولئك الثلاثة بأكاديمية الأميرة...

بعد أن تمكن رومان من اللحاق بـ كورفينا، قال مُجيباً:
- لا يُمكننا إخفاء الأمر، فلاختبار كان على مرئي ومسمع الجميع، كما أن هذا يُعطينا اليد العليا أمام بقية العوائل..
توقف رومان عن الحديث وهو يلتمس القلق في تعابير وجه كورفينا، فسألها:

- ما الأمر يا كورفينا؟ لمَ هذا الوجه القلق الآن؟
عقدت كورفينا حاجبها ونظرت إلى قبة البناء الحجري حيث كان الاجتماع قبل قليل لتجيب بصوت خافت:
- ربما لا تكون الأمور تحت سيطرتنا يا رومان... وقعت حادثة خلال حفلة الأميرة.. قُتل أحدهم والجاني هو من بني جنسنا.
سألها رومان كاجأ غيظه قدر الإمكان:

- مَنْ من بين الثلاثة فعلها؟
- هنا تكمن المشكلة يا رومان، لا أحد من الثلاثة يعترف بفعلها.

هدأ رومان ليفكر قليلاً ثم قال:
- لا أعتقد بأنه غيلبرت فهذا ليس من طبعه، وأوليفر كان ليتفانر بفعلته أمام الجميع بكل وقاحة... هذا لا يترك أمامنا إلا...

تسارعت أنفاس ليون بعد سماعه لصوت الصراخ في نهاية الممر فرصدت عيناه الضحيتين هناك، من قلب العتمة برزت له ملامح

ماغي التي كانت تُحاول مُساعدة فتاة أخرى فاقدة للوعي بجانبها،
عندها سمعها تصرخ بأعلى صوتها طالبة النجدة:

- لِيُساعدنا أحد، لقد نمت مهاجمة روز.

انتفضت ماغي مذعورة وهي تضع يديها بقلّة حيلة لتضغط على
جرح في عنق روز مُحاولّة إيقاف النزيف، من جهة أخرى خرج
المتدربون من غرفهم بعد سماعهم لصوت صراخها قبل قليل،
فهرع جاك إلى هناك دون تفكير يرفقه بعض من زملائه، وراح
بعضهم الآخر لإخبار المعلمين بالحادثة، كان ليون يعلم بأن فرصته
للهرب تكمن في هذه الثواني القليلة قبل وصول النجدة، بالكاد
تمكّن من تجاوز الصدمة والوقوف على قدميه، فراجع إلى الخلف
ناحية الرواق الثاني إلا أنه جمد في موقعه لسماعه بعض الأصوات
القادمة من تلك الناحية أيضاً، شلّ عقله عن التفكير وقد شعر
بأنها نهايته، وقبل أن يدرك فتح باب دورات مياه الفتيات
بجانبه وتمّ سحبه إلى الداخل، أمسكت به تلك الفتاة ودفعت به
إلى داخل أحد الحمامات لترفع إصبعها على شفيتها مُشيّرة له بالألا
يصدر صوتاً، حاول الشاب كتم أنفاسه المضطربة وهو يستمع
لأصوات الأقدام التي تجاوزت دورات المياه وأكملت طريقها
ناحية الفتاتين في ذلك الرواق، غير أن ذلك ما عاد مُهماً لأن
صدمته الأكبر تقف أمامه الآن وهنا، فسأل بعقلٍ مُشوَّش:

- لماذا؟.. لماذا أنت هنا يا ليلى؟

تراجعت إلينور إلى الخلف بهدوء لتقول بصوتٍ خافت:

- انتظرنى هنا.. سأعود سريعاً.

ثم جرت إلى الخارج لتترك ليون يغرق في حيرته أكثر، هل
شاهدناه ماغي أو روز؟ بل هل علمت إلينور بأمره؟ هل هو
من قتل روي؟ وكيف وصل إلى هناك؟ وعلى مهلٍ وضع يده
على عينه اليسرى فانتبه إلى أنه لا يرتدي رقعه عينه، لمعت عينه
اليسرى بالظلام فتداخلت الصور وتشابكت الأحداث في عقله،

عاد لينظر إلى الدماء التي غطت يديه فطفت كلمات أوليفر على السطح لتُغرقه أكثر.

"لا تنسَ بأن يديك ملطختان بالدماء أيضاً".

شعر معها بالاختناق فانزلق مُلامساً الحائط خلفه ليجلس على الأرض مُنكساً على نفسه، لقد حدث الأسوأ بالفعل ووصل إلى الحضيض بعد صراع طويل، الوحش الذي كان يقارعه ويخشاه قد أعلن عن حضوره أخيراً، ووسط تلك اللحظة السوداء فتحت إينور الباب ودنت ناحيته، أعطته ملابس جديدة لتقول:

- اغسل يديك وبَدِّل ملابسك في الحال قبل أن ينتبه الجميع إلى اختفائك.

ثم ابتعدت عنه لتستدير إلى الجهة الأخرى:

- أرجوك أسرع.

فعل ليون ما طلبته إينور دون أن يُجادلها، اغتسل وبَدَّل ثيابه، فحشرت إينور ثيابه المُتسخة أسفل رداء نومها ليُغادر الاثنان المكان، أمسكت بيده لتقول وهي تدفع به ناحية غرف السكن:

- عد إلى غرفتك ف جو ليس هناك.

تم نقل روز وماغي إلى العيادة بعد وصول المساعدة، بينما راح كيث معه أرثر ويوجين وبمساعدة بعض المُتدربين بتفتيش البناء بالكامل، بحث الجميع بكل غرفة وزاوية، وبالنظر إلى جرح روز علم الجميع بأن الجاني هو أحد مخلوقات الليل، بل إنهم الآن على يقين بأن الجاني هو نفسه قاتل روي.

في العيادة لم يتمكن جاك من الابتعاد عن ماغي لشدة قلقه، كانت الفتاة مصابةً ببعض الخدوش في ساعديها نتيجةً لدفاعها عن روز، فأدارت رأسها لتُنظر إلى الأنسة بيل التي تبذل جهودها لوقف نزيف روز على السرير بجانبها بمساعدة ميا، فسحت ماغي آثار الدموع في عينيها لتقول غاضبة بعد أن أفاقَت من صدمتها:

- تلك الغيبة، كانت لتنجو لو أنها اهتمت بنفسها.

أمسك جاك كتفي ماغي ليسألها غاضباً:

- هل رأيت وجهه؟

فاستدار جميع من في العيادة ناحيتها بانتظار الإجابة، إلا أنها هزت رأسها نافية لتقول بقهر:

- لا.. كُنا نحمل فانوساً معنا إلا أنه انطفأ قبل الهجوم تماماً.. وكل ما رأيته هو وهج أحمر وسط العتمة، كان سريعاً للغاية، بل هو مختلف عن تلك المخلوقات التي واجهناها في الغابة. مُستمعاً إلى حديثها أحكم جاك قبضته ليقول مُزجراً:

- ذلك الوغد الحقيق، سأجعله يندم لأنه تجرأ على لمسك.

ثم جرى إلى خارج العيادة في الوقت الذي دخلت به إلينور، رأت جاك وهو يجتازها غاضباً، فولجت إلى الداخل ناحية ماغي، نظرت إليها وإلى الخلدوش على ساعديها، فأمسكت يديها لتسأل:

- هل أنت بخير؟

سحبت ماغي يديها لتجيبها:

- نعم لا تقلقي علي.

- ماذا عن روز؟

أتاها الرد من الآنسة بيل والتي تمكنت من إيقاف النزيف أخيراً:

- كل شيء تحت السيطرة يا عزيزتي..

ابتسمت الآنسة بعد ذلك لتطمئن الجميع:

- أنا واثقة بأنهم سيمسكون بالجاني هذه المرة، لهذا لا داعي للقلق.

ارتفعت إلينور من وقع كلمات الآنسة بيل، وأدركت بأنه من الخطأ ترك ليون لوحده في مثل هذا الوقت، فغادرت المكان

- بما أن الوضع تحت السيطرة هنا سأذهب للمساعدة في عملية البحث.

انقسمت فرق البحث لتشمل السكن وبناء التدريب، حتى أن بعضهم قد ذهب للبحث في الحلبة، تحركت الفوانيس كنقاط مُضيئة في البناء المظلم إلى أن أُشعلت أضواء الأروقة والغرف تدريجياً فأضيء البناء بدقائق قليلة، وضع ريفن فانوسه جانباً بعد أن انتهى من مسح جميع غرف الجناح الشمالي، ومن خلفه كان أوليفر يتسلّى بالسير دون أن يُكلّف نفسه عناء البحث، فقال له ريفن:

- هل أنت مُصابٌ بخُلٍ في عقلك يا ستوكر؟ كُن جاداً في البحث أو غادر.

ابتسم أوليفر وسرعان ما تحولت ابتسامته إلى ضحكات ساخرة، حتى أمسك الشاب بمعدته من شدة الضحك.

في هذا الوقت كان ليون وحيداً في غرفته، وقف أمام زجاج الشرفة يراقب رفاقه في الأسفل وهم يبحثون بجِدٍّ عن الجاني بكل مكان، ففُتح الباب ودخل عليه غيلبرت قائلاً:

- جيد أنت هنا، لقد أخفتني للحظة..

ودون أن يجد ليون الجرأة الكافية ليلتفت ناحية صاحبه قال بصوتٍ مبحوح:

- أعتقد بأن الوقت قد حان لتنفيذ وعدك لي يا غيلبرت.

حمد غيلبرت في موضعه لدى سماعه بأمر الوعد يصدر من بين شفطي صاحبه، وسرعان ما ربط الحوادث ببعضها، كم كان أحقاً عندما رُخِّع لشرط ليون من البداية، كان عليه أن يتعفّن خلف قضبان مركز الشرطة عوضاً عن الموافقة بذلك الوقت.

"سأخرجك بشرطٍ واحد"

"ليون أيها السخيف، أنت تُضيع الوقت، قد يأتي أحدهم الآن
بأي لحظة... حسنًا حسنًا ما هو شرطك؟"

"إذا حدث الأسوأ وفقدت السيطرة على نفسي، فعليك أن
تقتلني بيدك".

تردد صدى ذلك الحوار في مؤخرة رأس غيلبرت فتجمعت
الدموع في مقلتيه مُعترضًا على ما يسمعه الآن، شتم غاضبًا ثم قال
رافضًا الواقع:

- لا... أنا لن أفعلها أيها الأحمق.

- لقد وعدتني.

مُغتاظًا من ردِّ صاحبه الجاف اندفع غيلبرت غاضبًا، أمسك
ليون من ذراعه ليُدريه ناحيته، فتقابلت أعينهما قبل أن يقول
غيلبرت:

- أنظر إلي وأنت تتحدث... إن أردت أن أقتلك فأثبت لي بأنك
تستحق الموت..

ثم دفع به بقوة ليصطدم ليون بالحائط من خلفه، عندها أمسك
به غيلبرت من ياقته ليلكمه على وجهه بكل قوته وهو يُعيد ما قاله
بانفعال:

- أثبت لي بأنك الجاني أيها الوغد الحقير، هيا اجم علي وأعطني
سببًا لقتلك.

إلا أن ليون كان يتلقى الضربات فقط دون أي مقاومة،
فتوقف غيلبرت وعلقت قبضته في الهواء أمام وجه ليون، ارتجفت
هناك واهتز معها شيء ما في داخله قبل أن ينزها ويترك ليون،
ابتعد غيلبرت عنه وراح يمسح وجهه بكفيه مُطلقًا تنهيدة طويلة
تعكس مقدار إحباطه من كل ما يجري، فهذا قليلًا ليُعيد ترتيب
أفكاره، أزاح يديه عن وجهه وراح يحوم في الغرفة كنمير حبيس
في قفص، وبعد دقائق من التفكير قال مستسلمًا:

- حسناً، لنقل بأنك قد فعلتها..

وقبل أن يُكمل غيلبرت جملته اقتحمت إينور المكان لتقول
مُعرضة:

- ليون لم يفعلها.

أغلقت الفتاة الباب من خلفها ثم اندفعت لتقف بين غيلبرت
وليون، رفعت ذراعيها لتواجه غيلبرت بكل جرأة:

- أرجوك لا تقتله فهو لم يفعلها.

أجفل دخولها المفاجئ ليون وغيلبرت، فعقد الأخير حاجبيه،
بينما استمع إليها ليون وهو يكاد يشعر بشيء من الأمل بين كلماتها،
صمت الجميع للحظة مُحاولين استيعاب الموقف الغريب، فسأل
غيلبرت أخيراً:

- هل يعني هذا بأنكِ رأيتِ الجاني؟

ارتجفت شفتيها الزهريتين قبل أن تفتح فمها مُجيبةً على سؤال
غيلبرت:

- لا...

ثم أدارت رأسها ناحية ليون لتقول:

- أنا لم أره، لكنني واثقة بأن ليون لم يفعلها.

فتنهد ليون ليشيح بنظره بعيداً وهو يقول بإحباط:
- فتاةٌ ساذجةٌ.

ألقي غيلبرت بجسده على طرف السرير بخيبة أمل، جلس هناك
وأمسك برأسه ليقول لها:

- لا أريد حتى أن أسأل كيف عرفتِ بأمر ليون، لكننا نحتاج
إلى أكثر من مجرد إحساسٍ بالثقة.

أنزلت إينور ذراعيها وهي ترى مقدار الإحباط في هذه الغرفة،
فوجدت نفسها تفكر مُسترجعةً ما جرى قبل الهجوم، كانت قد

أضاعت طريقها إلى دورات المياه مُجَدِّداً عندما سمعت صوت العراك من بعيد، تلا ذلك صوت صراخ ماغي، ثم إنقاذها لليون، كانت قد خَبَّأت ثيابه المُلَطَّخة بالدماء في غرفتها قبل أن تذهب إلى العيادة، تذكَّرت رؤيتها لجراح ماغي، فتوقَّفت لتقول وهي تنظر إلى يديها وكأنها قد وصلت لاستنتاج ما:

- باتريسيا دافعت عن نفسها.

فاتسعت عيناها لتندفع ناحية ليون، أزاحت أكمامه إلى الأعلى ثم طلبت منه خلع قميصه، تردَّد ليون وهو يُلَبِّي طلبها بفتح أزار قميصه، فعل ذلك على مهل وهو يتحرَّى الإجابة بين قسمات وجهها، فسألها غيلبرت:

- ما الذي تريدن التأكد منه؟

رفعت إلينور يديها مُجِيبَةً:

- باتريسيا خدشت الجاني بأظافرها، لقد دافعت عن نفسها بخدشه.

ومع فتح ليون لآخزرز في قميصه تأكد الثلاثة بأنه ليس الجاني، فلم يكن هنالك أي أثر للخدوش على جسده.

في هذه اللحظات كان صوت ضحكات أوليفر قد ملأ الرواق الواسع وهو ينظر إلى بعض الخدوش البارزة على معصم ريفن، توقف أخيراً عن الضحك ليقول بابتسامة خبيثة:

- أنت هو الجاني يا ريفن، لهذا توقف عن التمثيل أمامي.

أدار ريفن رأسه ببرود وتفقد مُحِيطه جيِّداً، وعندما تأكد من خُلُو المكان انتقضَّ بسرعة البرق على عنق أوليفر، دفعه ناحية الحائط ليمس في أذنه كالأفعى وقد اشتعلت عيناه بلون الياقوت:

- من غيرك يعلم بهذا الأمر يا ستوكر؟

عند منحدرات جبال كارفينا كانت كورفينا لا تزال تُحاول

إقناع رومان بأنه من المستحيل أن يكون ليون هو الجاني، حتى قالت أخيراً:

- ألا تعتقد بأنني كُنت لاستشعر بدماء ضحاياهِ تفوح منه لو أنه كان الفاعل؟

سألها رومان بعد أن اقتنع بحجَّتْها أخيراً:

- معكِ حق، ولكن إلى ماذا يقودنا هذا؟

نظرت كورفينا بطرف عينيها ناحية موقع الاجتماع لتقول بحذر:

- ماذا لو كان هنالك أحدٌ غيرنا، شخصٌ فكَّر بفعل الشيء ذاته يا رومان.

وبوجه مُضطربٍ أجابها الكونت:

- من الخطر الخوض في مثل هذا الحديث هنا، لنعد إلى القصر.

كان ريفن لا يزال يمسك بعنق أوليفر، فرفع الأخير يديه بالهواء كعلامة استسلام ثم قال باسمًا:

- اهدأ يا رجل، أنا لم أخبر أحدًا.

أزاح ريفن يده وتراجع خطوتين إلى الوراء متابعًا أوليفر بحذر، ففرقع الأخير فقرات رقبته ليقول ببجاجة:

- كدت تكسر عنقي...

- أيها الوغد، لهذا كُنت تطاردني بالأرجاء..

صدرت نخرة ساخرة من فم أوليفر قبل أن يقول:

- ما عساي أن أقول، لقد تطلب الأمر مني الكثير من الجهد حتى ألفت انتباهك إليّ... المهم، لا مزيد من إضاعة الوقت ولندخل في صلب الموضوع..

ثم مدَّ أوليفر كفه ناحية ريفن مُصاحفًا:

- رغبتى لم تتغير منذ لقائنا الأول في الاختبار..

وبابتسامة شيطانية تابع الشاب قائلاً:

- الحرب تدور منذ زمن يا ريفن، وأنا أرغب بأن أكون إلى جانب الطرف الراجح بها.

عادت عينا ريفن إلى حالهما بعد أن زال الوجع الأحمر عنهما، فسأل وقد أدرك كيف كان بيدقاً بين يدي أوليفر:

- كيف لي أن أثق بك وقد بعث أخاك الأصغر لي؟

كان ريفن يشير إلى ما قاله أوليفر أثناء مهمة الصيد في الغابة.

"أنا أشفق عليك يا ريفن، وكأنه لا يكفيك أن تكون الأميرة مُعجبةً بأحد فرسانها، فهذا هي الآن تنظر إلى أخي الأصغر بمودة".

بدهاءٍ وخبثٍ منه دسَّ أوليفر بكلماته السامة في عقل ريفن مُستغلاً مشهد اهتمام الأميرة بليون بعد إنقاذها، ثمّ دفع ريفن لوضع خطة عاجلة لإزاحة أكبر مُنافسٍ أمامه، من جهته تلاشت ابتسامة أوليفر تدريجياً ليُجيب ونظرة الاشتزاز واضحة على وجهه:

- ذلك الحيوان ليس أخي، إنه مجرد تابع مُتحوّل، لهذا ألقيت به أمامك حتى تُريحه عن طريقي نهائياً، لكنك خيبت ظني في النهاية، اعتقدت بأنك وكأحد أصحاب الدماء النقية تملك قوة أكبر للسيطرة على الحيوانات الوضيعة من شاكلته.

أمسك ريفن برأسه ليقول وهو يستحضر الأحداث:

- لقد استجاب لي دون مقاومة في البداية، تمكنت من السيطرة على عقله وإخراجه من غرفته أثناء نومه إلا أنه توقف في بداية الرواق بعد ظهور الفتاتين، لم يمثل لأمر الهجوم، لهذا اضطرت لفعلها بنفسى ثم لطخت يديه بدماء روز قبل أن...

توقف ريفن وراح يُحدّق إلى يديه، فسأله أوليفر:

- قبل ماذا؟

سرحت عينا ريفن بالفراغ وكأنه ينظر إلى المشهد يتكرر أمامه الآن وفي اللحظة، فقال مجيباً وهو يتذكر وهج عين ليون اليسرى في الظلام:

- قبل أن أدرك بأنه مختلف.. بدل أن أسيطر عليه شعرت وكأنه المسيطر... كما أن رائحة دمائه أفقدتني التركيز نهائياً.

نفض ريفن الصورة في عقله بعد أن شعر بأنها تستحوذ عليه مجدداً، فقال له أوليفر:

- ربما أتعبت نفسك بجره إلى موقع بعيد لهذا فقدت السيطرة، كان عليك أن تختار ضحية أسهل كالصبي جو شريكه في الغرفة.

- هل تعتقد بأنني ما فكرت بذلك، كان جو خيارى الأول لأن أصابع الاتهام كانت ستشير إلى ليون دون عناء... لكن ذلك الصبي المغفل لم يكن في فراشه ولا في الغرفة حتى.

جلس جو بصمت إلى جانب سرير روز في العيادة حتى أتى لويس الذي كان ضمن فرق البحث، تفقد الأخير حال أخته ثم سأل جو:

- هل تأكدت من إصابتهما؟

- نعم، لا شيء يدعو للقلق.

سرحت عينا الصبي بالفراغ مُفكراً قبل أن يفتح فيه متسائلاً:

- لقد اتباني الفضول بشأن أمرٍ ما بعد مهمة الغابة، فمخلوقات الليل التي هجمت علينا كانت تتحرك بتنسيق مُنظم يُخالف غريزتها الهمجية.

رَبَّ لويس ذراعيه مجيباً:

- هذا لأنها تتبع أوامر سيدها بالطبع.

- هذا ما فكرت فيه أيضاً، إلا أنني وجدت بأن معلوماتي ضئيلة

عن هذا الموضوع لهذا أخذت كتاب القواعد وجلست في المكتبة
لأسهر على قراءته، أردت أن أعرف المزيد، كان هنالك فصل
واحد يتحدث عن قوى يمتلكها أصحاب الدماء النقية تماثل التنويم
المغناطيسي وهي فعالة على مخلوقات الليل المتحوّلة والبشر على حدٍ
سواء..

جلس لويس بجانب سرير روز بعد أن شعر بأن حديث جو
سيطول ثم قال:

- كلنا نعرف هذا يا جو، فما الذي تحاول الوصول إليه؟

ويشيء من الحذر أجاب الصبي:

- لماذا لم يُستخدم صاحب الدم النقي قوته علينا جميعاً؟ كان
بمقدوره شل حركتنا وترك تابعيه يقضون علينا دون عناء..

صمت الاثنان للحظة بعد أن وصل كلاهما إلى الاستنتاج ذاته،
فقال جو:

- إما أن يكون صاحب الدم النقي يافعاً ولم تتضج قوته بعد، أو
أنه أراد صنع عرضٍ أمام الجميع للوصول إلى هدفٍ أكبر...

ثم رفع جو رأسه ليقول مُرتبكاً:

- أخشى يا أخي أن تكون هنالك مؤامرة تُحاك من تحت
أقدامنا دون أن نعلم.

نهض لويس من مكانه لينهر جو قائلاً:

- ما هذه السخافات يا جو.. توقف عن الترتبة بأمور لا طائل
منها.

ثم ابتعد ليُشير إلى أخته:

- اعتنِ به روز بدلاً من هذه الأفكار.

دخل جو في دوامةٍ من الحيرة وهو يُراقب لويس يُغادر العيادة
على عجلة، وراح الفتى يسأل نفسه، أي جزء في حديثه تحديداً هو

ما أغضب لوس؟ ولم قد تغضبه أفكار كلك من الأساس؟

في غرفة ليون وجو، أشار غيلبرت إلى إلينور وليون بالبقاء هناك وعدم ترك الغرفة ريثما يذهب هو للتأكد من هدوء الوضع في الخارج، فوافق الاثنان ليُغادر هو تاركًا الشئاني لوحدهما، نهض ليون من مكانه ليتجه ناحية سريره، راح يُفتش عن أمرٍ ما، بحث بين الأغطية ثم ثنى ركبتيه ليُلقي نظرة أسفل سريره، ووسط انشغاله سأله إلينور:

- ما الذي تبحث عنه؟

- رقعة العين، أعتقد بأنني خلعتها قبل ذهابي للنوم..

ثم مدّ ذراعه بعد أن وجدها تستقر هناك في الأسفل، التقطها فاعتدل بجلسته على الأرض ليُسند ظهره إلى السرير، قلب الرقعة الجلدية بين يديه وهو يشعر بنظرات إلينور ناحيته، فقال دون أن ينظر إليها:

- اقترض بأنك رأيتها بذلك اليوم.

- مـ

أومأت له برأسها إيجاباً بعد أن أدركت بأنه يعني عينه اليسرى، فعاد ليون ليسأل:

- هل أخاف..

- لا.

أجابته الفتاة حتى قبل إكمالهِ لسؤاله ودون أن تحيد بنظرها عنه، تأملت وجهه الحمراء بشجاعة لتقول:

- كيف يحق لي الخوف من شيء بهذا الجمال؟

متفاجئاً بوصفها رفع ليون رأسه ليجدها تنظر إليه بوجهها البشوش، لم تختلف نظراتها الآن عن ذلك اليوم في الاختبار، ولم

يتغير موقفها أيضاً، فابتسم بتعاسة ليقول بنبرة شبه ساهرة:

- أنتِ حقاً فتاة..

إلا أنه وقبل إكمال جملته أجابته إلينور:

- فتاة غبية؟

- بل ساذجة.

مطت إلينور شفيتها لتعلق بتساؤل منها:

- أليس الشيء ذاته؟

مُقابلاً لها، قبض ليون على رقعة العين بيده ليُجيب سارحاً
بخيوطها المتدلّية من بين أصابعه:

- لا يا إيلي.. هنالك اختلاف كبير بينهما، فالغباء علّة لا علاج
لها، من يُولد غيباً يعيش ويموت بِمُحمّقه، أما الساذجة فهي نعمة لا
يُدرّكها صاحبها، إن لم تنتهي لها فقد تسلبها الحياة منك في غمضة
عين.

احتارت الفتاة بكلماته لترسم بعض التعبيرات الظريفة على
وجهها الطفولي، فقال لها ليون باسمًا ومُقاومًا الرغبة بالضحك
الآن:

- حسناً أنا أذهب ما قلته، لكن هل لي بسؤال واحد؟

- تفضل.

ضيق ليون عينيه، وبملاح أكثر جدية ألقى بسؤاله:

- ما الذي جعلك متيقن بأنني لم أكن الفاعل؟

ودون أن تصرف أي مجهودٍ في التفكير اندفعت الفتاة لتُجيبه
بحماسة تقطر من بين كلماتها:

- هل سبق لك أن سمعت بقصة الفارس والتنين؟ كان التنين
الأعور مصدر رعبٍ لأهل المملكة، كان مُخيفاً بوجهه يبدو هكذا..

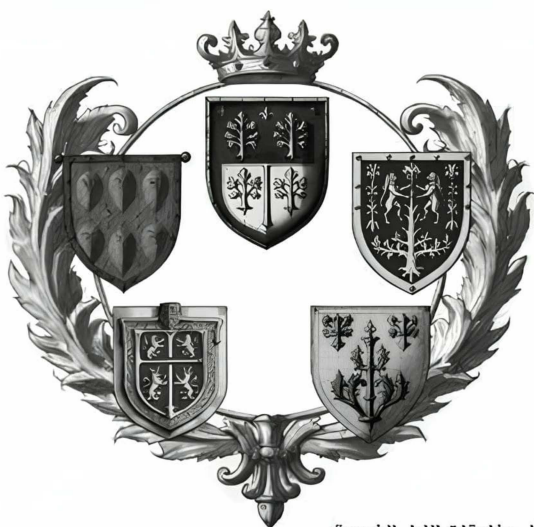
شدت إلينور خديها لتفلتها بعد ذلك، ثم فتحت ذراعيها لتمدها

في الهواء وهي تصف ضخامة التنين، لكن ما لبثت حتى زال حماسها لتصبح أكثر رصانة، فأمسكت بقلب عقد القمر الفضي لتخرجه من بين ثنایا ملابسها وهي تقول بخيبة أمل:

- رغم كل هذا فالتنين الأعور لم يقتل أحداً في الحقيقة، إنه حتى لم يؤذ أهل المملكة، أصبح مدنياً بنظر الجميع فقط لأنهم أرادوا ذلك، ووحده الفارس الشاب من أدرك تلك الحقيقة، لهذا مضى في رحلته للبحث عن التنين لوحده دون خوف، أراد مُقابلة الوحش الأعور ليس لقتاله، بل لعقد صفقة معه.

وكان بوالدته من كانت تتحدث أمامه الآن، ليس لشبه في الشكل بينهما، إنما لأسلوب في السرد والإلقاء، استمع إليها دون أن يقطعها تخفق قلب كولین الطفل الصغير من أعماق جسد لیون البالغ، كم اشتاق لوالدته، لصوتها، لملاحمها ولراحتيها، ارتجفت شفتاه لأنه أراد أن ينادي عليها لعلها تلي نداءه وتظهر ككلم من العدم، نام لیون ذلك اليوم مع تلك الفكرة متناسياً كل الأحداث البشعة التي حصلت يومها، ومتفائلاً بولادة أمل جديد من وسط رحم تلك الأحداث المزرية.

في تلك الليلة بدأت عصاة الذئاب بأول عملياتها لنقل بضاعتها الخاصة تحت حماية ريس وبعض من رجاله، خرجت يومها العربة وسارت على الطريق باتجاه وجهتها المجهولة دون أن يدرك أحد ما تحمله بين جدرانها.



عوائل مخلوقات الليل الخمسة:

تمثل آخر السلالات ذات الدماء الليلية في مملكة "ديمونثريا". ورغم توافق قوى هذه العائلات إلا أنه وملك أكثر من ألف عام كانت عائلة "ستوكر" هي المسيطرة وصاحبة النفوذ الأكبر في المنطقة.



الفصل 10 : اجتماع للتاريخ.

الفصل العاشر: اجتماعٌ للتاريخ

لم يُفلح بحث يوم أمس عن أي نتائج، إلا أن هذا لم يؤثر على جدول سير التدريبات في الأكاديمية، في أحد الأوراق جرت إينور مُسرعةً إلى قاعة درس البروفيسور داروين بعد أن تأخرت في النهوض من الفراش، مرّت ببعض الأساتذة فانحنت لتحيتهم على عَجالة، وصلت إلى القاعة وتسلّلت من الباب الخلفي لتجلس على مقعدها بجانب ميا بهدوء بينما كان البروفيسور يرسم مخطّطاً ما على اللوح وهو يتحدث إلى نفسه بصوتٍ مرتفع، حتى قرر العجوز الاستدارة بشكلٍ مفاجئٍ ليُشير ناحية إينور:

- الفتاة التي دخلت لتوها..

استقامت إينور كالمسوعة من موقعها، فسألها البروفيسور:

- ما هو الشيء الذي لا نستطيع العيش من دونه؟

- الطعام والنوم.

خرجت إجابة إينور بنفس السرعة التي ألقى بها البروفيسور بالسؤال، فانفجر الجميع ضحكاً على ما قالته، بينما فرك البروفيسور داروين رأسه ليقول مختاراً:

- حسناً، إجابتك ليست خاطئةً تماماً، لكن هنالك ما هو أكثر أهمية من الطعام والنوم أيتها الشابة.. إنه الماء...

بدأ البروفيسور بشرح أهمية الماء واسترسل بطرق الحصول عليه نقيّاً للشرب وقت الأزمات، فاستغلت إينور انشغاله لتسأل ميا بجانبها:

- هل فاتني الكثير؟

أجابتها ميا وهي تُسند ذقنها بذراعها على الطاولة من شدة الملل:

- ليس الكثير، فقط أضعنا الوقت بتفتيشٍ مزعج.

- عن أي تفتيشٍ تتحدثين؟

هزّت مِيا كَتفِها لِتُجِيبَ بِغَيرِ اكْترَاث:

- لَقَدْ تَمَّ تَفْتِيشُنَا قَبْلَ دُخُولِ القَاعَةِ.. مَن يَدْرِي مَا الَّذِي تَفَكَّرُ بِهِ
الْأَمِيرَةُ الْآنَ؟ لَقَدْ سَمِعْتُهَا تَتَحَدَّثُ مَعَ بَعْضِ الْأَسَاتِذَةِ عَنْ فِكْرَةٍ أَنَّ
يَكُونُ الْجَانِي هُوَ أَحَدُ مُرْتَادِي هَذِهِ الْأَكَادِمِيَةِ.

- مَاذَا

كَانَ كَيْثُ بَرَفَقَةٍ هِيلِينَا مُتَجَهًّا نَاحِيَةَ سَكَنِ الطَّلَابِ، الْأَمِيرَةُ
الْقَلْقَلَةُ لَامَتْ نَفْسَهَا لِأَنَّهَا لَمْ تَخْطِطْ جَيِّدًا قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَى خُطْوَةٍ
جَرِيئَةٍ كَهَذِهِ، فَقَالَ لَهَا كَيْثُ مَهُونًا الْوَضْعَ عَلَيْهَا:

- لَا تَلُومِي نَفْسَكَ كَثِيرًا، لِحَفْظِ الْآنَ لَا يَوْجَدُ بَيْنَ أَيْدِينَا أَيْ
دَلِيلٍ بِأَنَّ الْجَانِي هُوَ أَحَدُ الْمُتَدَرِّسِينَ بِالْفِعْلِ.

تَدَخَّلَ رِسُّ لِيَسْأَلَ بَعْدَ أَنْ تَمْلِكَهُ الْفَضُولُ:

- مَا نَوْعُ الدَّلِيلِ الَّذِي تَأْمَلُ بِأَنْ تَجِدَهُ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ؟

تَنَهَّدَ كَيْثُ وَهُوَ يَضْغُظُ بِيَدِهِ عَلَى جَبِينِهِ، أَصَابَهُ الصَّدَاعُ مِنْ
عَمَلِيَّاتِ الْبَحْثِ الْعَقِيمَةِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ إِجَابَةِ رِسِّ:

- بِالنَّظَرِ إِلَى مَوْقِعِ الْإِعْتِدَاءِ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَهْرَبَ الْجَانِي
دُونَ أَنْ يُلْطَخَ مَلَابِسُهُ بِدِمَاءِ الضَّحِيَّتَيْنِ.

سَارَ خَطُّ عَرَقٍ بَارِدٍ عَلَى ظَهْرِ الْيَنُورِ بَعْدَ الَّذِي قَالَتْهُ مِيا، فَدَنَتْ
نَاحِيَتَهَا لِتَهْمِسَ لَهَا:

- يَجِبُ أَنْ أُخْرِجَ يَا مِيا، أَيْمُكَ أَنْ تُعْطِيَ عَلِيًّا؟

- لِمَاذَا؟ لَقَدْ وَصَلَتْ لِلتَّوَفَقِ فَقَطْ.

وَدُونَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهَا الصَّبْرُ الْكَافِي، تَرَكَتْ الْيَنُورَ مَقْعَدَهَا
مُنْحَنِيَةً بِجَسَدِهَا أَسْفَلَ الْمَدْرَجَاتِ، كَانَ الْبَرُوفيسُورُ دَارُوينَ قَدْ
كَسَبَ اهْتِمَامَ الْجَمِيعِ بِإِخْرَاجِهِ لِلجِهَازِ مَعْدَنِي يُعَادِلُهُ جِجْمًا، أَدَارَ

العجوز المقبض وراح يشرح بحماسة كيف تمكن من اختراع آلة لتنقية المياه، فاستغلت إينور الفرصة وتسَلَّت إلى خارج القاعة بعد أن تعدَّت مقعدي جاك وماغي، وقبل أن تبتعد كانت ميا قد لحقت بها لتستوقفها، أمسكت السمراء بمعصمها:

- إلى أين يا إينور؟ ما الذي تُخفيه؟

تلَقَّت إينور بتوتّر خشية أن يشاهدها أي أحد:

- سأشرح لك فيما بعد، عليّ أن أعود الآن إلى السكن.

- لا.

شدَّت ميا من قبضتها على معصم إينور لتمنعها من الذهاب، وبمقعده القريب من الباب انتبه جاك إلى جدال الفتاتين في الخارج، بعد أن شعرت إينور بأن ميا ترفض التنازل، استسلمت أخيراً لتقول:

- إن لم أذهب الآن فسيتم الإمساك بالشخص الخاطئ.

- أي جنون هذا الذي يفوهين به يا إيلي؟ لا تقولي لي بأنك تسترين على الجاني.

لم تقوَ ميا على التحكم بأعصابها، ارتفع صوتها رغماً عنها فسمعها جاك من موقعه، اكتسحه الغضب دفعةً واحدة، فدنى على مهل مُقترَباً من الباب أكثر، أراد أن يعرف من هو الجاني الذي تستر عليه إينور، إلا أن الفتاتين كانتا قد غادرتا المكان.

فُتحت الأبواب الواحدة تلو الأخرى في السكن، وشملت عليه التفتيش كل مُتعلّقات المُدرِّبين، قُتشت الدواليب والأدراج كما تم مسح الأرضيات للبحث عن أي أثر يُحتمل لقطرات الدماء، دفع ريس باب غرفة إينور وميا التي كانت في الجناح الأخير، دخل الفارس وقَتَش في كل مكان دون أن يعثر على أي شيء، يثير الشبهات، وقبل أن يغادر انتبه إلى سرير إينور غير المنظم

وكانه تم تحريك فرشته عن موضعها، فعاد ليقب الفرشة وينظر تحتها، عندها سأله كيث:

- هل وجدت أي شيء؟

أفلت رس الفرشة مُجيباً:

- لا، لا شيء هنا أيضاً.

خرج رس مع الجميع من الغرفة وأغلق الباب لمتابعة البحث في بقية الجناح، حتى مع حرصه الشديد لم ينتبه الفارس للفتاتين المتعلقتين خارج الشرفة، كانت إلينور تمسك بكومة ملابس ليون بيد، وتشبث بدرابزين الشرفة باليد الأخرى، بينما بالكاد تسندها ميا من الأسفل لتقول الأخيرة بأنفاس منقطعة:

- تبا لك يا إيلي، لو أننا تأخرنا دقيقة واحدة لكنا نحن المتهمتان.

غادر المدربون القاعة بعد انتهاء وقت البروفيسور داروين، فتوجه الجميع إلى الساحة من أجل موعد تدريبات القتال مع يوجين، التقطت ماغي أدواتها ودقتر ملاحظاتها بسرعة لأنها أرادت اللحاق بـ جاك الذي لم تفهم سبب مغادرته على عجلة دون أن ينتظرها، تخطت الفتاة باب القاعة إلا أنها لم تدركه، فقال لها دونالد وهو يشير إلى الرواق المؤدي إلى السكن:

- رأيته يسير ب تلك الناحية.

محاولة إخفاء قلقها استدارت ماغي إلى الجهة الأخرى:

- دعنا نذهب إلى ساحة التدريب، فلا أريد أن يتم توبيخنا لأننا تأخرنا.

في هذا الوقت كان جاك قد تمكن من بلوغ البناء، وقبل أن يدلف إلى الداخل لاحظ الفتاتين وهما تسفلان من خلف المبنى بين شجيرات الصغيرة فاخبتاً مُسرعاً بجانب أحد الأعمدة قبل أن تنتبه أي منهما لوجوده، كانت ميا غاضبة وهي تحاول إقناع إلينور

بقول الحقيقة:

- كيف يتوقعين مني أن أساعدك على التستر عن قاتل؟
- للمرة الألف يا ميا، إنه ليس القاتل، حصل سوء فهم و..
- توقفت ميا لتربع يديها غير آبهة لكل تبريرات إينور ثم قالت:
- إذا أخبريني من هو يا إيلي، وسأقرر بنفسني.
- غير قادرة على الصمود أكثر أمام عناد ميا، أعلنت إينور استسلامها أخيراً لتتطرق باسمه:
- إنه ليون.

صُعقت ميا مما قالته إينور، أما جاك فقد كان على بعد خطوة واحدة من الهيجان كثور بري، ترك مكانه غير آبه للفتاتين اللتين شاهدتاه وهو يعود ناحية ساحة التدريب، فوضعت إينور يديها المرتجفتين على فها:

- يا إلهي لقد سمعنا يا ميا.

- تعالي.

أمسكت ميا بيد إينور وجرت معها للحاق بـ جاك. اصطفت المتدربون في الساحة أمام يوجين الذي ألقى عليهم ببعض التعليمات قبل أن يدخل في شرح أساليب الدفاع عن النفس:

- والآن ليختار كل واحد منكم مُنافساً له للتدريب..

في هذه اللحظة كان جاك قد وصل ومن ورائه الفتاتين تلهشان جرأً الجري خلفه، فأنبهم يوجين على تأخرهم ثم طلب منهم عدم إضاعة المزيد من الوقت والانضمام إلى بقية زملائهم، كان ليون وغيلبرت قد اختارا تنفيذ التدريب مع بعضهما، فوقفا مُتقابلين يستمعان إلى إرشادات يوجين:

- بعد أن يختار كل منكم زميله، سيمثل أحكم دور المعتدي، أما

الشخص المقابل فعليه أن يُحاول الدفاع عن نفسه بيديه العاريّتين،
وسنرى كيف ستبلون.

في الوقت الذي كان يتم تشكيل الثنائيات أشار غيلبرت إلى
نفسه مُحدثاً ليون:

- حسناً سأكون أنا المعتدي وأنت...

وهنا قاطعه جاك الذي ظهر من خلفه، أمسك غيلبرت من
كتفه ليزيحه جانباً:

- عن إذنك يا غيلبرت، لكنني أرغب بأن أنفذ هذا التدريب
مع ليون إن لم يكن لديك مانع.

غير مُدرك لنوايا جاك الحقيقية، امتثل غيلبرت لرغبته وابتعد
مُشيراً إلى ليون بأنه سيجد شريكاً آخر، تلفت الشاب من حوله
فوجد إينور تقف هناك بعيداً بذهنٍ مُشتّت، فاقترَب منها قائلاً:

- آمل ألا تُمانعي أن أكون شريكك..

ودون أن ينتظر إجابتها اتخذ غيلبرت وضعية الاستعداد قائلاً:

- يُمكنك أن تلعب دور المعتدي.

لم تكن إينور تستمع إلى غيلبرت بأي شكل من الأشكال،
أطلت بقلق من خلف جسده ناحية موقع ليون وجاك لتقول
بصوت خافت:

- سيقتله.

- من الذي سيقتل من؟

وقبل أن يجد غيلبرت الفرصة للاستفسار أكثر كان يوجين
قد أعطى إشارة البدء، فانطلقت النزالات من حولهم، اشتبك
الجميع بمن فيهم جاك الذي هجم بكامل قوته ناحية ليون، تصدى
له الأخير بوضع ذراعيه أمامه، فأزاحه هجوم جاك بضعة أقدام
إلى الخلف، كل هذه القوة التي وُضعت في هجوم واحد فاجأت
ليون، إنه مجرد تدريب، فلماذا قد يهدر جاك طاقته بهذه الطريقة؟

وبينما كان ليون يُحاول ترجمة الموقف باغته جاك بركلة سفلية فاختلَّ توازنه للحظة، إلا أنه تمكَّن من تدارك الأمر وتشقلب إلى الخلف مُرتكزاً على يديه، وثب على الأرض فقط ليجد بأن جاك يهرع ناحيته كالثور الهائج، عندها فقط أدرك ليون بأن هناك أمرٌ خاطئ.

على الجهة الأخرى اشتبكت ماغي مع دونالد وكل تركيزها مُنكب على نزال جاك من بعيد:

- لم هو ثائرٌ هكذا؟ إنه مجرد تدريب.

استدار دونالد وهو يصد هجوم ماغي ليحظى برؤية أفضل للنزال هناك، فقال ما إن حطت أنظاره على جاك:

- أَيْخِيل لي أم أنه لا يزال غاضباً منذ الاعتداء عليكِ البارحة.

توقفت ماغي عن القتال بعد أن ذكر دونالد تلك النقطة، تسمرت الفتاة في موضعها وحظت عيناها لتقول وقد أدركت الموقف:

- إنه هو، لا بد أن يكون ليون هو المعتدي.

على طرف آخر أمسك غيلبرت بيدي إيلينور بعد أن صدمته بإخباره بما جرى قبل قليل، فنهرا غاضباً:

- أيتها الغيبة، لماذا أخبرتِ ميا؟ انظري إلى نتيجة أفعالك.

لم تتمالك إيلينور نفسها، استسلمت أمام قوة غيلبرت الذي دفعها فوقعت أرضاً، وخرجت مع وقوعها قلادتها الفضية من بين ملابسها، تدلى قلب عقدها جانباً بينما كانت تنظر إلى عراك ليون مع جاك، انقضَّ الأخير على ليون من الخلف ليلفَّ ذراعه الضخمة حول رقبته بينما يستخدم ذراعه الأخرى ليُثبت يد ليون اليمنى، من جهته استخدم ليون ذراعه اليسرى والحرّة ليرخي الخناق عن رقبته، إلا أن جاك كان يستمرُّ بالضغط أكثر، وهنا استغلَّ الشاب فرصته ليقول هامساً في أذن ليون:

- سأقتلك لأنك تجرأت عليهما.

لم يكن جاك يمزح بهذا الشأن لهذا كان على ليون التصرف سريعاً، وهو على تلك الوضعية رمى ليون بنفسه إلى الخلف حتى يقع ويسقط معه جاك، وأثناء هبوطهما استخدم ليون مرفق ذراعه اليسرى ليضرب جاك على ضلوعه لحظة ارتطام جسديهما بالأرض، حدث التصادم الذي ابتغاه، لم تكن الضربة قوية بما فيه الكفاية لتوقف إرادة جاك، لكنها جعلته يرخي من قبضته حول عنق ليون، فاستغل الأخير هذه الثغرة لينساب من بين يدي جاك ويتدحرج مبتعداً.

راقب يوجين نزال هذين الاثنين بذهول كما شدَّ الأمر بعض المتدربين من حولهما، ازدرد جو لعباه وهو ينظر إليهما وهما يسدّدان اللكمات بعنف لبعضهما البعض، في الوقت الذي يلکم به جاك ليون، كان الأخير يردُّ له الضربة بأخرى مُمائلة حتى أنهِك الطرفان أخيراً لهذا اتخذ ليون قراره بإنهاء النزال على طريقته، فتوقف في موضعه وسمح لجاك بأن يغتحم الفرصة التالية، انقضَّ جاك بكامل ثقل جسده على ليون وأوقعه على ظهره، فثبتته بإحدى يديه بينما التقطت قبضته الأخرى حجراً ذو طرفٍ حادٍ من على الأرض:

- هل من كلماتٍ أخيرة؟

لاهنأ من شدة التعب ومُترقّباً ليد جاك التي كانت في مُنتصف طريقها إلى وجهه ارتسمت ابتسامة باهتة على محيا ليون ليُجيب:

- ستُفسد ماغي بدلالك الزائد لها يا جاك.

وصلت قبضة جاك إلى الأرض بجانب وجه ليون الذي كان قد أغلق عينيه، انحرفت الضربة عن مسارها وارتطمت بالأرض الترابية ليتوقف معها كل شيء، انتهى النزال إلا أن ليون لم يكن أكيداً من انتهاء المعركة الدائرة في قلب صاحبه حتى شعر بقطراتٍ تبلّل وجهه، ففتح عينيه ليرى جاك ينظر إليه بوجهٍ مُحجّرٍ،

تَجَمَّعت الدموع في مُقلتي الشاب وارتجفت شفتاه وهو يمدُّ ذراعه ناحية ياقة ليون، أزاها من جهة اليسار ليرى الندبة المخفية بين نقوش الوشم على عنقه، عندها أخفض رأسه فاقترَب يوجين منهما حيث أنه لم يفهم سبب توقف النزال بتلك الطريقة، وعندما أصبح على بعدٍ كافٍ سأل مُتعجباً:

- هل أنت تبكي يا جيك؟

مسح جاك دموعه بمرفقه وهو ينزاح مُنسحباً من فوق جسد ليون، ليُجيب يوجين مُحافظاً على رباطة جأشه أمام الجميع:

- لقد دخل بعض التراب في عيني.

أشار له يوجين ناحية دورات المياه:

- اذهب لتغسل وجهك إذاً.

أوماً له جاك برأسه ليتعد من فوره عن الساحة، عندها نهض ليون من على الأرض ليُخاطب يوجين:

- بما أن نزالنا قد انتهى، أيمكنني الذهاب إلى دورة المياه؟

دون أن يُمانع الأمر، سمح له يوجين بالذهاب، فانطلق ليون خلف جاك، عندها رفعت ماغي يدها وغيلبرت أيضاً بالوقت ذاته:

- أيمكنني الذهاب إلى دورة المياه؟

- وأنا أيضاً.

عقد يوجين حاجبيه وهو يعتقد بأنهما يجثان عن عذرٍ لترك التدريب، فأمسكت ماغي بمعدتها لتمثل بصورة سيئة:

- أعتقد بأنني أكلت طعاماً فاسداً على الفطور.

أشار لها يوجين بالذهاب، فاستخدم غيلبرت العذر ذاته:

- وأنا أيضاً، أشعر باضطراب في معدتي.

وهكذا انطلق غيلبرت خلف الجميع، فحثَّ يوجين البقية على

الاستمرار في التدريب مُحاولًا تجاهل ما حصل، إلا أنه تفاجأ بـ
دونالد يقترب ناحيته ليقول بأدب وهو يضع يديه على معدته:

- مهما كان الشيء الذي تناولته الجميع على الفطور، كُنْ على
يقين بأنني قد أكلت ضعفه يا أستاذ.

أشار له يوجين بالذهاب وقد نفذ صبره أخيرًا، فاستدار ناحية
البقية ليصرخ بهم:

- إنه الأخير، إن تجرباً أحدٌ آخر على نفس الطلب سنذهب
عندها جميعاً لتكمل التدريب هناك.

وصل ليون إلى دورات المياه ليجد جاك يقف هناك تأثماً
بأفكاره يُحاول استيعاب صدمة الموقف، فاقترب منه على مهل
عندها قال جاك مُعاتباً رفيق طفولته وهو يبذل جهده لضبط
أعصابه قدر المستطاع:

- لم تمل شيئاً منذ البداية؟

كان البقية قد وصلوا دون معرفة ما جرى تحديداً، أرادت
ماغي أن تدخل لمد يد العون مُعتقدة بأن جاك في خطر، فأوقفها
دونالد مُمسكاً إياها من عضديها:

- لا يمكنك الدخول، إنها دورة مياه الرجال.

- اتركني يا دونالد، هذا ليس وقت التصرف بلباقة.. قد يكون
جاك في وضع خطر الآن.

ركلت ماغي الهواء بينما يُمسكها دونالد فتجاوزهما غيلبرت
الذي توقف ما إن حطَّ نظره على وجه ليون، فأدرك بأن حدوده
تنتهي عند هذه النقطة، اختار غيلبرت الوقوف مُتفرجاً ومُترقباً
للخطوة التي سيقدم عليها صاحبه، فلمعت عين ليون وهو يجيب عن
سؤال جاك:

- هناك أسبابٌ كثيرة، إلا أن أهمها هو أنني لم أرغب بأن أجركم

معي إلى الهاوية.

هزّ جاك رأسه غير مُتقبِّلٍ عذرَ ليون:

- كولين الذي أعرفه ما كان ليقول شيئاً كهذا...

وبفورة من الغضب الممزوج بالعتاب أكمل:

- كما أنه لن يجرؤ على التعدي على ماغي أو أي فتاة أخرى.

هدأت ماغي بعد أن تلقت صفعَةً بسماعها لاسم كولين يُذكر على لسان جاك، قترابطت الصور والمواقف السابقة، نظرات ليون ناحيتها ومشاعرها التي طفت لحظة رؤيتها له في بداية الاختبار، عندها خلع ليون رقعة عينه غير آبه بالنتيجة، نظر في عيني رفيق طفولته:

- أنا لم أعد كولين بعد ذلك اليوم يا جاك، رفيقك الطفل الساذج مات في داخلي يومها، ومع هذا ما كُنْتُ لأجرؤ على لمس شعرة من رأس ماغي، وإن حدثت وفعلت فسأقدم حياتي ثمناً للذنب كهذا.

أخذ ليون نفساً عميقاً ثم أشار إلى نفسه مُضيفاً:

- إن أردت قتلي الآن فأنا لا ألوّمك، لكن بشرط أن تعديني بترك غيلبرت يذهب بسلام.

استثارت كلماته غيلبرت فصرخ عليه غاضباً:

- ليون!

إلا أن ليون أخرسه برفع كف يده كإشارة يطلب فيها عدم التدخل، على الجهة الأخرى اقترب جاك من ليون على مهل وهو لا يزال يرمقه بنظرات مُعاتبة، رفع قبضتيه الضخمتين في الهواء مُتجاهلاً ماغي التي تغير موقفها ما إن عرفت الحقيقة:

- توقف يا جاك، إنه كولين.

مُتجاهلاً عن كل النداءات من حوله أطبق جاك على ليون،

ليس كعدوٍ مهاجم، بل كصديقٍ مُشتاق، ضمه إليه بقوة مُسترجعاً كل ذكريات إيستود:

- حتى بعد كل هذه السنوات لا تزال ضئيل الحجم مُقارنةً بي، سأقبل بهذا كدليل كافٍ بأنك لا تزال كولن الذي أعرفه.

معانقاً صاحبه بالمقابل ابتسم ليون مُحْتَنَقاً بشوقه وليُجيبه مُمازحاً:

- كل شيء ضئيل الحجم مُقارنةً بك أيها الأحمق.

جرت ماغي التي لم تتمكن من حبس دموعها ناحيتها، لتقول باحتياج وهي تعاتبهما:

- أيها الغيان.. اعتقدت بأنني سأفقد أحداً.

ثم ارتمت ناحيتهما لتضمّهما إليها بمزيج من الفرحه والبكاء، اجتمع الأصدقاء الثلاثة بعد غيابٍ لأكثر من أحد عشر عاماً، تغيّرت معها أمورٌ عدة، إلا أن الرابط الذي جمعهم آنذاك لا يزال قوياً رغم كل الصعوبات والعقبات، بعيداً عن ذلك المشهد راقبهم غيلبرت من موقعه دون أن تكون لديه الرغبة بإفساد تلك الصورة، لأنها وعلى نحو مُفاجئ كانت المرة الأولى التي يرى بها ابتسامة ليون الحقيقية فأدرك مقدار البؤس الذي عاش به صاحبه تحت سلطة والدته كورفينا طوال تلك السنوات، وهنا تحدث إليه دونالد بعد أن شعر هو الآخر بأنه دخيل على هذه الصورة:

- من الأفضل أن نعود نحن الاثنان إلى التدريب، أعتقد بأنهم يحتاجون إلى بعض الوقت للتحديث على انفراد..

- مهلاً..

أوقفهما ليون ليقول على نحو غير متوقع:

- لا تذهبا، فأنتما أيضاً جزء من أي حديثٍ قد نخوضه الآن.

في القصر مُحاطاً بمستشاريه دفع الملك ثيودور بالأوراق التي

أمامه على الطاولة غاضباً بعد أن أتى أحدهم على ذكر موضوع الثورة، ملفٌ قديمٌ كهذا تم طيه منذ سنوات عدة، وها هو يعود ليُطرح مجدداً مُثيراً بذلك مخاوف الملك، لهذا استقام ثيودور من موضعه وفض الاجتماع رغبةً منه للاختلاء بنفسه.

رَبَّعَ ليون ذراعيه مُستنداً إلى الحائط من خلفه، وبمشاعر مُتضاربة ألقى بسؤاله على صديقه وقد هياً نفسه لأسوأ إجابة مُمكنة:

- هل.. هل ما تزال والدتي على قيد الحياة؟

نظر الاثنان إلى بعضهما وكأن بهما يُقرران من عليه الإجابة، فقال جاك:

- أترغب برؤيتها؟

تدخلت ماغي لتقول لـ جاك:

- ما هذا السؤال الغبي يا جاك؟ بالتأكيد سيرغب بذلك..

ثم وجهت حديثها إلى ليون:

- يُمكن لأحدنا أن يعود معك و...

إلا أن ليون قاطع اقتراحها قائلاً:

- لا يُمكنني ذلك.. أتمنى لو كان الأمر بـ تلك البساطة، لكنني لستُ حراً كما تعتقدان..

وباستجابة سريعة، شتم جاك عن ساعديه ليقول وهو يضرب قبضته براحة يده الأخرى:

- كم عددهم؟ بإمكاننا جميعاً أن نتعاون لتحريرك من أولئك الأوغاد.

تبادل ليون النظرات فيما بينه وغيلبرت، فقال الأخير وهو يهز كتفيه:

- لا تنظر إلي هكذا، أنت تعرف موقفي جيداً من كل هذا.
ابتسم ليون من جواب صاحبه ثم قال مخاطباً جاك:
- انتقي كلماتك جيداً يا صديقي، فنحن نتحدث هنا عن عائلة
غيلبرت.

ثم وضع يده على رقبته حيث مكان الندبة القديمة:
- والددة غيلبرت هي من فعلت هذا..

وسط دهشة الجميع تابع ليون:

- كورفينا ذات دماء نقية، وهي ليست قليلة الشأن بين بني
جنسها، إذ يمتد عمرها لنحو ألف عام، إنها حتى أكبر عمراً من
جميع سادة العوائل الخمسة...

- مهلاً مهلاً.. العوائل الخمسة؟.. ألف عام!..

قاطعته ماغي بتساؤلاتها بعد أن شعرت بأنها تاهت بحديثه،
فقال لها ليون:

- ما زلنا في بداية الحديث يا ماغي، إن الوضع مُعقّد أكثر من
ذلك بكثير، إنه ليس ببساطة قتل بعض مخلوقات الليل والهرب
إلى أحضان من نحب..

أخذ ليون نفساً عميقاً ليتابع قائلاً:

- في البداية كان الانتماء من العُمدة وابنه هو كل ما أردته،
إلا أنه سرعان ما أخذت الأمور مُنعطفاً آخر بعد أن بدأت نوايا
كورفينا الحقيقية بالانكشاف تدريجياً، من ثم جاء الإعلان عن
سر مخلوقات الليل للعلن، بالإضافة إلى الحوادث التي حصلت
منذ بداية انضمامنا إلى هذه الأكاديمية... لا شيء من كل تلك
الأحداث قد حصل بشكلٍ عيبي، يُمكنني رؤية ذلك بوضوح
الآن...

رفع ليون رأسه ونظر إلى رفاقه الواحد تلو الآخر ثم توقّف مُحذِراً
بالمكان من حولهم بحذر، فهم غيلبرت ما أراداه صاحبه، فذهب

ليتأكد من عدم وجود أي أحد في الخارج ثم عاد وأغلق الباب من خلفه، عندها اطمأن ليون وتابع قائلاً:

- يجب ألا يتعدى ما سأقوله لكم جدران هذا المكان... مجزرة إيستوود لم تكن مجرد حادث عرضي، بل كانت فعلاً مُدبراً.

بعد أن غادر جميع المُستشارين قاعة الاجتماعات ظلَّ ثيودور وحيداً يتأمل جدران المكان، رغم رحابة القاعة إلا أنه شعر بجدرانها وكأنها تطبق عليه لتحاصره هناك، مُستحضراً مشاهد المآسي السابقة والتي لا زالت كالشوكة العالقة في حلقه، تجرحه كلما فكَّر في بلعها والمُضيّ قدماً.

بينما في هذا الوقت وفي قصر ستوكر كانت عينا كورفينا تسرحان بحروف الحبر الجاف على العقد القديم الذي يستقر على الطاولة أمامها، استحضرت مخلوقة الليل في ذهنها مشاهد ذلك اليوم قبل أحد عشر سنة، عندما اجتمعت مع ذلك الرجل.

مُستشعرين وزرَ معرفة الحقيقة حتى قبل سماعها، تابع جاك ماغي ودونالد حديث ليون بتركيز بالغ، فقال لهم:

- ما فعلته كورفينا في إيستوود لم يكن بسبب نزوة عابرة منها، بل كان تنفيذاً لمهمة محددة.

استوقفه جاك ليسأل وآثار الصدمة على وجهه:

- انتظر، ألم تقل بأن كورفينا ذات مكانة عالية، فن الذي سيجرؤ على توجيه الأوامر لها؟

- فعلت ما فعلته لأنها مُلزَمة بعقد مع شركاء من البشر..

سرحت عينا ليون بالفراغ وهو يتذكر عثوره على العقد المخفي خلف مرآة تسريحة كورفينا في غرفتها في نفس اليوم الذي قابلت

به الكونت آردين، ثم عاد ليقول:

- بالتأكيد كانت لترفض الطلب لو أنه تعارض مع مصالحها،
إلا أنها نفذته لغاية في نفسها.

مازال ليون غير أكيد من غاية كورفينا نفسها، إلا أنه أصبح واثقاً من العقد بينها وبين الكونت آردين، ضمت ماغي جسدها بذراعيها مُشمِزةً من تحيل المشهد الآن، حافظت الفتاة على تركيزها بالقدر الكافي لتسأل:

- ما الذي سيجنيه أي أحد من محو إيستود بتلك الطريقة؟

- لم يكن هدفهم إيستود نفسها، بل ما بها..

وقبل أن يجدوا الفرصة الكافية لهضم الوقائع، ألقى عليهم ليون بالفاجعة الأكبر:

- عائلتي كانت هدف ذلك الهجوم، ومهمة كورفينا الأولى هي قتلي، إلا أن الأمور خرجت عن مسارها فدفعت إيستود الثمن فيما بعد.

قفز جاك من موقعه غير مُصدق، فسألت ماغي وقد توقف عقلها عن ربط الوقائع:

- لماذا؟ ما الذي فعلته عائلتك؟

- لأنه ما كان يُفترض لوالدي أن يُخلفا من الأساس، والذي ألكساندر هو أخو الملك غير الشقيق.

وحيداً بين جدران تلك القاعة الباردة سرح ثيودور تائهاً بأفكاره المشوهة، رفع رأسه ينظر إلى صور أسلافه من الملوك السابقين، بدايةً بصورة ابن الشمس المؤسس الملك أركون الأول ومروراً بكل خلفائه من بعده حتى ثبت نظره على صورته بنهاية الصف، ومن دون وعي منه نادى على اسم من لم يكن هناك:

- ألكساندر...

كانت حقيقةً لا يعلم بها الكثيرون، كون ألكساندر هو الأمير الأصغر والأخ غير الشقيق للملك ثيودور والأمير برودريك، ولد من أم مختلفة عن الملكة الأم، لهذا تنحى من منصبه وتخلّى عن لقبه كأمرٍ بمحاولةٍ منه لحقن الدماء في القصر الملكي، فالتحق بصفوف الجيش بسنٍ يافعة ومن هناك برز اسمه كمقاتلٍ وبطلٍ في الحرب المُستعلة لسنوات، ورغم ابتعاده عن عائلته ونسيان الجميع لأمره إلا أن أخاه الأكبر ثيودور لم يتخلّ عنه، ظل إلى جانبه ولم يبعده عنه إلا حمل زوجته غلوريا وولادة ابنته الأولى إيفا، خلال تلك الفترة تعرّف ألكساندر على نتاليا ليبدأ أجمل فصول حياته معها، كل شيء كان يسير على خير ما يرام حتى ضرب الواقع ضربته الأولى عندما وصل إلى مسامع ثيودور خبر زواج ألكساندر من نتاليا، كانت زوجته حاملاً بطفلهما الثاني آنذاك، لهذا تجاهل أخبار أخيه وعلّق آماله على مولودهما الثاني إلى أن جاءت اللحظة ليرزق بابنته الثانية هيلينا، رفض ثيودور الانكسار ساعتها، فابتسم للحياة وتفاءل بمستقبل أفضل، لا بأس لا يزال يافعاً وبإمكانه المحاولة مجدداً إلى أن يرزق بابن يخلفه، فجاءت الضربة الثانية لتثني آماله، نتاليا حامل بمولودها الأول، انقضت الأشهر التسعة قاسيةً على ثيودور لتُختم بولادة ابنٍ لأخيه، ودون أن يدرك انساب الوقت من بين أصابعه كحبات الرمل في عنق ساعة زجاجية، فوجد ثيودور نفسه وقد تولى الحكم من بعد والده مُكَمِّلاً بذلك المسيرة نحو النصر الأكبر في معركة الخليج الدامي، بعد انتهاء القتال وتحقيق النصر بالقضاء على أسطول الأعداء وقف ثيودور ملك ديمونتريا في وسط ساحة القتال وبقايا المعركة تُحيطه من كل جانب، متأملاً الصورة الأشمل لمستقبل البلاد، كانت لحظةٌ لُكُتِبَ التاريخ، تغنت معها أذناه بهتافات الجنود من حوله، غير أنها ما كانت تهتف باسمه، ورددت اسم ألكساندر عوضاً عن ذلك، كان هو من رسم خطة النصر بذلك اليوم وحضور الملك لم يكن إلا في اللحظات الأخيرة، وقف يومها ملازم الفصيل الأول في المياه التي وصلت لحدّ رُكْبَتَيْهِ، مُقاوماً الأمواج سرح بمنظر

جسد قبطان أسطول الأعداء يطفوا فوق سطح الماء الأحمر، وبجانبه لمح رقعة عينه الجلدية، فد يده وانتشلها بحسرة وهو يدير رأسه، ينظر إلى حيث استقرَّ جسد قائده على رمال الشاطئ حيث من المفترض أن يكون هو، اعتقد بأنه قد فقده، إلا أن صيحات الفرع تعالت بين الجنود لتمّده بأملٍ كان قد فقد:

- القائد ألكساندر لا يزال حيّاً.

مُثَقلاً بجراحه استعان ألكساندر بمُلازم الفصيل الخامس حتى يقف، رغم آلامه أراد أن يقابل رجاله برأسٍ مرفوعة، فوجد وجه الملازم الأول يستقبله بتعاسة:

- ما كان عليك إنفاذي أيها القائد.

أطرق الملازم برأسه وهو ينظر إلى ساق ألكساندر التي تهشمت بالكامل بسبب شظايا الطلقة التي كانت تستهدفه هو، من جهته تحامل العقيد على ألمه وقال باسمًا:

- لقد انتصرنا، لهذا ارفع رأسك.

وهنا تعالت أصوات التهتافات باسم ألكساندر، حتى مع حضور الملك لم يتوقف الرجال عن ترديد اسم بطل المعركة، حاول ثيودور التغاضي عن ذلك فبإمكانه تغيير التاريخ بتدوينه كما يشاء، كلمات الأغاني ستذكر اسمه بالنهاية، إنه الملك والسلطة بين يديه، كما أن أخاه قد تنحى جانباً بعد إصابته تلك، إلا أن الصراع بداخله كان أشدَّ وأقوى من آماله وأحلامه الوردية، وبعد نزاع طويل قرّر زيارته، لم يكره ثيودور أخاه الأصغر، لكنّه وجد به منافساً يتفوق عليه بكل شيء، وبذلك الزيارة اكتشف بأن الحظ قد ابتسم له أخيراً عندما شاهد خصلات الشعر السوداء تكسو رأس ابن أخيه الرضيع، وجد الأخ الأكبر بذلك مخزجاً مناسباً ليُبعد ألكساندر عن الساحة بشكلٍ نهائي، وليحفظ هو براحة البال التي يبتغيها، فانفرد بأخيه ليقول له:

- لن يستطيع طفلك العيش بسلام هنا في العاصمة، أنت تعلم

كيف يتم ازدراء أبناء القمر واستحقارهم، فلماذا لا تذهب للعيش في إحدى القرى، سأضمن أن تعيش مع أسرتك حياةً كريمةً دون مشاكل.

أمسك الأخ الأكبر بيدي أخيه يضمهما معاً متألماً من فعلته، ثم دفع بهدية وداعه في راحة يد ألكساندر ليقول بعينين تعيشين:
- هذه لك حتى تذكّر طريق العودة مهما كُنتَ بعيداً.

توجهت أطراف البوصلة الذهبية بين يدي أخيه فكانت الشاهد الصامت والوحيد على لقائهما الأخير، رغم دافعه الأناني، إلا أن ثيودور عنى كل كلمة قالها، أراد لأخيه وعائلته أن يعيشوا حياةً كريمةً لكن بعيداً عنه، لم يخفَ على ألكساندر دافع أخيه الملك، كان رجلاً واعياً ومدرّكاً لهذا، امثل لرغبته دون اعتراض، وابتعد للمرة الثانية، حاول العقيد السابق ألا يلتفت لكل ما تركه خلفه، لأن ما أخذه معه أثمن من أي شيء آخر، اختار ألكساندر إيستود بعد أن كان قد زارها بأحد رحلاته السابقة، أحبها وعشق أجواءها الهادئة ليجد بها ملاذاً لعائلته الصغيرة، هو لم ينس عائلته الأكبر والتي تركها خلفه، قد تحتاجه في يومٍ ما لهذا حرص على تعليم ابنه منذ نعومه أظفاره لعله يصبح سنداً لعمه وأبنائه مستقبلاً، ولم يدرك العقيد السابق بأن ابتعاده لم يكن كافياً لأي أحد، وخاصة بعد أن أنجبت الملكة غلوريا الأميرة الثالثة، دخلت يومها في مخاضٍ قاسٍ، وكادت أن تفقد حياتها وطفلها أيضاً، بالكاد تمكّنت الحكيمّة الملكية الآنسة بيل من إنقاذها لتعلم الملك بعد ذلك بأنه من المستحيل أن تُنجب ملكته أي طفلٍ آخر، خبر كهذا انتشر سريعاً كوباءٍ مدمر بين الخليقة، تناقلته الأفواه لتعيب الملك الذي لم يرزق بابنٍ يخلفه، اقترح الكثير من المستشارين عليه الزواج من أخرى، وهنا شعر ثيودور بأن الحياة تهزأ به، سخرت منه لتضعه بموقف كهذا، فإن تزوج بأخرى وأنجبت له الوريث المنتظر ألن يكون ابنه بنفس وضع أخيه الذي استبعد لكونه من أم ثانية؟ دخل ثيودور في معضلة أخلاقية،

وصراع شرس ما بين القيم السليمة والأعراف المتوارثة، لم يتخذ أي إجراء ساعتها لانشغاله ببوارد الحرب الباردة على الحدود، مرّت عليه السنوات التالية باردةً وقاسيةً بكليد قمم الجبال العالية، فانقسم عامة الشعب، وبدأت ثورة جديدة تعلن ظهورها في الأفق، لم يتمكن ثيودور صاحب لقب مُوحّد المملكة من توحيد كلمة شعبه آنذاك، فبات العرش حملاً ثقيلاً على أكتافه المنهكة سلفاً، لهذا وقع في خطاه الأكبر، فتح فمه وقلبه لمُستشاريه، ومنهم سارت الأقاويل كذرات الطلع الجافة تحملها الرياح لتصل بها إلى بقاع بعيدة حتى استقرت في الآذان الخاطئة ونمت هناك بعد أن غرست جذورها عميقاً لتنتج مع الزمن ثماراً عفنة، كانت فجوة صغيرة في حكم ثيودور سرّبت الماء كقطرات لا تُذكر، لكن الجميع يعلم إلى أي مدى يمكن أن تتسع تلك الثقوب الصغيرة مع الوقت، والقطرات المتفرقة ستتجمع لتصبح نهراً جارياً يصعب السباحة عكس تياره.

- ماذا لو كُنت أنت مكاني يا ألكساندر؟ كيف كُنت لتدير الموقف.

ناجى الأخ أخاه الراحل بعينين غائرتين وسط القاعة وقد شعر بأنه على شفير الانهيار، كان قد انزلق بنخيلاته وذكرياته بعيداً، لكن صوت فتح درفة الباب أعاده إلى رشده.

تابع ليون حديثه وسط صمت رفاقه:

- بالنظر إلى الوقائع يمكنني القول بأن الذي دبر الأمر أحدٌ قريب إلى ثيودور، شخصٌ بتأثير كبير يُماثل بقوته سلطة الملك نفسه، سيكون من مصلحته إبعاد كل المنافسين وإبقاء عمي كواجهة خاوية أمام العامة بينما يلبر هو كل شيء بالخفاء.

أدار ثيودور رأسه واجماً ناحية الباب، فقال من دخل عليه

باسمًا:

- تبدو مُنْهَكًا، ما رأيك لو تأخذ استراحةً قصيرة.

أوماً ثيودور برأسه موافقاً ليبادل أخاه برودريك الابتسامة ذاتها:

- أعلم بأنني أقولها كثيراً، لكن شكراً على وجودك إلى جانبي يا أخي.

توقف ليون ليتأكد من أن أصحابه ما زالوا يستمعون إليه، أراد أن يتيقن من معرفتهم خطورة كل كلمة أفضى بها، تأمل وجوههم الواجحة والتي تعكس مدى صدمتهم بالحقيقة، فلم يجد الثلاثة أي كلمات تعبر عن خليط المشاعر الذي اجتاحتهم دفعةً واحدة، فقال لهم ليون:

- إن كان الأمر أكبر من طاقكم فيمكنني التوقف هنا، وسنتظاهر بأن لا شيء من هذا قد حدث.

- لا، لا يتوقف.

حسَّ جاك على الاستمرار بعد أن أفاق من صدمته، شدَّ الشاب على قبضته ليقول باندفاع:

- نحن معك حتى النهاية، وإن كان حثالة هكذا يجلس على العرش بعد أن لوَّث يديه بدماء والدك، فسنركله ليقع هو ومن معه.

أيَّدت ماغي رأي جاك من فورها:

- جاك مُحقٌّ، ذلك الملك البائس عليه أن يعلم بأنك لا تزال على قيد الحياة..

إلا أن حماسهما قوبل برْدَّة فعلٍ مُغايرة:

- لا تفهماني على نحو خاطئ، فأنا لم أخبركم بكل هذا لأنني

أخطط لسحب العرش من تحت قدمي عمي..

ثم ابتسم ليون ساخرًا من نفسه:

- أتم الأربعة ربما تملكون فرصة أفضل مني لتولي زمام الحكم..
انظروا إلي وستعلمون بأنه من المستحيل أن أفكر بشيء كهذا..

كان ليون يُشير إلى وجه عينه اليسرى، كما أراد تذكير رفاقه
بحقيقة كونه ابنًا للقمر، ثم ترك المزاح جانبًا ليتابع:

- ربما في عالم وزمن مختلفين، أما الآن فأعتقد بأن هيلينا مناسبة
لخلافة والدها، بغض النظر عن وجود حثالة كرس إلى جانبها
إلا أنها تُلي بلاءً حسنًا حتى الآن... لكنني بت أخشى من اللذين
يعلمون بأمر عائلتي وكيف قد يستغلون هذا الوضع لقلب الطاولة
على عمي وابنته...

صمت ليون لثانية قبل أن يبادر بطرح سؤاله على صديقيه:

- جاك.. ماغي.. ما الذي حدث للطفل؟ هل أنجبته والدتي
دون مشاكل؟ أهو صبي أم فتاة؟

أشاح الاثنان بنظريهما بعيدًا مُتجنبين الإجابة، فخثما دونالد
الذي اتباه الفضول:

- لماذا لا نجيبان؟

- كوزر.

نطقت ماغي باسمه فتجمعت دموع الفرح في حدقتي ليون،
لكن سرعان ما تلاشت ابتسامته وهو يرى خيبة الأمل تنبع من
صوتها، فأكل لتقول:

- أسمته انخاله تاليا كوزر، وعلى النقيض منك كان صبيًا من
أبناء الشمس.

أخبار مفرحة بنبرة صوت مزعجة، لهذا سأها ليون:

- لم تتحدثين بصيغة الماضي يا ماغي؟

فأجابه جاك وهو يتفادى النظر إليه:

- لأننا لا نعلم ما الذي حلَّ به، جميعنا نعتقد بأنه قد مات بعد الهجوم الذي تعرضنا له قبل ثمان سنوات، ووحدها صوفي من كانت تبحث عنه دون كلل أو ملل.

- صوفي!..

هرب اسمها من بين شفثيه بعد أن أيقظَ المشاعر الدفينة في قلب كولين الصغير، فنبض بقوة كالسابق، بينما أكل جاك:

- حاولنا منع صوفي من اللحاق بتلك العصابة، إلا أنها ظلت مُصرَّةً تبحث عنهم بهدف الوصول إلى كوزر، أخذت عهداً على نفسها بأن تُعيده إلى الخالة تاليا، وبعد بحثٍ حثيث دام لبضع سنوات توصلت صوفي أخيراً إلى مجموعة يُطلقون على أنفسهم اسم عصابة الذئاب، إنهم مجموعة مُرتزقة يتأجرون بالعبيد، كانت صوفي متأكدة بأنهم العصابة ذاتها التي هجمت علينا، لكن.. تم الإمساك بها من قبلهم... لهذا تطوعنا أنا وماغي للبحث عنها، تركنا المجموعة وتبعنا تحركات تلك العصابة وكل عمليات بيعها حتى قادتما كل الأدلة إلى العاصمة.

باندهاش أدار غيلبرت رأسه ناحية ليون ليقول له:

- إنها العصابة ذاتها يا ليون.

فسأل جاك:

- هل تعرفونهم؟

أجابه غيلبرت من فوره:

- كما نبحث عن دليل ضد ريس ووالده عندما عثرنا على ورقة بها تواريخ وأوقات حركة سير للبضائع، فذهبت للتأكد من الأمر لاكتشف بأنها شحنات خاصة بعصابة الذئاب... تباً لذلك الحقيرو..

لم يتمالك غيلبرت نفسه وشم بصوت عالٍ ليتابع مُضيفاً:

- الوجد ريس يستخدم رجاله لتأمين الحماية على طول الطريق

لنقل بضائع تلك العصابة، يجب إيقافه.
تدخل ليون قائلاً:

- ليس ريس وحده من يجب إيقافه يا غيلبرت، فهو مجرد شخصٍ وضيع ينفذ أوامر من هم أعلى منه منصباً.

أصبح الهدف واضحاً أمام المجموعة، إيقاف عصابة الذئاب قد يوصلهم إلى دليل لموقع صوفي وربما كوزر أيضاً، كما قد يُعطِيهم الاثبات الذي يحتاجونه للإيقاع بالعمدة وكشف فسادِه الذي طال البلاط الملكي، وتختام لهذا الاجتماع قال ليون:

- سنستغل فرصة الخروج للدوريات الأسبوعية حتى نستكشف الطرق التي ستسلِكها العربات، وعلى هذا الأساس سنضع خطةً مناسبة للإيقاع بهم.

تدخل دونالد معلقاً:

- ولكنهم يفوقونا عدداً؟ نحن مجرد خمسة أشخاص عديدي الخبرة.

وبثقة عالية أجابه ليون:

- أليس تطوير مهارتنا هو أحد أهداف هذه الأكاديمية؟ أما بالنسبة للعدد فهناك المزيد ممن قد ينضمون لنا... كإلينور و
جور.

فقال جاك:

- أضف إليهما ميا، رغم أنها بدت مُزِعْجَةً لحظة معرفتها بأمرِك، إلا أنها لم تقل شيئاً أمام أحد.

خرج الجميع بعد ذلك من دورة المياه ليعودوا إلى ساحة التدريب، فقالت ماغي وهي تسير خلف ليون الذي تقدَّم المجموعة:

- إن حدث وكشفنا الفساد الحاصل في البلاط الملكي، فسيذكر التاريخ هذا الاجتماع كحدثٍ أسطوري.

وبسخرية واضحة قال غيلبرت وهو ينظر إلى دورة المياه من خلفه:

- لنأمل أن تغفل كتب التاريخ عن ذكر موقع اجتماعك الأسطوري.

كان التدريب قد شارف على نهايته عندما عاد ليون وبقية المجموعة إلى الساحة، فاستقبلهم يوجين بوجهه الساخر:

- شكراً لأنكم قرّرتُم الانضمام إلينا من جديد..

ثم ضغط بإصبعيه على عظمة أنفه وهو يزفر مُهدّئاً نفسه حتى لا ينفجر بهم غضباً:

- تَبَّاء.. أتم تجبروني على استخدام أساليب أكرهها...

ثم أنزل يده:

- بما أنكم تمضون الكثير من الوقت هناك، فستقومون أتم الخمسة بغسل دورات المياه لمدة أسبوعين.. بل شهر... باتريسيا أنتِ ستكفلين بدورة مياه الفتيات.

- هذا غير عادل.. أنا لم..

وكرّ جاك ماغي لوقوفها عن الاعتراض على قرار يوجين، فتذمرت بازعاج لتخطأهم ناحية ساحة التدريب، وقفت أمام ميا بعد أن دفعت ببيتري الذي كان شريكها في القتال:

- اذهب وابحث عن خصم آخر أيها الصبي.

ابتعد بيتري متذمراً من وقاحة ماغي التي أرادت أن تنفرد بـ ميا قبل نهاية التدريب بغرض التأكد من أنها لن تغدر بهم، كان هذا أحد الأمور التي اتفقت عليها المجموعة قبل العودة إلى ساحة التدريب، سيخبرون الثلاثة المتبقين بأمر مهمة إمساك عصاة الذئاب دون التطرق لبقية التفاصيل، على الجانب الآخر تكفل غيلبرت بإخبار جو، واهتم ليون بـ إينور، اشتبك الثنائي بقتال ودي، فأخبرها ليون بأمر المهمة وهو ينفذ بعض الهجمات

الخفيفة، صدت إلينور لكلماته وهي تستمع إليه بسعادة، فارتخت
ساقها بالنهاية وجلست أرضاً لتقول بارتياح:

- اعتقدت بأنني قد أفسدت الأمر.

ما كان منه إلا أن يبتسم لها، ثم مدَّ ذراعه ليعاونها على النهوض:

- كيف لفتاة مثلك أن تفسد أي شيء... هيا قفي قبل أن

يلاحظك يوجين.

بنهاية اليوم رمت إلينور بجسدها على السرير فرحة، انسابت
خصلات شعرها الفضي على غطاء السرير وراحت تحديق بسقف
الغرفة لتخاطب ميا:

- أعتقد بأن كل شيء سيسير على خير ما يرام يا ميا.

وعلى العكس منها، ربت ميا ذراعها بينما تجلس على حافة
سريرها، لتقول بوجه متجهّم:

- لعلمك فقط أنا لم أوافق تمامًا على الأمر، وإن رأيت أي

تصرف مشبوه من ذلك الليون فسأقضي عليه بنفسني.

افتقد تهديدها إلى الصرامة بنبرة صوتها، لاحظت إلينور ذلك
فاعتدلت بجلستها:

- أنت أيضًا لا تعتقدين بأنه شخص سيء، أليس كذلك؟

- أنا.. لا..

احمرَّ وجه ميا وارتبكت بإجابتها، فشهد ليون وهو يحتضن ميمي
بكل حنية بذلك اليوم لا يزال حاضرًا بذاكرتها، وعلى النقيض منه
لم تتمكن من إلغاء صورة مخلوق الليل ذو العين الواحدة والذي
ظهر لها في اليوم الذي قابلت فيه ميمي بذلك المنزل في إيستوود،
ما كانت متيقنة من أنه الشخص ذاته، إلا أن إحساسها ينبها بأنه
ليون، لهذا شعرت الفتاة بالتناقض بين ما تعلّته وما تراه، فقالت
باستسلام بعد أن زال انفعالها:

- ربما هو كتنينك الأعور من تلك الحكاية بنهاية الأمر.

أشرق وجه إلينور بسعادة وهي ترى ميا تشاركها أفكارها،
تذكرت أحاديثها مع صوفي فراحت لتخرج عقدها من بين طيات
ملابسها، انتصب شعر جسدها رعباً لأنها لم تجده حول رقبتها،
فقفزت من موضعها كالملسوعة لتستقيم وهي تفتح ياقتها بفرع:

- ما بك؟

سألها ميا بقلق، فأجابتها إلينور بأنفاس مضطربة:

- لا يمكنني إيجاد العقد، لقد أضعته.

ارتدت إضاءة المشاعل كبريق ملفت على نقوش السطح الفضي
لقلب العقد المرمرى في ساحة التدريب، استقر على الأرض هناك
كهلال وحيد في سماء معتمة، حتى امتدت يد لتلتقطه من
موضعه، قلبته تلك اليدان وانعكست صورته بعيني صاحبهما،
ضيق جفنيه متأملاً قلب العقد حتى نادى عليه أحدهم من بعيد:

- أيها القائد، نحن جاهزون للتحرك.

فاستدار ريس لينهر الجندي قائلاً:

- أخفض صوتك أيها الغبي.. ستوقظ الجميع..

ثم حشر ريس العقد في جيب سترته ليقول آمراً:

- انتظروني عند البوابة، وانتبهوا حتى لا يلاحظكم أي أحد.

آلة تحلية المياه:

أحد اختراعات البروفيسور "داروين"

لم تكن آلة تحلية المياه أعظم إنجاز للبروفيسور "داروين" لكنها كانت أكثرها فائدة، وخاصة أثناء فترة الحرب.



تعمل الآلة على مبدأ بسيط وهو غلي الماء لدرجة التبخير ثم تكثيف البخار إلى قطرات ماء مجدها. غير أن السر الأعظم في هذا الاختراع هو بالية عمله دون مصدر معلوم للطاقة.

الفصل 11 : التّنين بمواجهة الذّئاب.

الفصل الحادي عشر: التين بمواجهة الذئاب

دار ريس وهو على ظهر جواده على التلة القريبة من الطريق، مُتَفَقِّدًا بذلك المنطقة المحيطة ليتأكَّد من خُلُوقِها، ومن هناك راقب العربات التي تتحرك ببطء في خطٍ مُستقيم فاقترَب منه موردوك زعيم عصابة الذئاب قائلاً:

- أشكر والدك بالنيابة عني، فهذا معروفٌ لن أنساه.

وبوقاحة أجابه ريس:

- هذا ليس معروفًا، بل هو خدمة مُقابل أخرى، تذكر هذا جيدًا.

في ساعات اليوم الأولى وقبل استيقاظ مُعظم المُتدربين حرَّكت إلينور مصباحها الزيتي قريبًا من أرض ساحة التدريب، مشَّطت المكان ذهابًا وإيابًا لعدة مرات، ولم تتوقَّف حتى قالت لها ميا التي تسير خلفها وهي تتشاءب بكسل:

- هل أنتِ واثقة بأنكِ أوقعته هنا؟

جلست إلينور على الأرض لتضع مصباحها الزيتي بجانبها، نظرت إلى امتداد ساحة التدريب بإحباط مُجيبة:

- لا فكرة لدي، لكن أعتقد بأنه ربما يكون وقع ميني الباردة أثناء التدريب... يالي من حمقاء... كان عليَّ أن أكون أكثر حذرًا.

هزَّت ميا كتفها بقلَّة حيلة لتقول مُقترحة:

- بإمكانك إحضار غيرها إن أردتِ، كانت قلادةً بالية على أي حال.

نهضت إلينور من الأرض لتنفِض التراب من على ملابسها، ثم تحطَّت ميا لتذهب ناحية قاعات الطعام:

- بعض الأشياء لا يُمكن شراؤها بالمال.. هيا بنا.

وسط الظلام وقفت الليدي لونا شاردةَ الذهن تحت فُروع
الشجرة الكبيرة حيث قُتِلَ ابنتها، اعتادت المكان بعد أن
أصبحت تأتي إليه بشكل دوري كنوع من الحداد على صغيرتها
الراحلة، مُحاطةً بالمرج الأخضر والقليل من الأشجار المُتفرقة
استمتعت مخلوقة الليل بالسكينة في تلك البقة المعزولة من الأرض
رغم فاجعتها، كان كل شيء ليكون مثاليًا لولا الفكُّ المعدني لفخ
الصيادين المثبت بسلسلة معدنية قريبة من موضع الشجرة، حركت
لونا عينها جانباً ورمقته بنظرات حاقدة، فكَّرت في تدميره لمرات
عدة، لكنّها لم تفعل، لأنها وبقرارة نفسها أرادت شيئاً يذكرها
بانتقامها، أسنان الفخ المعدني الحادة لا تزال تحمل رائحة دماء
ابنتها لهذا أغلقت عينها وراحت ترسم صورتها في خيالها، وجأة
فتحت لونا عينها على وسعهما، رائحة غريبة تداخلت مع عير
ابنتها، أحدهم قادمٌ باتجاهها، لهذا قفزت بخفة على أحد فروع
الشجرة من فوقها وتوارت عن الأنظار بين الأغصان الكثيفة،
انتظرت هناك بصبرٍ حتى ظهر لها ظلُّ أحدهم وهو يتفقد الفخَّ
المعدني.

في قاعة الطعام وضع ليون صينيةَ طعامه على الطاولة حيث كان
بقية المجموعة قد سبقوه بالجلوس، سحب كرسيه وهو يستمع إلى
ماغي وهي تسأل جو عن حال روز:

- كيف هي الآن؟ هل ستكون بخير؟

وبقلق تدخل دونالد ليسأل متردداً:

- كيف نعلم بأنها لن تصبح.. أعني..

فهم جو مصدر قلق رفاقه لهذا قال لهم وهو ينظر إلى غيلبرت
وليون:

- أصحاب الدماء النقية والمختلطة فقط من بإمكانهم إنتاج المتحولين من البشر، ولا يحدث هذا الأمر إلا بعد امتصاص دماء الضحية بأنيابهم وذلك لأنهم يفرزون سمهم من بعض الغدد الموجودة بقرب أنيابهم العلوية، تماماً كما تفعل الأفاعي..

تدخل غيلبرت ليقول مُتهكِّماً وهو يمزغ قطعة الخبز بيده:

- ما يُحاول قوله هذا المتحذلق الصغير أن روز خارج دائرة الخطر، فبغض النظر عن رتبة المعتدي الفتاة تعرضت لهجوم بمُخالبه فقط.

وهنا أشارت ميا إلى ليون وغيلبرت لتسأل وقد أثار الموضوع فضولها:

- أيعني هذا بأنك من حوّل ليون؟

علقت اللقمة في حلق غيلبرت فأخذ يسعل مُحاولاً إخراجها بعد أن أجفله سؤال ميا، بينما راح دونالد يضربه على ظهره لِيُسعفه، عندها أجابت ماغي:

- بل والدته من فعلت ذلك.

- ماذا؟

ضربت إلينور بكفها على الطاولة مُتفاجئاً من تلك الإجابة، ووسط تعالي ضجيجهم هتف جاك برفاقه حتى يخفضوا أصواتهم خشية أن يلفت حديثهم انتباه بقية الموجودين في القاعة، بعيداً عن هذه الفوضى كان ليون شاردّاً ينظر إلى أصناف الطعام المتنوعة على الطاولة، وهناك في طبق إلينور لمح ما حاز على انتباهه، ففتح فمه ليخرج عن الموضوع قائلاً:

- في القصة الشعبية التي نعرفها تمكّن مخلوق الليل من استدراج الصياد لمدة ستة أيام، ثم حدث ما لم يتوقعه أحد عندما سلمه التفاحة الحمراء في اليوم السابع...

سكت الجميع لِيُديروا رؤوسهم ناحية ليون الذي كان يتأمل

تفاحة إينور الصفراء في طبقها، لم يتمكن الشاب من إزالة صورة الشجرة ذات الفروع السوداء من مخيلته، كما أن منظر التفاحة الحمراء المتدلية من أحد فروع الشجرة قد أزعجه بطريقة ما:

- أوجد شيء هكذا في الحقيقة؟ أعني.. هل التفاحة الحمراء حقيقة؟ أم أنها مجرد خيال أضيف إلى تلك الرواية فيما بعد؟

صمتوا مفكرين، فأخرج جو كتاب القواعد من حقيبته، وضعه على الطاولة ليقول وهو يمسخ على غلاف الكتاب براحة يده:

- إذا قرأت جميع صفحات هذا الكتاب فلن تجد سطراً واحداً يذكر تلك الثمرة من القصة... ومع هذا فأمر التفاحة الحمراء قد لا يكون محض خرافة..

ثم مدَّ الصبي ذراعه والتقط التفاحة من طبق إينور مضيفاً:

- لقد أخبرني أبي ذات مرة بأنه هنالك بعض العشائر التي حاولت استزراع فصيلة من الأشجار النادرة والتي قد تكون أصل هذه الثمرة، ولكن حد معرفتي ينتهي عند هذه المعلومة فقط، فأمر تلك العشائر لغز آخر..

بعد أن أتى جو على ذكر والده سأله إينور:

- كيف حال والدك يا جو؟ هل علم بأمر روز؟

منشغلين بسماع إجابة جو ما انتبه أي منهم إلى الفتاة التي انتصب شعر جسدها على الكرسي بنهاية الطاولة، اتسعت عينا ميا بذهول مع ذكر موضوع الشجرة والتفاحة الحمراء، فانكشت على نفسها متأملة ألا يلاحظها أحد، راحت تومئ بصمتٍ متظاهرة أنها تستمع إلى حديث جو الذي قال:

- لقد أخبره عمي بما جرى بالفعل، لكن لا أعلم كيف يُلي حقيقة.

ثنى الكونت رايموند ركبتيه وتفقد الفخ المعدني القريب من

الشجرة، تأكد من سلامته ثم استقام من موضعه ليقول مخاطباً من كان معه:

- أنا بخير يا كيث، لستُ بحاجةٍ إلى جليس أطفال، لهذا عد إلى عملك ودعني وشأني.

اقرب كيث من أخيه وهو يعلم بأنه يكابر على أله:

- كما تريد، سأتركك لحال سبيلك، لكن عدني بأنك لن ترهق نفسك بالعمل...

دون أن يجد أي إجابة من أخيه أدار كيث رأسه ومسح المنطقة من حوله ليقول مُضيفاً:

- لقد أصبح المكان أكثر هدوءاً بعد أن فرغنا من تنظيف هذه المنطقة.

استقام رايغوند من موضعه ليقول وهو يهم بالمغادرة بعد أن أزال الفخ المعدني:

- ومع هذا علينا أن نكون حذرين، قد يكون هذا الهدوء الذي يسبق العاصفة..

حشر الكونت الفخ في حقيته الجلدية ثم أضاف قائلاً:

- لقد تم تحديد اجتماع رابطة الصيادين المُقبل بهدف تحديد خطوطنا التالية، علينا أن نكون مستعدين للإعصار القادم يا أخي.

في مخبأها بأعلى الشجرة لم تتمالك لونا نفسها وهي ترى الآخرين يُغادران المكان، توجهت عيناها في الظللة وسط فروع الأشجار بعد أن أدركت أنهما المسؤولان عما جرى لابنتها.

اكتفى الرفاق من الكلام بالفعل في قاعة الطعام، وتوجهوا بعدها لحضور أحد التدريبات مع اللورد آرثر لتأولى من بعده بقية الدروس الخاصة مع بقية الأساتذة، لقد دقت ساعة العمل الجاد، لم يكن هنالك وقت للراحة والاسترخاء، وتلاحقت

التدريبات للأيام التالية بشكل مكثف، بالنسبة إلى ليون والمجموعة فاستغلوا وقت العقاب بدورات المياه لبدء تمرين من نوع خاص، وضعوا مخططاً للطريق بكل تفاصيله بفضل غيلبرت الذي كان قد تفقد الموقع بوقت سابق:

- هذا أفضل موقع سيسمح لنا بمباغتتهم.

أشار غيلبرت إلى الخريطة، فوضع جو أساسات الخطة ليساهم الجميع ببناء تفاصيلها والتي اعتمدت على مقدرة كل واحد منهم، المرحلة التالية كانت الأهم، ألا وهي التدريب على تنسيق هجومهم معاً، واستغلال طاقاتهم بالشكل الصحيح، لهذا تكفل ليون بتدريب إلينور قليلة الخبرة، مستغلين كل الأدوات المتاحة، استخدم ليون عصا مسح الأرض مع إلينور ليعلبها بعض الحركات القتالية، وأساليب أخرى للدفاع، في خارج الرواق كان بقية متدربي الأكاديمية يستمعون إلى صوت تقارع العصي الخشبية من خلف الباب الموصد فعلق أحدهم:

- أي نوع من التنظيف يُمارسونه في الداخل؟

أجابه زميله:

- من يهتم دعنا نبتعد عنهم فقط، أنا لا أرغب بأن أعاقب أيضاً.

ابتعد الشبان بينما وقف ريفن مُحْتَاراً من الضجة في الداخل، رجع الشاب ذراعيه بغير فهم، فحُتَّ أوليفر:

- لنذهب نحن أيضاً، أفضل الجلوس والاستماع إلى حديث البروفيسور داروين العقيم بدل هدر طاقتي على اكتشاف حماقات تلك المجموعة.

وهما على وشك الابتعاد لاحظ الشبان وقوف لويس هناك في نهاية الرواق، ينظر بطريقة غريبة إلى الباب الموصد لدورات المياه، لكن الشاب لم يلبث طويلاً حتى انتبه إليهما لابتعد تاركاً المكان دون أن يقول شيئاً.

في الأسابيع التالية خرج المُتدربون في جولات تفقُّدية، كانت الأميرة قد تركت مسؤولية تقسيم المجموعات على المُتدربين أنفسهم مما سمح لليون ورفاقه بحرية الذهاب لوحدهم وتفقد الطريق بكل حرية، وبعد أداء بعض المناورات التدريبية هناك تأكد ليون بأن المجموعة مُستعدة:

- أعتقد بأننا مُستعدون بما فيه الكفاية يا رفاق.. مَوعِدنا هو الجولة التفقدية التالية في الأسبوع القادم بما أنها ستوافق مع مَوعِد مُرور قافلة البضائع.

وبحماسة رفع جميع رفاقه قبضاتهم عاليًا مهلِّلين، إشارةً منهم على جاهزيتهم لأداء المهمة، ثم انطلقوا يلهون بأكوام الأوراق الجافة التي جمعوها على طول الطريق، مُستغلًا عدم انتباه البقية اقترَب غيلبرت من ليون، وقف إلى جانب صاحبه وتأمَّل سعادة بقية رفاقهم، فقال بصوتٍ مُنخفضٍ خشيّة أن يستمعوا إليه:

- لماذا كذبت عليهم فيما يتعلّق برغبتك لرؤية ولدتك؟ وموافقتك على حكم عمك؟

- أنا لم أكذب عليهم يا غيلبرت، فقط تجنَّبْتُ إخبارهم ببعض التفاصيل غير المهمة.

شدَّ غيلبرت على قبضته ليردَّ عليه:

- أنصاف الحقائق ما هي إلا كذب مُنمقٌ يا صاحبي.

كتم غيلبرت غيظه وابتعد عن ليون غير راغبٍ بالجدال الآن، إلا أنه قال في النهاية وهو ينظر إلى المجموعة:

- أتمنى أن تُعيد التفكير مرةً أخرى، من أجلهم، والأهم من ذلك من أجلك أنت.

توالى الأيام سريعاً حتى حلَّ اليوم الموعود، كان موردوك يسير بجانب العربات لتفقدوها بينما يقوم رجاله بتحميل الأولاد فيها،

حاول الصبي الهزبل مُقاومة أفراد العصابة، لم يرغب بالاستسلام بسهولة، ركل الهواء باهتياج بينما راقبه بقية الأولاد بعجز، صرخ الصغير وزجر بكل طاقته المتبقية حتى اكتفى موردوك من إزعاجه، فأمسكه بنفسه وحمله عاليًا ليرمي به داخل العربة بخشونة وهو يقول:

- أنينٌ واحدٌ يصدر منك وسأقتلع لسانك مع بقية السنة رفاقك لأطعمها للكلاب الضالة.

وقبل أن يغلق موردوك باب العربة قال مُضيفًا بابتسامة مُخيفة:
- قد يرفع هذا من سعري بكم على الأقل.

تحركت العربات الثلاثة بعد اكتمال تحميلها، وخلال الطريق انضم لهم ريس مع ثلاثة من أعوانه، لاحظ موردوك قلة عددهم مقارنةً بالأيام السابقة فسأل ريس:

- أين بقية أتباعك أيها المدلل؟

متجاهلاً تعليقه الساخر أكل ريس سيره إلى جانب إحدى العربات بعد أن لاحظ ثقبًا صغيرًا بها، فجأب على سؤال موردوك وهو يتفحص الثقب:

- بدأت هيلينا تلاحظ اختفاءنا بشكل متواصل، لهذا قررت الحضور بأعداد أقل..

ثم أشار ريس إلى الثقب قائلاً:

- لديك عبدٌ فضوليٌ هنا.

وبغضب ضرب موردوك على جانبي جواده ليقرب ناحية تلك العربة، انتبه إلى الثقب الصغير والذي استخدمه الصبي لمراقبة الخارج، فضرب زعيم عصابة الذئاب بقبضة يده على جدار العربة، اشتعل الرجل الضخم مُهتاجًا وأوقف سير القافلة.

- أعتقد بأنني ألهو معك أيها الوضع.

فتح موردوك باب العربة وجرَّ الصبي خارجها بيدٍ واحدة وسط

بكاء بقية الأطفال، فبصق الصبي في وجهه قائلاً:
- تَبَّا لك.

مسح موردوك أثر بصاق الصبي من على وجهه الغاضب، ثم مدَّ يده إلى خنجره المعقوف والمثبت في حزام خاصرته:
- حذرتك بأنني سأقتلع لسانك من خنجرتك...

رفع موردوك خنجره وقربه من وجه الصبي بابتسامة عريضة ظهر معها صفًا أسنانه، وبلحظة تحرك الهواء قريباً من وجهه، وكأن شيئاً مرَّ بسرعة البرق من أمامه، وبالكاد رصدته عيناه، لينتبه بعد ذلك إلى اختفاء الخنجر من يده، لقد طار من قبضته ووقع أرضاً، فأنزل موردوك رأسه ونظر إليه يستقر على الأرض بين الحشائش وبجانبه انغرس سهمٌ من العدم، فصرخ أحد الرجال بالخلف:

- إننا نتعرض للهجوم.

تحركت أغصان الأشجار من حول القافلة ممَّا أوحى بوجود عدد غير معروف من المهاجمين يتربصون بهم، أخفى ريس وجهه بلثامه مع بقية أعوانه حتى لا يتعرف عليهم أحد، بعد أن خرج موردوك من صدمته رفع رأسه لينظر إلى الموقع الذي خرج منه السهم الذي أوقع خنجر، فأجفله انطلاق سهم آخر ليخدش جلد خده، ودون أن ينتظر السهم الثالث، قبض الرجل على الصبي بين ذراعيه وتدرج على الأرض ملتقطاً خنجره، وضعه على رقبة الصبي وراح يصرخ بصوته الخفيف الذي تردد ملء المكان:

- أخرج في الحال أيها الجبان وواجهني..

ثمَّ قَرَّب الخنجر أكثر إلى رقبة الصبي ليضيف مُهدداً:

- إن لم تُظهر نفسك فسأشُقُّ عُنُق هذا الصبي المُرَج.

هدأ المكان للحظة بعد تهديد موردوك المجلجل، تلفت أفراد العصابة حولهم بحذر بينما حركت الرياح أكوام الأوراق الجافة

على امتداد الطريق أمامهم، تدرجت الأوراق بين أقدام الرجال المتريقين، وبطرفة عين هجم ليون على موردوك، أصبح أمامه قبل أن يدرك، فثبت ليون يد موردوك الممسكة بالخنجر وسحب الصبي ليحرره من قبضته، وقبل أن يتمكن زعيم العصاة من الرد بأي شكل، كان قد تلقى ركلة من ليون جعلته يتراجع بضع خطوات إلى الخلف، اصططت أسنانه معاً حتى كادت أن تنهش، نظر الرجل الغاضب بعينين مشتعلتين إلى ليون:

- كيف تجرؤ يا ابن القمر؟

وفجأة ظهر سيفٌ موجهٌ ناحية ليون من جهة اليسار، بالكاد تمكن من تفادي نصله الحاد وخاصة بأنه لا يزال مُمسكاً بالصبي، فراجع ليون ودفع بالفتى إلى الخلف:

- اختبئ بين الأشجار في الحال.

ولم يكد ينهي جملة حتى عاد صاحب السيف بهجوم آخر، صده ليون بعد أن استل سيفه هو الآخر وهو يعلم بأن هذا المقاتل الملم هو ريس، فتشابك الاثنان بنفس الوقت الذي انضم به جاك، غيلبرت ودونالد إلى القتال، عندها صرخ موردوك أمراً رجاله:

- لتحرك العربات بسرعة.

امثالاً لأوامره تحرك اثنان من الخيالة أمام العربات ومقتربين من أكوام الأوراق الجافة التي غطت الطريق أمامهم، فابتسم ليون وهو يدفع ريس إلى الخلف:

- لقد وقعتم بالفخ.

بنفس اللحظة سمع الجميع صوت صهيل الخيول وصراخ الرجلين اللذين وقعا في كومة الأوراق الجافة، حيث كانت الحفرة أسفلها تنتظرهما، كان هذا هو موقع الكمين الذي نصبته المجموعة وتم تغطية الحفر بالأوراق الجافة التي جمعوها خلال تدريباتهم، ومن خلف الرجلين في الحفرة توقفت العربات عن التقدم بعد أن انتبه من يقود العربة الأولى إلى كل أكوام الأوراق الجافة المحيطة بهم

والتي تقطع عليهم الطريق من الأمام وعلى الجانبين أيضاً، الحل الوحيد هو بالاستدارة والعودة إلى الخلف، إلا أن ليون ورفاقه كانوا هناك، فترجّل من كانوا بالعربات وقرروا الانضمام للقتال، مُستغلين فرصة ترك الرجال للعربات الثلاث ظهرت إلينور معها ميا وماغي من بين الشجيرات لتصعدن إلى العربات وتبتعدن بها إلى أحد جانبي الطريق بين الأشجار، بدهشة سارت العربات فوق كومة من أوراق الجافة دون أن تقع بأي حفرة، فأدرك موردوك بأنه كمينٌ مُدبرٌ بإتقان للإيقاع بعصابته، كانت خطة جو بسيطة، فليست كل أكوام الأوراق الموزعة على طول الطريق تُخفي تحتها حفراً ككمين، وفي اللحظة التي يدرك بها أفراد العصابة الأمر سيكون الوقت قد فات، مُستوعباً الخطة انفجر موردوك كبركان ثائر وانطلق مُندفعاً ناحية ليون الذي كان يُقاتل ريس بالإضافة إلى مُقاتلين آخرين انضموا له.

في السوق القديمة، خرج جيريمي من متجر جاسبر بعد أن شاهد بعضاً من مُتدربي الأكاديمية يسرون في جولاتهم التفقدية المعتادة، بحث بينهم عن ميا حتى خاب ظنه لعدم رؤيتها هناك، وقبل أن يعود مُستسلماً إلى الداخل سمع صوت صراخ أحدهم، جرى جو بمنصف الشارع لاهثاً وهو ينادي قائلاً:

- نحتاج إلى الدعم في الحال.

جمع نداءه لطلب الدعم الكثيرين في مُنتصف الساحة، تجهر الناس من حول جو فانتبت له هيلينا التي كانت تشرف على الجولات بنفسها، اقتربت منه وزلت من على جوادها لتسأل بقلق:

- أين هي مجموعتك يا جو؟

التقط جو أنفاسه وأشار إلى الخلف لاهثاً:

- ليون والبقية اشتبكوا مع بعض المرتزقة من تجّار العبيد هناك.

مصطلح تجار العبيد كان بمثابة كلمة السر لتوجيه اهتمام هيلينا ناحية المعركة الدائرة، بالنهاية كان هدفهم هو إمساك ريس بالجُرم المشهود حتى توجه التهم له ولوالده بالشكل الصحيح.

مُحاولاً تفادي ثلاثة مقاتلين بوقت واحد شاهد ليون موردوك يندفع ناحيته، ولكن قبل وصوله قفز عليه الصبي من الخلف ليتشبث به مانعاً إياه من التقدم أكثر، قام الصبي بعض أذن موردوك فصرخ قائد عصابة الذئاب كوحشٍ نائر، مدّ ذراعه العريضة إلى الخلف وسحب الصبي كما لو كان دميةً من القماش، ثم رماه أرضاً وهو يصرخ بأعوانه، فحدثت المفاجأة غير المتوقعة، استجابةً لنداء قائدهم لمعت أعين بعض من عصابة الذئب وأضاءت بلون الياقوت، برزت أنيابهم الحادة مع مخالهم الطويلة، دفع دونالد أحدهم عنه ليصرخ ببقية رفاقه متوتراً:

- بعضهم ليس بشرياً يا رفاق.

أوقع غيلبرت أحد المخلوقات ليُجيب ساخراً:

- أعتقد بأن الجميع قد لاحظ ذلك.

انقلبت الكفة وأصبحت الغلبة بصف موردوك وعصابته، فابتسم الرجل ليصرخ بجنون:

- انسوا أمر من هرب من العبيد، أنا أريد هؤلاء الأربعة.

وقبل أن ينعم موردوك طويلاً بلحظة النصر ظهرت الفتيات الثلاثة من بين الأشجار بعد أن اقتدن العربات إلى بقعة آمنة، تعادلت الكفة بانضمامهن إلى المعركة، قبل أن تبدأ بالقتال تمكنت إلينور من جر الصبي جانباً لتقول له باسمه وهي تنفض التراب منه:

- لا تقلق سنهزمهم.

ثم استدارت لتشتبك مع موردوك، بخنيم يفوقها حجماً

استخدمت إيلونور كل الخدع التي تعلّمتها مما جعلها تصمد إلى حد ما أمامه، قريباً منها تمكن ليون من الإيقاع بالمقاتلين بجانب ريس، ثم وجه نصل سيفه إلى وجه ريس بتحدٍ صريح:

- لم لا تُزِيل لثامك أيها المقاتل؟

تجاهله ريس وهو ينظر إلى أعوانه الذين وقعوا أرضاً متأثرين بجراحهم بجانبه، وبحركة غير متوقّعة قام ريس بطعنهما ليستل سيفه الدامي من جسديهما بعد أن تأكد من موتهما، اتسعت عين ليون وهو يرى كمية الانحطاط الذي وصل له ريس، كان سيّادر بالهجوم عليه إلا أنّ رائحة الدماء كانت أكبر من إرادته، نبضت عينه اليسرى أسفل الرقعة الجلدية مع إحساس لا يوصف من التشوُّش بوعيه، انحرّف تركيزه عن خصمه بعد أن أصبح منظر الدماء الحمراء هو كل ما يرغب برؤيته، وقبل أن يدرك كان ريس قد غرس سيفه في كتفه، مُقاوماً الطعنة أمسك ليون نصل السيف بيده العارية غير مكترث لحدته، بيده الدامية تمكّن من شدّه إلى الخارج وهو يصرخ ألماً، وثب بعد ذلك إلى الخلف وهو ينظر إلى دماائه تندفع من جرحه بغزارة، فهدأت بعض القتلات من حوله، توقّفت مخلوقات الليل عن قتال رفاقه وأدارت رأسها ناحيته، شدّت رائحة دماائه ففقدت قدرتها على التفكير وحلّ محلّها غريزتها الحيوانية، فصرخ به غيلبرت مُحذراً من فوره:

- ابتعد في الحال يا ليون.

جرت الوحوش على قوائمها الأربعة ناحيته بسرعة خارقة، ثم قفزت جميعها في وقتٍ واحد وطارت عالياً في الهواء كسربٍ من الخفافيش المتعطشة لدماائه، تناثرت خيوط لعابها السميك من أفواهها بينما كانت أنيابها تهدف لتمزيق جسده، وقبل أن تصل إليه أوقفتها مجموعة من السهام الخشبية التي صوّبت ناحيتها، تساقطت أجسادهم من حول ليون فأدار رأسه لينظر إلى الخلف، لقد وصل الدعم مع جو، تمكّن من إحضار هيلينا ومعها كل من كيث، يوجين وآرثر، صوّب كل واحد منهم قوسه ناحية

الوحوش الثائرة، ليقع بعضها ما بين صريع وجريح، بينما تمكّن القليل منهم من الهرب بعيداً، تذكر ليون ريس، فحاول النهوض للإمساك به، غير أن صوت طلقات النار العشوائية شلّت حركته، كانت خطوة أخيرة يائسة من ريس للهرب من الموقع قبل اكتشافه، لم يتوقع بأن تكون ملاحظته لرهاب ليون من صوت الطلقات في محلها، إلا أنها نجحت، فرمى بالسلاح جانباً واختفى بين الشجيرات قبل وصول الدعم إلى الموقع.

- هل أنت بخير؟

ارتمت إينور على ركبتيها بجانب ليون الجالس على الأرض بعد أن رآته ملطّخاً بدمائه، دفع الشاب بنفسه إلى الخلف مُستلقياً على ظهره، تأمل ليون سماء الليل من فوقهم ليُجيبها:

- لقد هرب ريس، ومع هذا..

ثم أدار رأسه لينظر إلى رفاقه من ثم إلى وجه إينور بجانبه ليضيف ببهجة:

- ومع هذا أشعر بأننا قد استصرنا.

من خلف وجه إينور برز القمر مكتملاً بنوره الساطع فانعكس بريقه على حدقة عينه الزرقاء، تذكر كولن والدته وتأمل بأن تكون هي أيضاً ترى المشهد ذاته من موقعها، فتحرّكت شفتاه ليمس محدثاً خيال والدته لعل الريح تحمل همساته إليها:

- يبدو جميلاً وساطعاً هذه الليلة.

من دون أن تفهم ما يعنيه، هزته إينور بفزع لتقول بطريقة درامية:

- إياك أن تذهب ناحية النور، ابقَ معنا، لا تَمُت يا ليون.

ومن بعيد علّق غيلبرت على ردّة فعل إينور ليسأل رفاقه مُتهكماً:

- من منكم سيشرح لها بأن ليون لا يمكن أن يموت بطعنة

كذلك؟

انتهت المهمة بانتصار غير مُكتمل بعد نجاح رس بالهرب،
والإنجاز الأكبر كان إلقاءهم القبض على موردوك زعيم عصابة
الذئاب، اقتادت الفتيات الثلاثة الأميرة إلى الموقع الذي خبأ
به العربات، ففتحت هيلينا باب أحدها ليتسرب نور المشاعل إلى
الداخل، برزت معه أعين الصغار المرتعبة، فددت لهم يدها:

- لا بأس، أتم بأمان الآن.

في هذه الأثناء انتظر جيرمي وجاسبر في الساحة مع الكثير من
المُتجهرين بالإضافة إلى بقية فرق المتدربين، أمام نصب أركون
التذكاري تجمع حشدٌ غفير من الأهالي بعد أن أتوا على أثر خبر
إمساك متدربي أكاديمية الأميرة لتجار العبيد، فوقفت تلك الأم
البائسة مُتقدمةً على البقية، راقبت الطريق بعينها الغائرتين وهي
تدعو بسرهما أن تجتمع مع أطفالها، فرقت كل النار والجر على
رؤوس المشاعل بكل مكان بينما حبست أنفاس الجميع، فهربت
دمعة من جفن عين الأم وهي ترى العربات تقترب وفوقها
يجلس الأطفال مُلوّحين بسعادة، لم يتمكّن بعضهم من الانتظار،
فقفزوا ليجروا ناحية الساحة، ومن بين الحشود جرت الأمهات
والآباء ليجتمعوا مع أبنائهم بلم شملٍ مُميز، جلست تلك الأم على
ركبتها لتفتح ذراعيها مُستقبلة أبنائها، ضمتهم إليها بسعادة وهي
تمسح وجوههم التي ملأتها دموع الفرح، ثم استقامت لتنظر
بامتنان ناحية ليون وبقية المجموعة، انحنى لهم شاكرةً وهي تقول:

- شكراً لكم جميعاً.. شكراً لك أيها الثنين الأعور.

توالت بعد ذلك عبارات الشكر والتهليلات التي أشادت بليون
وبقية رفاقه، برز من بينها لقب الثنين الأعور وخاصة من أفواه
بعض الأطفال، فرحتهم تلك أنست ليون كل آلامه وكأن بها
تشفي جراحه ما ظهر منها وما خفي، نفاطبه غلبت الذي كان
بجواره:

- أسمعهم؟.. لا أحد منهم يكثر لحقيقة كونك ابناً للقمر،
لهذا توقف عن استخدامه كعذرٍ تختبئ خلفه.

ومن دون أن يُجيب صاحبه وقعت أنظار ليون على ذلك الصبي
الهزيل، يقف جانباً لوحده، لم يكلف نفسه عناء البحث عن
عائلته وكأنه يعلم بأنها ليست هنا.

على الجانب المقابل انسحب جاسبر من بين الجماهير المحتفلة دون
أن يلحظه جيري، عاد البائع بهدوء إلى متجره وجلس هناك
وحيداً بزاويته، أشعل فتيل غليون العتيق وأخذ يتأمل الدخان
المتصاعد بمزيج من السعادة التي خيم عليها حسرة بسيطة، أوجعته
في موضع اعتقد بأنه ما عاد يملكه، قلبه، فاستنشق الدخان لينفثه
قائلاً:

- إنه ابنك يا ألكساندر، أم أنا مخطئ يا صاحبي؟

مُستحضراً مشهد انتصارهم في معركة الخليج الدامي قبل ثمانية
عشر سنة، التمت عينا جاسبر بدموعه وهو يتذكر تهليلهم باسم
قائدهم الراحل ألكساندر، وها هو يرى المشهد يتكرر مع ابنه
بنسخة جديدة، في اللحظة الأولى التي شاهد بها جاسبر ليون عن
قرب التمس به شيئاً من بقايا والده، إلا أن دليله الأكبر كان
رقعة العين الجلدية التي يرتديها الشاب، كان هذا هو التذكار الذي
احتفظ به ألكساندر من قتاله مع قبطان أسطول العدو آنذاك.

في الساحة متقدماً على بقية المتدربين شد أوليفر على قبضة يده
حاقداً بعد أن أزعجه تهليل الأهالي من حوله، عقد حاجبيه مُتاجاً
من رؤية ليون وبقية رفاقه هناك يتلقون المدح، فقال ريفن مُعلقاً
بعد أن لاحظ مقدار حقه:

- أعلم بأنه مجرد تابع مُتحوّل لعائلتك، لكن مهما نظرت إلى
الأمر لا يمكنني أن أجد تفسيراً لمقدار كرهك له... لا أراه يفعل
أي شيء لك.

ودون أن يُزيح عينيه الحاقدتين عن ليون، أجاب أوليفر بعد أن أطلق نخرة ساخرة:

- لا تجعل وجهه البريء يخدعك... فذلك الحيوان الوضيع هو قاتل والدتي.

تسلل ريس إلى غرفته في الأكاديمية دون أن ينتبه إليه أحد، دخل وأوصد الباب من خلفه ثم نزع لثامه ليلتقط أنفاسه المضطربة ويستعيد توازنه بعد ما حدث، عصفت الأفكار في دماغه لتتلاطم بشكل عبثي، لقد تم الإيقاع به في الفخ، ولولا أن الحظ كان إلى جانبه لما تمكّن من الهرب بنجاح، ولجأة انفجر غاضباً يجري ناحية مكتبه، أسقط الكتب هناك حتى وجد الكتاب المعني، قلب صفحاته وأخرج الأوراق التي حوت على تفاصيل عمليات النقل، دق قلبه كقرع الطبول وهو يتذكر والده عندما سلّبه هذه الأوراق، فأدار رأسه ناحية دولاب ملابسه بعد أن أصبح المشهد أكثر وضوحاً في ذاكرته، ليقول هامساً بصدمة:

- لقد كانت هذه الأوراق في جيب معطفي...

ما لبث أن جعد الأوراق في قبضته غاضباً بعد أن أدرك الحقيقة، ليون ورفاقه كانوا هنا في غرفته، إنهم يعلمون بأمره، فأنسعت عيناه بفزع وقد تذكر بأن الأميرة قد ألفت القبض على موردوك زعيم عصاة الذئاب، إن فتح الأخير فه فستكون هذه نهايته، ولجأة أجفله سماع صوت خبطات على باب غرفته، فأدار رأسه بفزع ليسأل:

- من هناك؟ لا يمكنني مقابلة أحد الآن.

- إنها أنا.

كانت آخر شخص يرغب بلقائه في هذه اللحظة بالذات، من خلف الباب المغلق استشعرت هيلينا اضطراباً في نبضة ريس،

فغزت الأمر للسبب المنطقي الوحيد في رأسها:

- أيمكننا التحدث؟..

أنزلت الأميرة رأسها لتضيف:

- اليوم عندما ذهبت لتقديم الدعم للتدريسين.. شعرت..

ثم وضعت هيلينا كف يدها على الباب وهي تتخيل وجه ريس من خلفه، لتقول بابتسامة بأسة:

- شعرت بالخوف لأنك لم تكن إلى جانبي، ريس أنا أفقدك...

أنا.. أنا آسفة لأنني تصرفت بطريقة طفولية.

أدركت أخيراً أن خلاfehها قد طال، لهذا أرادت أن تُعيد المياه إلى مجاريها مع ريس، على الجهة الأخرى اقرب هو من الباب، كم رغب بأن يفتحه ليضم محبوبته إليه ويهمس بكلمات عشقه لها، إلا أنه لم يتخلص من آثار المعركة بعد، كما أن موردوك يمثل تهديداً له الآن، فقال لها:

- أنا أُنَجهز للذهاب إلى القصر، لقد تم استدعائي على نحو

عاجل، لهذا دعينا نتحدث بعد عودتي.

أزاحت هيلينا كف يدها من على الباب مُطمئنة:

- حسناً، سأكون بانتظارك.

استحم ريس وبدل ثيابه بشكل عاجل، امتطى جواده وتوجه إلى القصر دون تأخير، وهناك قصد مكتب والده المُستشار بول وإيتمان، مُلقياً بكل الآداب العامة جانباً دخل ريس على والده غاضباً، ضرب بكتنا قبضتيه على طاولة المكتب ليصرخ بوالده:

- أنت السبب، لهذا عليك أن تخرجني من هذه الورطة.

شك بول يديه على طاولة مكتبة مُجيباً ابنه ببرود:

- هذا لأنك فاشلٌ كبير، كيف سمحت لمجموعة من الأولاد

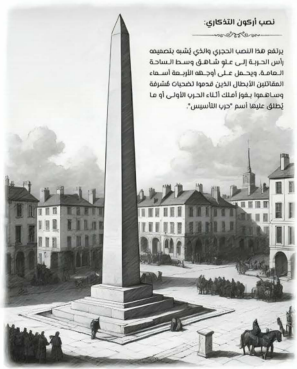
بأن يتغلبوا عليك أيها الفارس؟

اهتزت قبضتا ريس حنقاً كونه لا يملك الرد المناسب، فاستقام والده من موضعه، دار حول مكتبه حتى أصبح إلى جانب ابنه تماماً، ثم وضع يده على كتفه ليهمس له:

- سأعطيك فرصة لتصحيح الخطأ، لهذا لا تُضعها من بين يديك.. هيلينا أمرت بإجراء تحقيقٍ كامل بهذه الحادثة، لهذا سأضع اسمك في قائمة المحققين...

وبابتسامة خيثة تابع بول:

- اقتل زعيم عصابة الذئاب وسينتهي معه كل شيء..



الفصل 12 : لقاء بطعم الفراق.

الفصل الثاني عشر: لقاء بطعم الفراق

تقديرًا منها لجهود فرقة ليون بإعادة الأولاد المختطفين، بالإضافة لإمساك موردوك وبعض من رجاله، قررت الأميرة مكافأتهم، أعطت كل واحد منهم وسامًا خاصة بمراسم حضرها بقية المتدربين في القاعة الرئيسية، بين المدرجات راقب ريفن التكريم غير راضٍ عن تهميشه من قبل الأميرة، فقال له أوليفر وهو يتابع أحدهم من صف المقاعد أمامه:

- يبدو بأنك لست الوحيد الذي يشعر بالغيرة من إنجاز هؤلاء الحمقى.

فأمال ريفن رأسه وانتبه إلى المعني بحديث أوليفر، كان لويس يجلس هناك وحيدًا، يتابع جو الذي اعتلى المنصة ليتلقى وسامه من الأميرة، وبدل أن يكون نخورًا بإنجاز أخيه نهض من موقعه مغتاظًا دون أن يكون قادرًا على إخفاء ذلك.

بالإضافة إلى الأوسمة أعطت الأميرة فرقة ليون أسبوعًا للراحة وسمحت لهم بالعودة إلى منازلهم خلاله، في غرفتهما جهز جو حقيبة صغيرة استعدادًا للعودة إلى المنزل، حشر بها القليل من حاجياته وهو يسأل ليون:

- ألن تُغير رأيك بشأن العودة إلى المنزل مع غيلبرت؟

مُتفقدًا جرح كتفه في المرأة، أجاب ليون وهو ينظر إلى انعكاس جو هناك:

- وأين ستكون المكافأة في عودتي إلى هناك؟

أغلق جو حقيقته وقد شعر بمدى حماقة سؤاله، فغير الموضوع ليقول وهو يشير إلى جرح ليون:

- ألا يجب أن يكون جرحك قد شفي الآن؟

ثم أشار إلى وجهه مُضيفًا:

- لعلك فقط، أنت تبدو أكثر شحوبًا من المعتاد.. متى كانت

آخر مرة تناولت بها بعض الدماء؟

أغلق ليون ياقته واستدار ناحية جو، ضيق جفن عينه ليُجيب مازحاً:

- هذه أمور شخصية لا أفصح بها لأحد.

صوت طرقات على الباب قطع حوار الاثنين، ففتح كيث درفة الباب ليُلقي التحية، ثم خاطب جو قائلاً:

- لقد طلبت منهم تجهيز العربة لك في الأسفل، ولا تنسى أن توصل سلامي إلى والدك.

- لا حاجة للعربة يا عمّاه، يكفي أن أذهب بجوادي.

- ستحتاج إليها لأنك ستصطحب أختك معك.. لم تفق روز من غيبوبتها بعد لهذا من الأفضل أن تعود إلى المنزل حتى يتم الاعتناء بها بشكل أفضل.

كان كيث سيم بالمغادرة إلا أنه توقّف ليُخاطب ليون:

- لقد سمعت بأنك ستبقى هنا، لهذا أردت أن أبلغك بأنك لست ملزماً بحضور تدريبات هذا الأسبوع، استرح قليلاً وخذ الأمور بروية، تبدو شاحب الوجه أكثر من العادة.

رفع جو حاجبيه وهو يتبادل النظرات مع ليون، فقال الأخير لـ كيث:

- شكراً على اهتمامك، سأفعل ما طلبت.

بالإضافة إلى ليون، جاك وماغي قرّرا البقاء أيضاً بما أنهما لا يملكان منزلاً للعودة إليه، كما أن الثلاثة كانوا بانتظار انتهاء تحقيق الأميرة مع الأطفال حتى يتأكّدوا من إمكانية أن يكون كوزر من بينهم، أو أن يكون الأطفال قد قابلوا صوفي في مرحلة ما، كان الانتظار صعباً عليهم، لهذا حاول الثلاثة الاسترخاء قليلاً وتمضية بعض الوقت معاً، اجتمعوا بمنتصف اليوم مع ميا في

متجر جاسبر، ثم خرجوا مُصطحبين معهم جيرمي والصغيرة ميمي أيضاً بجولة للتسوق، ومن هناك عرجوا على دونالد الذي كان يُعاون والده لحظة وصوله إلى المنزل، فتعذر الشاب برفاقه ليتهرب من العمل في المطعم، مُتقلّين من متجرٍ إلى آخر أمضى الرفاق وقتاً مُمتعاً وبعيداً عن أجواء التوتر السابقة، تكفل ليون بحمل ميمي بين ذراعيه بما أنها رفضت الجميع باستثنائه، فسار بمؤخرة المجموعة برفقة ميا، كانت هذه فرصته لينفرد بها، فقال وهو يداعب الصغيرة:

- ربما يكون هذا متأخراً، لكنني أرغب بالاعتذار لك.

- لم أفهم، ما الذي تعتذر بشأنه؟

بطاً ليون من خطواته حتى يزيد الفجوة بينهما وبقية المجموعة، ثم قال:

- لقد أخفكتِ بذلك اليوم في إيستوود.

توقفت ميا لثانية، إلا أنها عادت لتتابع السير حتى لا ينتبه البقية، فقال لها ليون:

- لم يكن في نيتي أن أؤذيك، لكنني كُنت مُجبراً بتنفيذ أوامر سيدتي...

مسح ليون على رأس الصغيرة التي أسندت رأسها على كتفه تبحث عن الأمان، ثم أضاف قائلاً:

- أردت مُسأرتها فقط لأكسب بعض الوقت الذي يُمكنني من إنقاذ هذه الصغيرة ووالدتها.

عقد لسان ميا، وهي تشعر بأن الأسوأ لم يأت بعد، فسألت:

- وإلى أين وصلت بخطة إنقاذها؟

وببرة صوت دلت على مدى احباطه أجابها:

- لقد ماتت والدتها، إلا أن هذا ليس أسوأ ما في الأمر، المشكلة تكمن في أن هذه الطفلة هجينة.. وقد تستيقظ قواها في أي

لحظة..

سُلّ تفكيرِ مِيا بينما تابع ليون ليقول:

- والمشكلة الأكبر أنها ابنة أوليفر.

ثم أدار ليون رأسه ناحية مِيا ليسألها:

- أنا أقول لك هذا لأنه عليك أن تقرري... هل أنت مُستعدة

للاعتناء بها وأنتِ على علم بحقيقتها؟

لمعت عينا مِيا بغيمٍ وهي تنظر إلى الصغيرة، وشعرت بغصة

بجلفها، لم تفكر كثيراً عندما فتحت فيها لتقول بتهكمٍ امتزج بألمها:

- هه.. كنت أعلم بأنها ليست إلا وحشاً صغيراً.

ثم مسحت آثار دموعها المتجمعة في مقلتيها بذراعيها:

- سأحميها بكل ما لدي من قوة، كما فعل ذلك العجوز الهرم

معي.

- شكراً لك يا مِيا، ميمي محظوظة بأن لها أختاً مثلك.

وصل جو مع روز إلى قصر عائلة وينشستر حيث كان الكونت

رايموند فرحاً برؤيتهما، محاولاً إخفاء حزنه على حال ابنته بعثر

الكونت خصلات شعر جو ليتلقفه بعد ذلك بين أحضانه فرحاً،

ثم قال له:

- اذهب لتغتسل، سنتناول العشاء معاً بعد أن أفرغ من العمل،

أتلّف للاستماع إلى كل مغامراتك مع أصحابك.

في سراديب القصر الملكي، حيث كانت الزنازين المخصصة

لأخطر المجرمين تقبع هناك، تجاوز ريس كل نقاط الأمن دون

مشاكل بعد أن حشر والده اسمه ضمن لائحة المحققين في الحادثة،

عميقاً هناك وتحت حراسة مُشددة كان موردوك مضطجعا على

ظهره وهو يصفر بألحانٍ سعيدة، لكنَّه توقف ما إن وصل إلى مسامعه صوت ريس من بعيد، فاعتدل بجلسته مُتَقَبِّاً وصوله، تلا ذلك صوت المفاتيح وهي تدخل في القفل لِيُفْتَحَ الباب الحديدي مُصْدِراً صريراً مزعجاً، أمر ريس السجَّان بأن يتركهما لوحدهما بهدف الاستجواب، فأغلق الباب الحديدي عليهما ورحل، وسط العتمة حيث كان مصدر النور الوحيد هو المصباح الزيتي الصغير الذي يحمله ريس بيده، ضحك موردوك بطريقة مريبة ليقول بعد ذلك بابتسامة واثقة:

- كُنْتُ بانتظاركَ أيها الفارس المُدلل، هل أرسلكَ والدك لإخراسي؟

كان غيلبرت قد وصل إلى قصر ستوك، نزل الشاب من على صهوة جواده الأسود شادو ورفع رأسه مُراقِباً البناء الذي بدا له كثيباً بالمُقارنة بالأكاديمية، فتندب بإحباط وهو يَدِلِف إلى الداخل مُخاطباً البهو الفارغ:

- لقد عُدْتُ.

ابتسم غيلبرت على خيئته ساخراً، فن الذي سيَهْمُ لعودته أصلاً، لهذا توجه من فوره إلى الدرجات قاصداً غرفته في الأعلى، لكن وفي طريقه استوقفته إحدى الخادِمات لترجِّب به:

- أهلاً بعودتك يا سيدي.

كان سيطلب منها تجهيز حمام ساخن له، غير أنه لاحظ تورها الذي كان في غير محله، تلفَّت كثيراً وهي تراقب مُحيطها بعينين مُضطربتين، فعاد غيلبرت لينزل الدرجات القليلة التي صعدوها وأخذ الخادِمة للحديث معها جانباً.

عاد أوليفر إلى غرفته المشتركة مع لويس مُصطحباً معه ريفن، اقتحم الاثنان المكان دون استئذان، فرمى أوليفر بنفسه على

الأريكة الجانبية ليقول مازحاً وهو يرى لويس منهمكاً بالقراءة:

- أنت تُنهك نفسك بالدراسة والتدريب، وجو من يحصد الجوائز بالنهاية.. يا لها من خسارة.

أغلق لويس الكتاب ليضعه جانباً، ثم استدار ناحية الشايفين ليقول بانزعاج:

- انحرس يا أوليفر، فلا وقت لدي لأهلو معكم.

جلس ريفن على الأريكة ليضع ساقاً فوق الأخرى قائلاً:

- ومن قال بأننا نلهو.. نحن هنا لأننا نرغب بأن نقدم لك عرضاً مُميزاً.

بعد أن حاز الأمر على اهتمام لويس، تابع ريفن ليقول:

- أنت من عائلة الصيادين يا لويس، أتم تملكون صفاتٍ تُميزكم عن البشر العاديين، لهذا أرغب بأن تكون إلى جانبي.

ضحك لويس ساخراً من حديث ريفن المنمَّق، فاستقام من موضعه ليقرب ناحيته قائلاً:

- إلى جانبك.. وما الذي سأجنيه من ذلك؟

مط أوليفر شفته ليُجيب عن أمرٍ بدا له بديهاً:

- إننا نتحدث عن جانب الملك المُقبل أيها المُغفل.. هه لا عجب أن ذلك الصبي جو متفوق عليك.

وبشكلٍ مُفاجئ ضحك لويس هازئاً بهما:

- عن أي ملك مُقبل نتحدثان، أي أحق سيعلم بأن هيلينا مغرمة بأحد فرسانها الأربعة، إنها لا تهتمُّ لأمرِك يا صاحب السمو ولا لمشاعرك اتجاهها، حتى ابن القمر قد يمتلك فرصة أكبر منك للارتباط بها.

حتى بعد ذكر ابن القمر أمامه، لم يُبدِ ريفن أي ردة فعلٍ ظاهرة على ما قاله لويس، بل كان هادئاً ومحافظاً على رزاقته:

- من قال بأنني أحبها أيضاً، تلك المدللة الحقيرة ما هي إلا
سُلبي الخاص للوصول إلى عرش والدها، سترتبط بي رغماً عنها..
ما يقلقني هو أختها الكبرى إيفا.

دار لويس حول الأريكة ليجلس مُقابلاً للشابين بعد أن شعر
بأن هدف ريفن أكثر أهمية من قصة حبٍ تافهة، حوّل نظره ما
بين الشابين أمامه ثم سأل:

- لستُ أفهم، ما الذي تريده مني؟

أعتدل ريفن في جلسته، ثم شبك أصابع يديه معاً ليقول وعيناه
تخترقان ما وراء حذقتي لويس:

- هنالك شيء تملكه عائلتك، أحتاج إلى الوصول إليه قبل تلك
المأكرة إيفا وإلا سيفسد كل ما خططت له.

بعد انتهاء جولتهم في السوق، عاد ليون برفقة جاك وماغي إلى
الأكاديمية، مرّ الثلاثة بساحة التدريب وهناك لمحوا مصباحاً مضيئاً
يحوم وحيداً وسط العتمة، وما إن استدارت مع مصباحها حتى
انتبهوا إلى أنها إلينور، فتساءلت ماغي:

- أليس من المفترض بأنها قد عادت إلى المنزل؟ فما الذي تفعله
هنا؟

فقال جاك:

- يبدو بأنها تبحث عن شيء ما.

اقرب منها الثلاثة فاستقامت إلينور وهي تحمل مصباحها مُحبطة،
عندها سأل ليون:

- لم لستِ مع عائلتك؟

حرّكت إلينور مصباحها ناحية ساحة التدريب لتُجيب بإحباط:

- لا يمكنني العودة بعد أن أضعت قلادة صديقتي.

تبادل الثلاثة النظرات فيما بينهم ثم توزَّعوا من حولها بحماسة
ليقول جاك:

- سنساعدك في البحث عنها.

قفزت إلينور في موضعها فرحاً، ثم أشارت إلى القمر في السماء:

- إنها قلادة فضية بقلبٍ على هيئة هلالٍ مزخرف من الداخل..
ثم أنزلت يدها لتوجه المصباح إلى الأرض مُضيفَةً:

- شكراً على مساعدتكم، سيعني هذا الكثير ل صوفي، فهذه
القلادة تحمل مكانةً خاصة بالنسبة لها.

وكان بأنفاسهما قد قُطعت، أدار جاك وماغي رأسيهما ناحية
إلينور لتقول ماغي بدهشة:

- أعيدي ما قلبت...

تصاعدت أنفاس جاك وهو ينظر إلى ليون ليقول بصوتٍ
مُرْتَجِفٍ:

- صوفي كانت تحمل قلادة تتاليا معها عندما خُطفت.

نظرت إليهم إلينور بعد أن لاحظت ردّة فعلهم، لتسأل مُختارة:

- هل تعرفون صوفي؟

انطلقت إلينور فوق صهوة جوادها ناحية قصرهم بعد أن أخبرها
الثلاثة بحكاية صوفي، اقتحمت الفتاة المكان مُجتازةً والدتها التي
كانت تشرب الشاي مع ليندا في الحديقة، ألقت عليهما التحية
بينما كانت تجري نحو وجهتها وهي تتخيل ردة فعل صوفي،
فارتشفت والدتها من قدحها مُعلّقة:

- متى ستتعلم تلك الفتاة كيف يصرف كسيدة راقية؟

ضحكت ليندا دون أن تُجيب على والدتها وهي تنظر إلى الغبار
الذي خلفته أختها خلفها، من جهتها دفعت إلينور الأبواب الثقيلة
لتقف في منتصف البهو الرئيسي وهي تنادي فرحة:

- صوفي.. أين أنتِ؟

ثم جرت كالمنجونة تبحث عنها في كل مكان، حتى وجدتْها في المطبخ وهي بمنتصف عملها تضع الفحم في الموقد الحجري، فاقتربت منها إلينور لْتُمسك بكتفها، تخبّط الفتاة وهي تحاول استعادة أنفاسها لتقول أخيراً:

- عليك أن تأتي معي يا صوفي.

غير واعية لمراد سيدتها الحقيقي، أجابت صوفي:

- أنا أيضاً سعيدة برؤيتك، لكن هنالك بعض الأعمال التي يجب أن أنجزها قبل قضاء الوقت معاً.

وبوجه مُحمرّ من شدة الحماسة، انفجرت إلينور بوجهها:

- انسي أمر الأعمال المنزلية، فأصحابك يرغبون بلقائك... ما كانت الأسماء؟..

ضربت إلينور على جبهتها بقبضتها وهي تحاول تذكر أسمائهم، أغمضت عينيها واعتصرت جفניה حتى قالت غير واثقة:

- كو.. كولين نعم كولين.

وبفأنة سمعت إلينور صوت وقوع دلو الفحم على الأرض، ففتحت عينيها لترى صوفي تنظر إليها وقد تمكّنت الصدمة منها، نزلت دموعها بمجرد أن لامس اسم كولين طبلّة أذنها، فأمسكت إلينور يديها مضيفة:

- هنالك أيضاً جيكوب، لا بل جاك والفتاة..

فتحرّكت شفّتي صوفي:

- ماغي؟

أومأت إلينور برأسها فرحة:

- نعم يا صوفي، رفاقك كولين، جاك وماغي عرفوا بأمرك بسبب قلادة القمر الفضي.

كما تأملت صوفي أدت القلادة غرضها أخيراً، عثر لها على أصدقائها، لكنها فاقت توقعاتها بعثورها على كولين أيضاً.

بتوتر وشوق وصلوا إلى عنان السماء، انتظر الأصدقاء الثلاثة في منتصف الساحة العامة، كانت أنظارهم موجهة إلى الطريق الذي يقود إلى قصر عائلة إلينور، أمام النصب التذكاري وقف ليون صامتاً يرتدي قناع الرزاة أمام جاك وماغي، إلا أن الصدع كان عميقاً في داخله، بروح مهتزة وقلب مضطرب راح يتساءل كيف ستغدو ملاح هذا اللقاء غير المتوقع، وهل سيتعرف كل واحد منهما على الآخر ما إن يراه.

انتفضت يدا غيلبرت وهو يقرأ الورقة التي سلمتها الخادمة له، تحركت عيناه سريعاً مع الأسطر بينما قالت الخادمة مرتعبة من ردة فعله:

- وجدتتها على سرير كولين اليوم عندما كنت أنظف غرفته.

أنزل غيلبرت يديه غاضباً، ليصرخ بالهواء:

- تبا..

شتم الشاب بصوت عالٍ غير مكترث لمن قد يسمعه الآن، ثم جرى مبتعداً ليعود إلى الأسطبلات، سرج جواده الأسود من جديد لينطلق به مسرعاً إلى الأكاديمية.

في القصر الملكي كانت هيلينا برفقة كيث يحققان بشكل مباشر مع من تبقى من الأطفال الذين لم يتمكنوا من إيجاد ذويهم، بعضهم لم يكن حتى من مملكة ديمونتريا، بينما بعضهم الآخر كان أصغر من أن يدرك ما يجري من حوله، من بينهم كان ذلك الصبي يجلس منعزلاً عن المجموعة، متقوقعاً على نفسه في الزاوية

يحمل على وجهه ملاحٌ تشي بمقدار الأهوال التي ذاقها بعمرٍ يافع
والتي جعلت منه يبدو أكبر من سنه، اقترَب منه كيث وثني
ركبتيه حتى يصل إلى مستواه ثم قال:

- ما هو اسمك أيها الفتى؟

رفع الصبي رأسه ونظر بعينه الفارغتين إلى كيث، ثم هزَّ رأسه
بغير علم:

- لا أملك اسماً.

- هل يمكنك أن تخبرني ما الذي فعله تجار العبيد بكم؟

أشاح الصبي بنظره إلى بقية الأطفال واهناً، تأمل وجوههم
بعد أن غُسلت آثار السخام والأوساخ عنها وراح يتساءل كيف
كانت لتبدو تلك الطفلة الصغيرة، ففتح الصبي فمه:

- لقد قتلوها، وقطعوها إلى أشلاء، ثم احتفلوا بشرب دمائها.

غير قادرة على تحمل المزيد من تلك المشاهد، غادرت هيلينا
الغرفة بعد أن وصل غضبها إلى أقصى مراحلها، اجتمعت مع
فرسانها الثلاثة ومضت في طريقها إلى سراديب القصر حيث
يجري التحقيق مع موردوك، كان قد وصلها خبر مشاركة ريس
لهذا ذهبت إلى هناك بقلبٍ مُطمئن، تجاوزت البضع بوابات
حديدية قبل أن تلاحظ هدوء المكان، فتوغلت أكثر غير مُكرثة
لتنبيه فرسانها حتى شاهدت أول جثة ملقاة على الأرض، ومن
بعدها توالى جثث الحراس مُتسبعةً بدمائها، فنادت عليه فزعة:

- ريس...

لتجري بعد ذلك متبعةً آثار الدماء، وصلت إلى زنزانة موردوك
فوجدت بابها مفتوحاً، وهناك عثرت على ريس ملطخاً بدمائه،
مرمياً على الأرض بجرجٍ بليغ في معدته، اقتربت منه وأمسكت به
لتأمر بقية الفرسان:

- ليأت أحد بالمساعدة في الحال.

جرى أحدهم لتلبية أمرها، فأحست بيد ريس تلمس وجنتها، مسح دمعاً كانت قد هربت منها وهو ينظر إليها بوجه متعب ليقول بأنفاس منقطعة:

- أعتذر لأنني سمحت له بالهرب.

انفجرت هيلينا به، أثبتته وقد سمحت لنفسها بالبكاء:

- ما الذي تقوله؟ ما يهم الآن هو إنقاذك أيها التافه.

جرى الحصان والفتتان فوقه، لفت صوفي ذراعها حول خاصرة إينور خشية أن تقع من قوة جريان الحصان، حتى خففت الأخيرة من سرعتها قريباً من الساحة العامة بعد أن لاحظت شدة الازدحام، عندها قررت أنه من الأفضل النزول ومتابعة السير على قدميهما، ووسط مئات الوجوه راحت صوفي تبحث عن وجهه، ما بين رجال ونساء، أطفال وعجائز، كان منهم الطويل والقصير، السمين والنحيل، ومع الكثير من تدرج الألوان تاهت الفتاة بزحمة البشر في محيطها، تسارعت دقات قلبها وهي تدور من حولها بحثاً عنه حتى توقفت بعد أن برز لها شعره الأسود من بعيد، كان مميزاً كسواد هذه الليلة، ففتحت شفيتها الزهريتين لتهمس باسمه وقد هربت دموعها من مقلتيها:

- كولين.

شاهدته إينور أيضاً، فأشارت لـ صوفي ناحيته، سارت إينور ومن ورائها صوفي محاولتان أن تشقا الطريق أمامهما وسط ازدحام المكان، لكن من دون أن ينتبه أحد امتدت يد من الخلف لتكتم فم صوفي، شدها ذلك الشخص إلى الوراء بينما حاولت هي أن تصرخ لتلفت انتباه إينور إليها، لكن الأخيرة تابعت طريقها غير مدركة ما جرى، قاومت صوفي الشخص الذي أمسك بها حتى تمكنت من أن تدير رأسها ناحيته للتسع عينها من وقع المفاجأة، ابتسم لها زعيم عصابة الذئاب مردودك ليهمس بأذنها:

- ها قد التقينا مجدداً أيتها المتوحشة الصغيرة... ألسنت سعيدة بلقائي؟

ثارت هائجة بين قبضتي موردوك وهي ترى الأمل بأصدقائها من بعيد، حتى شعرت بضربة على مؤخرة رأسها، أصبح كل شيء ضبابياً بعدها، وآخر مشهد رآته قبل أن تفقد وعيها هو وجه كولين يستدير ناحية إلينور.

انتبه ليون لعودة إلينور، فجرى ناحيتها وهو يتفقد الناس من خلفها:

- أين هي؟

- ما الذي تقوله، إنها هنا..

استدارت إلينور لتدرك بأن صوفي ليست خلفها، فعادت الطريق التي سارت بها ولحقها البقية، بحث الأربعة عن صوفي مُعتقدين بأنها لربما تاهت وسط الزحام فقط، وهنا شاهدوا غيلبرت يقترب ناحيتهم فوق جواده، توقف قبل بلوغ الساحة ليترجل مُسرعاً ناحيتهم، اقترب من ليون ليقول له وهو يسلمه الورقة، فسأله ليون:

- ما هذه؟

- إنها كارثة على وشك الحصول.

ثم أمسك بيده ليجره ناحية جواده:

- علينا أن نذهب بسرعة قبل فوات الأوان.

انتبه البقية فاجتمعوا حول ليون وغيلبرت، عندها سأل جاك:

- ما الذي حدث؟

أشار غيلبرت إلى الورقة بيد ليون ليقول مُفسراً:

- لونا ذهبت إلى قصر عائلة وينشستر، هي عازمة على الانتقام لمقتل ابنتها منهم جميعاً.

- جو..!

ودون أي تفكير جرى ليون وهو يقول لرفاقه:

- ابحثوا عن صوفي وانتظرونا في متجر جاسبر.

راقبه رفاقه وهو يتعدّ مقاومين الرغبة بالذهاب ومد يد العون، بينما لحق به غيلبرت فامتطى الاثنان شادو الذي جرى بسرعة الريح مُتحدّياً وزن الشابين فوق ظهره، بفكر مضطرب دعا ليون في سره أن يصل في الوقت المناسب وإلا لن يسامح نفسه إن جرى أي شيء لـ جو.

خرج جو من الحمام بعد أن فرغ من الاستحمام، ثم رمى بنفسه على سريره الذي اشتاق إليه، كانت الخادمة توقد له المدفئة بعد أن برد الطقس قليلاً، فتأمل الصبي السماء من نافذة غرفته، تجمّعت الغيوم الركامية بعيداً في السماء المُعتمة، فبرقت أجزاء منها مُندرةً بأجواء شتوية قاسية في الطريق.

بعد أن اطمأنّ الكونت رايموند على ابنته روز، عاد إلى الأسفل حيث كان اجتماع الصيادين قائماً، في مكتبة الكونت تباحث المجموعة الأمور المتعلقة بالوضع الراهن، كما أحضر أحدهم بعضاً من عيّنات الأسلحة الجديدة والتي يجب تجربتها قبل الموافقة على تعميم استخدامها، فحمل الكونت رايموند أحدها ليتفحصه مُعلقاً:

- المواد انخام ذات جودة جيدة، لكن لا يمكنني الحكم عليها حتى أجربها.

وهنا سمع الجميع صوت تحطم زجاج إحدى النوافذ، كانت الرياح قد اشتدت في الخارج، لذلك اعتقد رايموند جازماً بأن تحطم الزجاج كان بفعل شيء قذفت به الرياح الهائجة، فقال معذراً من المجموعة:

- عن إذنكم يا سادة، سأذهب لتفقد الوضع.

من دون أن يدرك كان جو قد أخذ غفوة صغيرة انتهت بإفاقته على صوت الرعد يضرب قريباً من موقعهم، نهض الفتى مفزوعاً، غير مدرك للوقت الذي انقضى، نهض الصبي من فراشه، وذهب ناحية الباب، ففتحه وخرج إلى الرواق ليلاحظ الظلام الذي اكتسح المكان، تلفت مختاراً من عدم أداء الخدم لمهمتهم بالمحافظة على إضاءة المكان، فتابع الصبي طريقه ناحية الدرج، وقبل أن ينزل الدرجة الأولى وصل إلى مسامعه صوت صراخ أحدهم، فتجمّد جو في موضعه، وخلال لحظات شاهد عند نهاية الدرج إحدى الخادومات التي كانت تهرب فرعاً من شيء ما، وجأفة قفز عليها أحد مخلوقات الليل من الخلف، عض رقبتها بأنيابه الحادة وهو يسحب رأسه إلى الخلف مُمزّقاً بذلك جلدها واللحم من تحته، تناثرت دماؤها بينما صرخت حتى كادت خنجرتها أن تخرج من موضعها، انتفض جسدها الذي ارتمى أرضاً بطريقة مفزعة حتى توقف تماماً بعد أن غادرته روحها، فصرخ جو نائراً بذلك المخلوق مما جعله ينتبه إليه، أدار الوحش الهائج رأسه على مهل ناحية جو مُزججاً والدماء تقطر من فكه، نظر بعيني الصبي قبل أن يتحرك بطريقة مروّعة ناحيته على قوائمه الأربعة، صعد الدرجات بسرعة قياسية، وقبل أن يصل غُرْس سهم خشبي في ظهره، اخترق قلبه ليبرز الرأس الحاد من الأمام نائراً الدماء على وجهه جو، فسقط المخلوق أرضاً وظهر من خلفه الكونت رايموند ملطخاً بالدماء، لم يُميز جو إن كانت هذه دماء والده أم لا، فلم يكن هنالك وقت لاستيعاب أي شيء، جرى الكونت الدرجات صعوداً وأمسك به جو ليسحبه معه إلى غرفة روز، كانت الفتاة لا تزال فاقدةً لوعيها تنام بسلام على سريرها، لهذا أمسك الكونت رايموند جو من كتفيه، نزل قليلاً حتى يصبح في مستوى نظره ثم ابتسم له وهو يدفع بالسلاح الجديد ناحيته:

- ما رأيك؟ إنه خفيف الوزن وعلى خلاف البندقية يمكن حمله بيد واحدة...

صمت الكونت قليلاً بعد أن شاهد نظرات الاعتراض في عيني

الصبي، فانسعت ابتسامته التعيسة أكثر ليقول:

- لقد قضيت على الكثير منهم بالفعل، لكن تحسباً أريد منك أن تبقى مع أختك هنا...

ثم مدَّ رايموند كم قيصه ومسح الدماء التي غطت وجهه جو مع دموعه التي رقصت على حافة جفنيه، أزالتها وهو يقول بصوته الحنون:

- سأقضي عليهم سريعاً، ثم سنتابع يومنا كما خططنا، فهناك الكثير مما أود أن أسمع منك يا بني.

نهض رايموند من موضعه وهو يرى الدموع تجتمع في مقلتي جو من جديد، اعتصر الصبي السلاح بين يديه مقاوماً رغبته في البكاء أمام والده، كابر جاهداً حتى يثبت له بأنه أصبح رجلاً يعتمد عليه، لهذا ابتسم الكونت نخوراً وهو يغادر الغرفة.

وصل ليون وغيلبرت إلى المكان بالتزامن مع وميض صاعقة ضربت جانباً، فأضاءت لهم البناء المظلم، لم تكن تلك إشارة جيدة، فهذا الهدوء المغلف بالظلمة لا يعني إلا أمراً واحداً، ألا وهو تأخرهما، فقز ليون من على ظهر الحصان وتبعه غيلبرت الذي استوقفه قائلاً:

- مهلاً يا ليون، نحن لم نتفق على ما سنفعله لإيقاف لونا.

أدار ليون رأسه ناحية غيلبرت ليُجيب:

- فقط ابحث عن جو وبقيّة أفراد عائلته لتخرجهم من هنا، وسأتكفل أنا بإيقاف لونا.

ثم جرى مُسرّعاً إلى الداخل، لهذا لم يكن أمام غيلبرت إلا أن يفعل كما قيل له.

اقتحم ليون المكان المليء بالجثث، بعضها لأتباع لونا، بينما بعضها الآخر كانت لأفراد الصيادين من أصدقاء الكونت رايموند، سار ليون بينها متخطياً البهو الرئيسي بكل تفاصيله المروعة وهو

يغطي فيه وأنفه، كانت رائحة الدماء مصدر تشيت كبير له عند هذه المرحلة، وبالكاد تمكن من التركيز في بحثه، فتح الأبواب الواحد تلو الآخر وهو يسمع بعض المناوشات التي لا تزال قائمة ما بين من صمد من الصيادين وأعوان لونا، فتخطأهم لبحث عن سيدتهم، حتى وصل به الأمر إلى قاعة الاحتفال بنهاية الطابق الثاني، دفع بابها اللذين يمتدان بعلوهما إلى السقف لتظهر من خلفهما القاعة كئيبة مظلمة، على أحد جانبيها تحطمت جميع شبائيكها وتناثر زجاجها الملون على امتداد المكان مع بعض الجثث، وهناك في نهاية القاعة كانت لونا تحمل الكونت رايموند بيد واحدة، علقته في الهواء مع نظرة خاوية في عينيها، لم تكن قد وصلت إلى الجزء المهم من انتقامها حتى بعد أن قتلت جميع أصدقاء الكونت أمامه، فسألته يبرود تام:

- أين هم أبناءك؟ يجب أن تذوق مرارة فقدهم كما فعلت أنا.

وبصعوبة ردَّ عليها رايموند يُنازع لالتقاط أنفاسه:

- لن أسمح لك.

مقاطعاً هذا المشهد صرخ ليون بـ لونا غاضباً:

- توقفي يا لونا.

أدارت لونا رأسها ناحية ليون تقول له بوجه يخلو من المشاعر:

- لا تدخل يا خادم كورفينا، فلا علاقة لك بكل هذا.

ودون أن يستمع إليها هجم ليون باستخدام خنجره مُندفعاً ناحيتها، فأفلتت لونا الكونت ليقع أرضاً مُضرباً بدمائه، واستدارت تصد هجوم ليون بأظافرها الحادة، فقال راجياً:

- توقفي يا لونا ولا تجبريني على قتلك.

احتكت مخالب مخلوقة الليل الطويلة مع خنجر ليون قبل أن تثب إلى الخلف مُراجعةً لتترك مسافة كافية بينهما، راحت لونا تتأمل الفوضى من حولها بعينين حراوين ونظرات فارغة، فقالت:

- لم عليّ التوقف؟

ثم أشارت إلى قلبها لتكمل بيروود مُستفز:

- أشعر بألم هنا بنحو مع الوقت.. لهذا لا تتقف في طريقي ودعني أعالج عَليّ بنفسي.

أدارت لونا رأسها ناحية الكونت رايموند الذي حاول النهوض من موقعه، وجأة أطلقت صرخة حادة بالتزامن مع اندفاعها كالطلقة ناحيته، مدت مَخالبها مُستهدفةً صدره فغرستها عميقاً هناك، اخترقت الجلد شعرت بدفء أحشائه، لامست قلبه النابض بأصابعها النحيلة، أمسكت به وضمته بقبضة يدها الباردة، وقبل أن تفكر باقتلاعه من موضعه انتبهت إلى خطئها الفادح، فلم يكن رايموند من تلقى هجومها، كان ليون أسرع مما تصورت، وصل قلبها بثانية واحدة، وبينما لا تزال يدها منغرسةً هناك في صدره، تحمل قلبه في يدها رفع ليون رأسه، نظر إلى عينيها واخترق روحها عندما سأها بأنفاسٍ منقطعة:

- إن كنتَ ترغبين بأن تعالجي العلة بنفسك.. إذا لماذا تركتِ تلك الرسالة لي؟.. لماذا يا لونا؟

تسارعت نبضات قلبه بين يدها التي تجددت في موضعها من وقع سؤاله، فاختنفى وهج عينيها وبدأت الدموع بالتجمع هناك، بينما واصل ليون ليقول وهو يدفع بابتسامةٍ مسالمةٍ إلى وجهه الشاحب:

- ألم تتركي تلك الرسالة لأنكِ أردت أن يوقفك أحد؟

انهارت لونا تماماً فأخرجت يدها من صدره، وانساب معها دماء ليون لتنتشر رائحتها في المكان دفعةً واحدة، توقفت مخلوقات الليل عن قتال الصيادين وانحرف تركيزها عنهم، في الأعلى وبعد أن عثر على غرفة روز توقف غيلبرت هو الآخر ليقول هامساً:

- ليون!

أراد أن يذهب لمعاونة صاحبه، لكن عليه إخراج روز أولاً بعد أن وجدها لوحدها في الغرفة، لم يتمكن جو من الانتظار كما

طُلب منه، لهذا كان قد غادر الغرفة بعد أن تأكد من خلو الطابق العلوي من أي تهديد.

في القاعة حاول ليون أن يوقف تدفق دمائه بيده وهو يقول مخاطباً لونا:

- عليك أن تغادري في الحال.

- وماذا عن أتباعي؟.. فلا يمكنني السيطرة عليهم الآن وقد عانقت رائحة دمائك أنوفهم.

نهض ليون بصعوبة ليمد لها يده قائلاً:

- لا بأس سنتكفل أنا وغيلبرت بأمرهم.

مسحت لونا دموعها وأمسكت يده لتنهض من موضعها، غادرت بعد ذلك عبر إحدى النوافذ تاركة ليون مع القوضى التي صنعتها، وبمجرد أن اختفت من مجال نظره ذهب ليون ناحية رايموند.

متخبطاً بين الجثث واصل جو بحثه عن أبيه، فشاهد بعض مخلوقات الليل الهائجة التي تقترب منه، حمل سلاحه بكل شجاعة وصوبه ناحيتها، إلا أن الوحوش تخطته غير مكترثة بأمره، وكأنها لم تره هناك.

في القاعة أسند ليون رأس الكونت على ذراعه بمحاولة منه لإعائته على النهوض قبل وصول أعوان لونا حيث كانت أصواتهم تدنو ناحية القاعة، إلا أن جراح الكونت كانت أعمق مما تصور، ونبضات قلبه تخف تدريجياً مع كل ثانية تمر، لهذا علم ليون بأنها نهايته، إنه ميتٌ لا محالة، وقبل أن يفلته مد الكونت يده ناحية وجه ليون، نظر إليه بعينيه الغائرتين ليقول والدموع تغزو وجهه:

- أليكس..!

سرت قشعريرة بجسد ليون لسماعه اسم والده يذكر الآن، فوضع الكونت يده المنتفضة على رقعة العين الجلدية منتزعاً إياها من

وجه ليون، لتظهر من خلفها عينه اليسرى وهي تتوهج حمرةً، سعل رايموند وبصق بعض الدماء من فمه قبل أن يقول بشق الأنفس:

- إنها تخدع.. العقيد ألكسندر..

كومضة باهتة بفعل سكرات الموت، اختلطت مشاهد اليوم مع ذكريات الأمس أمام عيني ملازم الفصيل الأول وهو يتذكر كلمات قائده وصديقه في تلك المعركة:

"لا داعي للخوف، أعدك بأنك ستري عائلتك من جديد".

امتلاأت عينا الملازم السابق بدموعه وهو يسترجع وعد قائده له فقال:

- لقد وفي بوعده لي.

متذكراً وصف ألكسندر لابنه، شدَّ رايموند من قبضته على يد ليون، وبالقليل المتبقي من وعيه وتركيزه قال:

- أنت ابن ألكسندر..

عقد لسان ليون وكأنه فقد قدرته على الرد، اضطرب قلبه الجريح ألماً وهو يرى كيف لا يزال طيف والده يحيه حتى لو لم يكن هنا إلى جانبه، فقال الكونت وهو يجذب ابن ألكسندر إليه قدر الإمكان:

- هنالك أمر.. عليك أن ترحل..

سعل رايموند مجدداً وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فشدَّ أكثر من قبضته وجمع كل ما تبقى من طاقته ليقول التالي:

- جو.. جو هو أخوك..

في هذا الوقت كان لويس قد ترك لوحده بعد أن غادر ريفن وأوليفر الغرفة، وضع الشاب إحدى ساقيه فوق الأخرى يتساءل عن ماهية الطلب الذي يبتغيه هذين الاثنين، وبين ضجيج كل

الأفكار في دماغه بات صوت تلك الخاطرة أعلى من البقية،
فاتسعت عيناه ليقول مفجوعاً:

- لا يُمكن... هل يعلمان بأمر جو؟

لكن الشاب ما لبث حتى عاد ليهداً، فهذا سرٌّ لا يعلم به أحد
غيره ووالداه، هدأت أسرار الشاب وهو لا يعلم بمقدار الكارثة
الحاصلة في قصرهم ساعتها.

تابع الكونت ليفضي ببقية وصيته الأخيرة لابن ألكساندر،
كانت تلك طريقته في رد جميل قائده الذي أنقذ حياته آنذاك،
من جهته اختنق ليون بحسراته، توقفت أنفاسه بالكلمات التي
كانت أقسى من جراحه ساعتها، ومع آخر نفس لديه اتسع بؤبؤا
رايموند وغادرت الحياة جسده، تحت تأثير صدمة الموقف لم ينتبه
ليون إلى فتح أبواب القاعة حتى أجفله سماع أحدهم يصرخ عليه:
- أيها القاتل..

مع وقع صاعقة قوية ضربت في الخارج رفع ليون رأسه ليجد
جويقف هناك غاضباً وهو يصوب سلاحه ناحيته بعينين امتلأتا
بدموعه، نظر إليهما ليون فعادت به إلى كل لقاءاتهما السابقة،
وبرز من بينهما أول جملة قالها له:

"هل أنت من قتل تلك الفتاة؟"

تبدلت المواضع والأدوار، كأن الزمن يسخر منهما، والآن يعتقد
الصبي بأن ليون هو من قتل أباه، شاعراً بمدى مرارة تلك اللحظة
التي خسر بها هو والده ألكساندر أنزل ليون رايموند من بين يديه
على مهل ليقول بمشاعر مشوشة وصوت مبحوح متعب:

- أنزل السلاح يا جو، إنه سوء فهم..

ما كاد أن يكمل جملة حتى انفجر به جو ليصرخ مقهوراً:

- سوء فهم كما حصل مع روي وروز.. أليس كذلك؟

ثم هز رأسه بائكاً ليقول مُضيفاً:

- لقد سمعت حوارك تلك الليلة مع غيلبرت... لقد اعترفت بنفسك.

استمع الصبي يومها إلى جزء من حوار الصديقين في الغرفة قبل أن يغادر مُسرِعاً لتفقد روز في العيادة آنذاك، ومع تلك الصورة غير المكتملة للحقيقة لم يتمالك جو نفسه، أصدر التهمة وأنزل الحكم دون أن يُعطي أخاه أي فرصة للدفاع عن نفسه، صاح جو وضغط على الزناد مُفرغاً سلاحه من كل ذخيرته، طارت جميع طلقاته قاطعةً الهواء قبل أن تخترق جسد ليون بلحج البصر، وصل غيلبرت مُتأخراً بعد أن نجح بإخراج روز، ومقاتلاً بعضاً من أعوان لونا ليسق طريقه ناحية القاعة، شاهد ليون وهو يقع على ركبتيه أرضاً، فاندفع ناحيته مُتجاوزاً جو الذي رمى سلاحه وذهب إلى رايموند، أمسك غيلبرت بليون وأعانه على النهوض، إلا أن رائحة دمائه كانت أكبر من أن يقاومها، لهذا سار به حتى حافة إحدى النوافذ، ليضع إصبعيه في فمه ويصفر مُنادياً حصانه، وما إن وصل شادو حتى قال:

- خذ حصاني وابعد عن هنا قدر استطاعتك.

غير قادرٍ على قول حرفٍ واحد ومُقاوماً آلامه تشبث ليون بملابس غيلبرت وهو ينظر إلى جو، بل إلى كوزر أخيه الأصغر، لم يرغب بأن يتركه الآن بعد أن عرف الحقيقة، غير أن غيلبرت دفعه بغتةً من حافة النافذة وهو يقول له باسمًا:

- حان دوري لأرمي بك من النافذة يا صاحبي.

هوى جسد ليون في الهواء ليقع على العشب خارجاً حيث كانت السماء قد بدأت تمطر، اقترب منه الحصان شادو تحت زخات المطر وكأنه يتفقد حاله، ومن الأعلى صرخ به غيلبرت:

- ابتعد في الحال.

ثم استدار غيلبرت ليرى القاعة وقد امتلأت بأتباع لونا، فبدأ

بصدِّهم الواحد تلو الآخر مانعاً إياهم من تخطيه والمُحاق بصاحبه.

وسط السوق القديمة وبعد بحثٍ عقيم عاد الرفاق إلى متجر جاسبر يجرون أذيال الخيبة، لم يتمكنوا من إيجاد صوفي بأي مكان، جلسوا هناك بانتظار عودة ليون وغيلبرت، لكن الرياح حملت لهم أسوأ فصول الرواية، تردد صوت صرخات جيريمي الذي كان خارجاً لقضاء بعض الحاجيات، عاد الشاب إلى المتجر مع أخبارٍ غير مُتوقعة، توقف هناك عند أعتاب الباب مُبتلاً بماء المطر ومُتفاجئاً من وجود جاك، ماغي والينور، نظر إليهم تباعاً غير قادرٍ على قول ما لديه، فتقدم جاسبر ليسأله قللاً:

- ما الأمر يا جيريمي؟

وبنبرة مُترددة قال الشاب وهو ينظر إلى الرفاق الثلاثة:

- ت تعرض منزل عائلة وينشستر إلى هجوم من مخلوقات الليل..
لقد... لقد قُتل الكونت رايموند.

أسفل نافذة قصر وينشستر تمكن ليون من جمع طاقته والنهوض، وبشق الأنفس صعد فوق ظهر الحصان الذي انطلق به مُبتعداً، إلا أن بعض أعوان لونا الذين أفلتوا من غيلبرت قفزوا من خلال النوافذ المُحطمة وأخذوا يجرون خلفه، تخطى ليون السهول وسط هذا الجو العاصف دون وجهةٍ محددة، لم تستسلم تلك الوحوش ولم تنفذ طاقتها على عكسه، فقد استنفذ كل أنفاسه بالفعل، كانت الطلقات التي لا تزال بجسده تشتعل كالجمرات الحارقة في جوفه مع كل حركة يخطوها حصان غيلبرت، لهذا توقف ليرجُل من فوقه بعد أن وصل إلى مجموعة من الشجيرات، لم يرغب بأن يستسلم الآن، تذكر رفاقه الذين ينتظرون عودته، وصوفي التي لم يقابلها بعد، والدته نتاليا، وأخاه الذي عثر عليه الآن فقط، فاستجمع قوته وركل شُجيرة صغيرة

بجانبه لتتحطم أغصانها تحت فردة حذائه، التقط أحد كسراتها ليستخدمها كسلاح في معركةٍ قد تكون الأخيرة، إن كان سيموت الآن فلن يفعل ذلك دون قتالٍ ختامي، حتى إن التقى بوالده بعد مماته فسيقابله بهامة مرفوعة، صرخ ليون بوجه الوحوش التي لحقت به قبل أن يستقبل أول الواصلين منها، طعنه بحافة الغصن الخشبي بقوى خائفة، وواحدة تلو الأخرى وصلت مخلوقات الليل لتستخدم المعركة بعدها، قاتل ليون رغبة بالعيش، وبأملٍ لقاء أحبائه ثانية، تحت السماء الماطرة اختلطت دماؤه الدافئة مع قطرات المطر الباردة، وعند مرحلة ما خُفَّت النور في عينيه، تلاشت تفاصيل الوحوش أمامه لتصبح كغلا ضبابية وسط الظلام، تجاوز ليون حدود طاقته بالفعل وانطفأ وهج عينه اليسرى لتعود زرقتها باهتة كالموت نفسه، فوقع على ركبتيه وقد تلاشى إحساسه بكل شيء تقريباً، اختفت كل الأصوات من حوله ومع زوال آلام جسده أيقن بأنها النهاية، لكن وخلال لحظات قصيرة حدث ما هو غير متوقع، أنيرت شعلة من الأمل كبقعة نور مُضيئة لتبدد الظلام أمامه، تحركت كتلة النور مع ظهور جسد ما حال بينه وتلك المخلوقات الهائجة، لازالت التفاصيل غير واضحة، فأغلق ليون عينيه وأنصت جيداً، أحدهم يُقاتل دفاعاً عنه، يحمل شُعلة من النار بيد، بينما يمسك بسلاحه في اليد الأخرى، وجه ضرباته القاضية نحو مخلوقات الليل فسقطت أجسادها لتعانق الأرض الموحلة تباعاً.

في فراشه الدافئ بجناحه الخاص في القصر الملكي، استلقى ريس هناك بعد أن تم تضميد جراحه، فتح عينيه على وجه أميرته التي أمسكت بيده وهي تمسح على رأسه بيدها الأخرى، نظرت إليه بشغفٍ وهي تخفي قلقها عليه خلف ابتسامة باهتة:

- إياك أن تُفزعني هكذا مرة أخرى.

بادلها ريس الابتسامة ليقول بصوتٍ حنونٍ عذب:

- أعدك بأنني لن أفعل.

وخلف ابتسامته ووعده الحالم راح الفارس الجريح يسترجع ما حدث بالززانة بينه وبين زعيم عصابة الذئاب، كان الأخير متيقناً بأن بول وإيمان لن يتركة حياً بعد أن تمَّ الإمساك به، لهذا ابتسم ساخراً واندفع مُنقضاً على ريس، حشره في الزاوية ليقول بجنون:

- لن أموت لوحدتي، لهذا دعنا نذهب معاً إلى الجحيم.

وابتسامة ساخرة دفع ريس بـ موردوك ليلكمه في معدته، فردَّ عليه زعيم عصابة الذئاب بلكمة مُشابهة أوقعت ريس أرضاً وسقطت معه القلادة الفضية، فصرخ ريس به غاضباً:

- أيها المغفل، أنا هنا لأعرض عليك صفقةً ستُنقذُ عنقك من جبل المشنقة.

ودون أن يجد منه أي استجابة رفع ريس رأسه ليجد موردوك وقد انحنى لالتقاط قلادة القمر الفضي من على الأرض، راح يتأملها ويتفحص الخدوش التي عليها ثم سأل:

- من أين لك هذه القلادة؟

استقام ريس من موضعه مُجيباً:

- لقد عثرت عليها مرميةً في ساحة الأكاديمية... لكن لماذا تسأل عنها؟

اتسعت ابتسامته موردوك الشيطانية ليقول وقد دبَّ الحماس في عروقه النابضة:

- طفلة إيستود المتوحشة لا تزال في الأرجاء...

متجاهلاً دهشة ريس لسماع اسم إيستود قبض موردوك على قلب العقد مُعتصراً إياه ليقول مضيفاً:

- ما هو عرضك أيها الفارس المدلل؟

وهكذا طرح ابن بول وإيمان عرضه على زعيم عصابة الذئاب،

وبعد الانتهاء من المناقشة والاتفاق ألقى ريس بمفتاح الزنزانة معه خنجره على الأرض، ووقف فاردًا ذراعيه أمام موردوك ليقول:
- اجعل من الأمر يبدو مُقنعًا، لكن حاول ألا تُصيب أي عضو مهم.. فلن أتمكن من مساعدتك وأنا ميت.

انقضت الساعات ولا زالت إلينور تراقب قطرات المطر من خلال باب متجر جاسبر، لمعت عيناها الخضراوان بعد أن تجمعت دموعها هناك، شعرت بألم حادٍ ينش صدرها في الموضع الذي اعتادت على الإحساس بقلب عقد القمر الفضي فيه، لامت الفتاة نفسها بعد أن أضاعت العقد وصوفي معه، فلم تُثر محاولاتهم لإيجادها عن أي شيء، وكأن بصديقتها قد جُرفت مع سيول الأمطار خارجًا، ومن جهة أخرى تأملت الساحة على أمل عودة ليون فلم تجد غير الفراغ باستقبالها بعد أن انفضَّ كل من كان هناك هربًا من الجو العاصف، غير قادرٍ على رؤية حزنها لأكثر من ذلك قرر جاسبر إغلاق أبواب متجره حاجبًا بذلك عنها المشهد الكئيب، ليستدير بعد ذلك ناحية المجموعة المحبطة، جاك يجلس بالزاوية مُطرَقًا برأسه إلى الأسفل، وماغي مُنكشة على نفسها تضم ركبتيها إليها لا ترغب بالكلام مع أحد، كانوا قد أخبروه بكل شيء تقريبًا، وبجانبه تحدث جيريمي وهو لا يزال مذهولًا مما سمعه:

- من كان ليعتقد بأن شبح إيستود سيعود لمطاردتنا هكذا.

مع تلك الكلمات أغلق جاسبر عينيه وأخذ نفسًا طويلًا ليطرد أشباحه الخاصة، كان صوت تلاطم أمواج البحر قد عاد ليغزو رأسه، رائحة مياه البحر الدامية ومنظر الجثث من تلك المعركة ما زال يُطارده ككابوس مزعج، ففتح الملازم السابق للفصيل الخامس عينيه مُحدِّقًا بالأولاد البائسين من حوله، بطريقة ما شعر بالمسؤولية تسلَّق أكفاه مُجددًا، وبوادر حربٍ من نوعٍ مختلف بدأت تلوح في الأفق البعيد، لهذا شدَّ العزم وقرر تحمل المسؤولية

الجديدة، تبسم التاجر والمُلازم السابق بوجه جيريمي ثم قال مخاطباً الجميع ببهجة:

- ما رأيكم بمشروبٍ ساخن يُعيد الطاقة لكم؟

ثم توجه بحويةٍ إلى مطبخ التحضير الجانبي فوجد ميا هناك تجلس على حافة النافذة والصغيرة ميمي تحارب النوم في حجرها، فباشر جاسبر بتحضير مشروب الشوكولا الساخن، مُتأملَةً قطرات المطر تحدث ميا التي أسندت رأسها إلى زجاج النافذة:

- لم يكن التنين مخلوقاً بغيضاً كما اعتقد أهل المملكة..

علم جاسبر بأنها تروي الحكاية للصغيرة، لهذا تابع عمله دون أن يُقاطعها، فأكلت لتقول:

- ومن أحاديثهما معاً اكتشف الفارس الحقيقة المرة، مملكتهم الجميلة والمشيقة في قلب ذلك الوادي كانت في يومٍ ما منزل التنين وموطنه، وأسفل منها تقبع بيوضه التي تركتها زوجته بعد موتها، لهذا كان يحوم حول المكان لأنه أراد حماية صغاره بداخلها، قشرة بيض التنين أكثر قسوةً من الحجارة لهذا ستحتاج زمناً طويلاً حتى تنفص، كان التنين الأعور على استعدادٍ للانتظار مهما بلغت المدة حتى يستعيد حقه في النهاية.

وصل صوت فرقة الخشب في موقد النار إلى أذني ليون، ومُمتزجةً بالرطوبة الباردة عانقت الرائحة الغريبة أنفه، ففتح عينيه ليرى صورة ضبابية للهب النار جانباً، وقریباً منها ظهر جسد أحدهم يجلس متربّعاً على الأرض، وبقليلٍ من التركيز أدرك ليون بأنه في جوف كهفٍ صخري، حاول أن ينهض فانتبه ذلك الشخص إليه، استقام من موضعه ودنا ناحيته قائلاً:

- لا تتحرك فما تزال تلك الطلقات عالقةً في جسدك..

نظر ذلك الشخص إلى مدخل الكهف ثم تابع مُضيفاً:

- أعتقد بأن كلينا سيقع في ورطة إن نزلت الآن، فما تزال تلك المخلوقات تحوم في الأرجاء.

فاقدًا القدرة على الرؤية التفاصيل بوضوح، سأل ليون:

- من أنت؟

اتضح معالم الرجل تدريجيًا فقال بعد أن أنزل لثامه:

- ربما أنا من عليه أن يسألك يا من تحمل اسمًا لا ينتمي إليه.

جلس الرجل إلى جانب ليون، فسأل الأخير مُندهشًا وقد مِرَّ ملاح منقذه:

- ألسن عمّ ميا؟

أوما الرجل برأسه إيجابًا:

- لا تتعجل بطرح أسئلتك الآن، لدينا الكثير للحديث بشأنه،

لهذا خذ قسطًا من الراحة لأنني أحتاجك بكامل وعيك يا سليل أركون.

وللقصة تمة...

سلاح الطلقة المزدوجة

أحد أسلحة رابطة الصيادين



بالبية تصميم مقاربة لعمل البلندقية النارية. قام أحد عباقرة الصيادين
بابتكار سلاح أصغر وأخف وزناً بحيث يمكن استخدامه بيد واحدة.
كما أنه يتضمن مخزنًا يتسع لأكثر من طلقة واحدة.



الطلقة المزدوجة:

وهي السر خلف تسمية السلاح الجريد بهذا الاسم. هذه الطلقات مُصممة
لقتال مخلوقات الليل بطريقتين:

1. الرأس مصنوع من لب "شجرة الفولاذ" والذي يُعتبر من أقوى أنواع الخشب في المملكة.
2. بعد اختراق الطلقة لجسم الضحية يفصل الرأس عن بقية أجزاء الطلقة بالفجاء بسيط
بفعل البارود الممزوج بمسحوق اللحم الجاف في داخلها.

الخاتمة ...

الخاتمة...

مع هبوب رياح الشمال الباردة نزلت أول رقاقة ثلج بيضاء غادرت غيوم سماء تلك الليلة، بدأ الشتاء ومعه طويت صفحة فصلٍ قد تم، وتفتح معه بداية مرحلة جديدة، تراكمت حبات الثلج بكل أشكالها الهندسية البديعة لتغطي أسقف العاصمة هيسبيروس، ومنها اتسعت الدائرة لتشمل كل بقعة أرضٍ في مملكة ديمونتريا.

تلاذت الأرض البيضاء تحت قدمي كورفينا العاريتين، هائماً على وجهها سارت مخلوقة الليل وحيدةً وهي تنظر إلى الأفق البعيد حيث بدت الغابة السوداء وكأنها تناديهما بشغف، فأكلت طريقها حتى وصلت إلى حدودها لتتوقف هناك، وفجأة ومع التماع عينيها الحماوين أطلقت كورفينا صرخةً حادةً مدوية طارت على إثرها أسراب الخفافيش السوداء من بين أغصان الأشجار الكثيفة، حلقت الحيوانات المجنحة بشكلٍ عبثي في سماء تلك الليلة، ومن أسفلها بدأت أزواج الأضواء الحمراء بالظهور تدريجياً من بين جذوع الأشجار، توهجت الأعين الحمراء وطغت بنورها على ظلمة الغابة الملعونة لتعلن بذلك عن امتثالها لأوامر سيدتها.



Dark Angel

FAJER

Email: darkangel-fw@hotmail.com

Instagram: dark.angel.286

TikTok: dark.angel.286

X: @dark_angel_286

(1) الخريطة في نهاية هذا الفصل.

(2) الأرنب سميك الأذن: يعتبر من فئة الأرانب العملاقة، يتميز بلحمه الطري والدهن لكونه قليل الحركة، يعتبر الغذاء المفضل للعشائر التي تسكن الجبال والمناطق الشمالية الباردة بسبب قيمته الغذائية العالية.

(3) زهرة البنطوس: زهرة ببنتلات أرجوانية لها تأثير قوي كالمنبهات.



جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.



Creatures Of The Night

مخلوقات الليل

اسفل شجرة عجوز في وسط الغابة الكثيفة، أو بجوف كهف عفن
بأعلى الجبال الشاهقة، أو ربما داخل كوخ خشبي عتيق، حيث تعجز
خيوط الشمس الذهبية عن الوصول، ويمتد الظلام كليل طويل، يُقال
بأنه هنالك ما يتخذ من تلك البقاع المظلمة ملاذاً له، كائنات
أسطورية، وفي أحيان كثيرة عُرفت بكونها وحوشاً لا تعرف الرحمة،
أطلق البشر عليها اسم مخلوقات الليل.

للتواصل:

Email: darkangel-fw@hotmail.com

Instagram: dark.angel.286



ضياء
t.me/twinklinga

نوف
نوف بلس للنشر والتوزيع

NOVA PLUS FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTION

www.novapluskw.com

@novakw